الحجاب والختان والعفة

بين الأديان والقوانين ودعاة التحرر

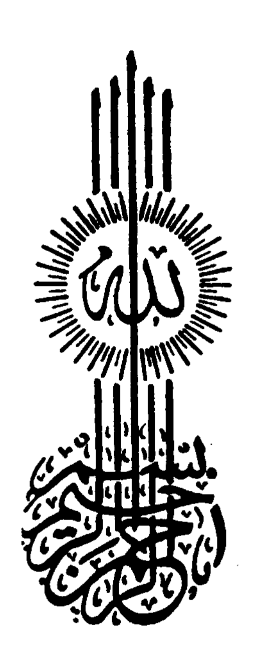
زكى على السيد أبوغضة

الحجاب والختان والعفة

بين

الأديان والقوانين ودعاة التحرر

زكي علي السيد أبو غضة


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــداء

* إلى روح أمى التى علمتنى معنى العفة والشرف .

* وإلى روح أبى الذى زرع فى قلبى حب القرآن .

* حامدًا الله تبارك وتعالى على توفيقه داعيًا بأن يتجاوز عن زلاتى، وأن يثيبنى فى اجتهادى .

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل : ٩٣] .

المقدمة

الحجاب : قد يظن البعض أن الحجاب هو زى أو رداء خاص بالمسلمات فقط ، لارتباط هذا المفهوم بالمسلمين ، والواقع أن الحجاب كزى ، هو من الآداب التى اتفقت كل الأديان السماوية عليها والكثير من العادات والتقاليد والأعراف لمجتمعات غير دينية .

ولكن نظرًا لتخلى أهل الأديان الأخرى من يهودية ومسيحية عنه فقد ارتبط المفهوم بالمسلمين فقط .

والحقيقة أن مفهوم الحجاب لا يقتصر على الزى فقط ولكنه مجموعة آداب وأخلاق تنظمها أحكام دينية تتناول الزى ، وإبداء الزينة « التزين » ، والعلاقات الاجتماعية بين الذكور والإناث ، داخل البيوت وخارجها ، وكذلك عمل المرأة خارج بيتها ، وآداب الاختلاط .

إذن الحجاب بمعنى اللباس المحتشم وإظهار أجزاء من جسد المرأة هو جزء من كل.

والواقع أن تنظيم العلاقة بين الذكور والإناث فى المجتمع هى البيئة التى يزدهر من خلالها المجتمع إن أحسن تنظيمها ، أو قد تذهب بحضارته إن فشل فى تنظيمها ، وقد أثبت التاريخ ذلك على مر العصور ، وعن ذلك يقول: محمد فريد وجدى (١) :

نشأت دولة الرومان فى رومية فى القرن الثامن قبل الميلاد صغيرة فقيرة ثم شبت قرنًا بعد قرن حتى بلغت مبلغًا عظيما من المدنية وكان النساء فيها متحجبات ملازمات لبيوتهن .

قالت دائرة معارف القرن التاسع عشر : « كان النساء عند الرومانيين محبات للعمل مثل محبة الرجال له وكن يشتغلن فى بيوتهن . أما الازواج والآباء فكانوا يقتحمون غمرات الحروب .

---

(١) محمد فريد وجدى : « موسوعة القرن العشرين » ص ٦١٨ ، ٦١٩ .

وكان أسم أعمال النساء بعد تدبير المنزل الغزل وشغل الصوف » ثم قال : «وكن مغاليات فى الحجاب لدرجة أن القابلة (الداية) كانت لا تخرج من دارها إلا مخفورة وجهها ملثم باعتناء زائد وعليها رداء طويل يلامس الكعبين وفوق ذلك عباءة لا تسمح برؤية شكل قوامها » ا هـ .

فى ذلك الحين حين احتجاب النساء برع الرومانيون فى كل شىء نحتوا التماثيل العظيمة وشيدوا الهياكل الفخمة وفتحوا البلاد وملكوا العباد واستبدوا بصولجان الملك والعظمة دون سواهم من الأمم . ولكن دعاهم بعد ذلك داعى اللهو والترف إلى إخراج النساء من خدورهن ليحضرن معهم مجالس الأنس والطرب فخرجن كخروج الفؤاد من بين الأضالع فتمكن ذلك العنصر المهاجم (الرجل) لمحض حظ نفسه من إتلاف أخلاقهن وتدنيس طهارتهن وهتك حيائهن حتى صرن يحضرن التياترات ويغنين فى المنتديات وساد سلطانهن حتى صار لهن الصوت الأول فى تعيين رجال السياسة وخلعهم فلم تلبث دولة الرومان على هذه الحالة حتى جاءها الخراب من حيث تدرى ولا تدرى حتى إن القارئ للتاريخ ليدهش حينما يرى أن ذلك الصرح الرومانى الباذخ قد هدمته المرأة حجرا بعد حجر بيديها الرقيقتين لاسوء نية منها ولا لأنها مفطورة على الإفساد بل لافتتان الرجال بها وتناظرهم عليها ، هذه حقيقة اجتماعية لا مجال للجدال فيها .

قال العلامة (لويزبرول) فى مجلة المجلات (مجلد ١١) تحت عنوان الفساد السياسى ما يأتى : « إن فساد الأسس السياسية وجد فى كل زمان ، ومن الغريب المدهش (تأمل) أن عوامله فى الزمن الغابر هى ذات عوامله فى الزمن الحاضر بمعنى أن المرأة كانت العامل الأقوى فى هدم الأخلاق الفاضلة » (١) .

ولا يقتصر دور الحجاب على إصلاح أو إفساد الدنيا ، ولكنه السبب الأساسى لصلاح أو فساد الآخرة ، فالإنسان سيحاسب عن أعماله ، فإن غوت وأعزت النساء الرجال ، وساد الاختلاط بلا ضابط من دين حنيف أو خلق قويم ، تفشت الفاحشة وانتشر الزنا وعانى المجتمع من الأمراض بكافة الأشكال والأنواع من خلقية ،

---

(١) المرجع السابق ص٦١٨ ، ٦١٩ .

واجتماعية وصحية ودينية .

ونتيجة لإيمان الغرب بذلك ، ولأنه لم يستطع أن يكبح جماح تحرر المرأة ، الذى صار كجواد جامح لا مجال السيطرة عليه ، ووباء منتشر لا يرجى علاجه ، فإن الغرب يريد أن يدفع المشرق الإسلامى على وجه الخصوص ، للتخلى عن آداب الحجاب بمعناه الواسع ، حتى يدفعه إلى هاوية التخلف فوق ما هو عليه من تخلف ، ولذلك كان الهدف الأكبر للاستعمار الغربى هو دفع الشرق للفجور بعد السفور ، والملاحظ أن دعاوى التحرر ومنع الحجاب دائمًا تنشط بنشاط الاستعمار سواء العسكرى أو الثقافى . . ، « ففى سنة ١٨٩٤م ظهر أول كتاب فى مصر ، يتضمن أول حملة على النظام الإسلامى ويدعو إلى التحرر منه . . هذا الكتاب هو (المرأة فى الشرق) لمؤلفه مرقص فهمى المحامى ، وقد دعا فيه لأول مرة فى تاريخ البلاد الى ما يأتى :

أولا : القضاء على الحجاب الإسلامى .

ثانيا : إباحة الاختلاط للمرأة المسلمة بالأجانب عنها .

ثالثا : تقييد الطلاق ووجوب وقوعه أمام القاضى .

رابعا : منع الزواج بأكثر من واحدة .

خامسا : إباحة الزواج بين المسلمات والأقباط » (١) .

والكتاب صدر فى ظل الاستعمار الإنجليزى ، وبعده بخمس سنوات . ظهر كتاب قاسم أمين تحرير المرأة . . . وتلاه المرأة الجديدة . . إلخ . والتاريخ يعيد نفسه فبعد أكثر من مائة عام ، ومع بداية الاستعمار الغربى الأمريكى للدول الإسلامية ، يتكلم الرئيس الأمريكى بوش الابن على حقوق النساء فى الإسلام ويدعى أنها إذا لم تعط حريتها وتتساوى مع الرجل فسيؤدى هذا إلى مزيد من الإرهاب ، وفى فرنسا يعلن رئيس الجمهورية توصياته بمنع ارتداء المسلمات للحجاب وينادى بذلك ، وهو وغيره لن يجرؤ على طلب منع ارتداء اليهود لزيهم المعروف ، أو لزيهم الدينى المعلوم إنها حرب

---

(١) محمد عطية خميس : الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار ص٧٣ ، دار الأنصار بالقاهرة .

ضد المرأة المسلمة لزيادة المجون والفجور .

وهذه الحرب يشارك فيها من دعاة التحرر نساء أو رجالاً مئات الألوف على مستوى العالم ، بتأييد من القوى الكبرى السياسية والعسكرية والمنظمات الدولية كالأمم المتحدة وتآمراتها ومؤتمراتها والحقيقة لو أنفق على المرأة ما ينفق لسفورها وفجورها لتحول فقراء العالم إلى أغنياء .

خطـة الكتـاب

وفى هذا الكتاب استعرضنا أقوال الكثيرات من دعاة التحرر المشهورات ، فيما يختص بالحجاب والختان ، ومفاهيم العفة والعذرية والشرف وما يرتبط بها من آداب أخرى ، ونظرًا لإيماننا العميق أن هذه الحرب ضد الأديان كلها وليس ضد الإسلام فحسب فكان منهجنا فى الدراسة هو عرض آراء الأديان فى كل موضوع ، ثم عرض آراء دعاة التحرر والرد عليهم فكرًا بفكر وفكرًا بدين ، ومن هؤلاء د . نوال السعداوى ، فريدة النقاش ، إقبال بركة ، سناء المصرى وغيرهن .

والكتاب يشمل ثلاثة أبواب رئيسية هى :

الباب الأول : الحجاب بين الأديان السماوية وفكر دعاة التحرر .

الفصل الأول : الحجاب فى الأديان السماوية .

وفى مباحثه الثلاثة أوضحنا آداب الحجاب فى اليهودية ثم المسيحية وختمنا بالإسلام باعتباره آخر دين سماوى وهذه الآداب تتناول :

أولاً : الحجاب كزى لستر الوجه والشعر والجسد .

ثانيا : الحجاب بمعنى عدم التزين وإبداء الزينة وغض البصر .

ثالثا : الحجاب بمعنى التزام البيت والعمل كربة منزل .

الفصل الثانى :

وتعرضنا فيه لفكر دعاة التحرر فيما يختص بالحجاب .

المبحث الأول : الحجاب عادة اجتماعية سبقت الأديان .

المبحث الثانى : الادعاء بمناسبة الحجاب للأزمان الغابرة ولا ضرورة له حاليا .

المبحث الثالث : الحجاب فكر لرجال الدين وليس من الدين .

المبحث الرابع : الاستياء والغضب للعودة إلى الحجاب وانتقاد العائدات إليه .

هذا ، وقد قمنا بعرض هذه الادعاءات بأمانة تامة ، وقمنا بتفنيدها والرد عليها ، موضحين أن : الحجاب ما زال يناسب هذا الزمان بل أصبح ضرورة مُلحة مبرهنين على صحة دعوانا ، كما تناولنا بعض أحكام الرق فى الإسلام وحقوق الاستمتاع الجنسى المشروع بين الزوج والزوجة فى الإسلام وغير ذلك .

الفصل الثالث :

وهذا الفصل ذكرنا فيه محاولات دعاة التحرر نقد أحكام الحجاب والادعاء بأنها لم ترد فى القرآن والسنة وهو يتضمن مبحثين :

المبحث الأول : رأى دعاة التحرر فى آيات الحجاب وتفسيرها .

المبحث الثانى : رأى دعاة التحرر فى أحاديث الحجاب ومعناها .

وقد قمنا بعون من الله وتوفيقه ، بالرد على هذه المفتريات والدفاع عن صحيحى البخارى ومسلم ، وعن أبى هريرة كراوٍ للأحاديث .

الباب الثانى : الختان بين الأديان السماوية وفكر دعاة التحرر .

وفى هذا الباب أوضحنا فى التوطئة أن الختان يشمل الذكور والإناث ، وختان الذكور ورد فى كل الأديان السماوية أما فى الإناث فلم يرد إلا فى الإسلام .

وهذا الباب يشمل على عدة فصول :

الفصل الأول : الختان فى الأديان السماوية .

المبحث الأول : الختان فى اليهودية .

المبحث الثانى : الختان فى المسيحية .

المبحث الثالث : الختان فى الإسلام .

وحيث إن ختان الأنثى لم يرد إلا فى الشريعة الإسلامية وأحكامه بين مؤيد ومعارض ، فقد أوضحنا آراء المؤيدين والمعارضين ، وقمنا بترجيح ما نراه صحيحًا وفقا لأدلته.

الفصل الثانى : الختان فى فكر دعاة التحرر .

وفى هذا الفصل أوضحنا آراء دعاة التحرر فى ختان الأنثى على وجه الخصوص والتى لخصناها فى المباحث التالية :

المبحث الأول : الادعاء بأن الختان ليس من أحكام الأديان .

المبحث الثانى : الادعاء بأن الختان جراحة وحشية .

المبحث الثالث : الادعاء بأن الختان يضيع حق المرأة فى الاستمتاع الجنسى .

هذا ، وقد قمنا بتفنيد هذه الآراء والرد عليها .

الفصل الثالث : موقف الأطباء ووزارات الصحة والنقابات الطبية من الختان .

ونظرًا لأن الختان فيه شق طبى فكان من العدالة أن نعرض لرأى الأطباء وغيرهم فى الختان ، وهذا الفصل يشتمل على :

المبحث الأول : موقف الأطباء من ختان الإناث .

المبحث الثانى : موقف وزارة الصحة من الختان فى مصر .

المبحث الثالث : موقف نقابة لأطباء من الختان فى مصر .

الباب الثالث : معنى ومفهوم العرض والشرف عند دعاة التحرر .

وفى التوطئة أوضحنا أن تحرير المرأة الآن أودى بمقاييس العرض والشرف والعذرية فى كثير من المجتمعات ـ إلى غير رجعة ، وبدلاً من الدعوة إلى عودة هذه المقاييس الأخلاقية ، فدعاة التحرر يدعون إلى المزيد من التحرر لتحصل المرأة على المزيد من حرية الجنس . . .

وهذا الباب يشتمل على الفصول التالية :

الفصل الأول : معنى ومفهوم العرض أو الشرف فى الأديان

المبحث الأول : الفضيلة ومفهومها فى التوراة والديانة اليهودية .

المبحث الثانى : الفضيلة ومفهومها فى الإنجيل والديانة المسيحية .

المبحث الثالث : الفضيلة ومفهومها فى القرآن والديانة الإسلامية .

الفصل الثانى : معنى ومفهوم الشرف عند دعاة التحرر .

وفى هذا الفصل أوضحنا آراء دعاة التحرر فى عدة مباحث :

المبحث الأول : الادعاء بأن المحافظة على العرض للنساء دون الرجال ظلم .

المبحث الثانى : الادعاء بأن المحافظة على العذرية والتمسك بالعفة والطهارة لم تعد قياسًا للأخلاق .

هذا ، وقد سردنا هذه الآراء وتم الرد عليها بحمد الله.

الفصل الثالث : ضرورة العودة إلى مقاييس العفة والعذرية والشرف .

وفى هذا الفصل نطالب بضرورة العودة إلى هذه الأخلاق والآداب والأحكام الدينية ورأينا أن ذلك يتحقق طبقا لما يلى :

المبحث الأول : ضرورة التمسك بتعاليم الأديان الأخلاقية .

المبحث الثانى : العودة إلى الأديان وهجر ما يناهضها من قوانين وفكر .

المبحث الثالث : إعادة آداب الحجاب كما جاءت بالأديان السماوية وكانت مطالبنا مختصرة : رفض العلمانية وقوانينها ـ عدم اتباع تآمرات الأمم المتحدة المبيحة للشذوذ الجنسى والطلاق وحرية الجنس للنساء ، تعديل القوانين فى البلاد الإسلامية لتوافق الشريعة الإسلامية ، مع مراعاة ضرورة السيطرة على الإعلام وتوظيفه لخدمة الدين ، وأيضا إعادة أحكام الحجاب كما جاءت بتعاليم الأديان السماوية .

وهدفى من هذه الموسوعة ، وهذا الكتاب على وجه الخصوص هو إصلاح حال البلاد والعباد ، ومقاومة الأفكار الغربية عن الأديان والأعراف والداعية إلى كل انحلال ، متخذة وقودها المرأة والمناداة بتحررها .

وأشهد الله أننى أريد الإصلاح ما استطعت ، فإن وفقت فحمدى لله ، وإن قصرت فدعائى لله ﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [الكهف : ١٠].

الباب الأول

الحجاب بين الأديان السماوية
ودعـــاة التحرر

الفصل الأول : الحجاب فى الأديان السماوية .

الفصل الثانى : الحجاب فى فكر دعاة التحرر

الفصل الثالث : الحجاب فى القرآن والسنة عند دعاة التحرر .

الحجاب بين الأديان السماوية ودعاة التحرر

توطئة :

الحجاب هو أول الآداب الإنسانية التى تحلى بها الإنسان فى الجنة قبل طرده منها إلى الأرض،وبعد نزوله الأرض فهو خلق فطرى خلق به الإنسان،وسيستمر عليه الأسوياء من البشر.

جاء فى التوراة : « وكان آدم وامرأته عريانين ، ولم يعترهما الخجل » [تكوين٢ :٥]، والتوراة توضح أن الله حجب أعينهما عن عوراتهما ، فكان الحجاب معجزة إلهية ، وعندما سقط آدم وحواء فى المعصية انكشف الحجاب فظهرت العورات، ومع ذلك وبالرغم من كونهما فقط كالبشرية حينذاك وليس هناك من يطلع عليهما من البشر ، إلا أنهما استحيا من العرى وخاطا لأنفسهما ملابس : « وأدركا أنهما عريانان ، فخاطا لأنفسهما مآزر من أوراق التين » [التكوين ٣ : ٧] ، ويلاحظ أن أوراق التين عريضة أى تصلح لستر الأجساد والعورات .

وتكريما من الله لآدم وحواء : « وكسا الرب الإله آدم وزوجته رداءين من جلد صنعهما لهما » [التكوين ٣ : ٢١] .

والقرآن الكريم أوضح هذه الحقيقة فقال تعالى: ﴿ **فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ** ﴾ [الأعراف : ٢٠] .

وفى هذا الباب سنعرض للفصول التالية : ـ

الفصل الأول : الحجاب فى الأديان السماوية .

الفصل الثانى : الحجاب فى فكر دعاة التحرر .

الفصل الثالث : العلاقة بين الحجاب والقرآن والسنة فى فكر دعاة التحرر .

وفى الفصل الثالث : أوضحنا رأى دعاة التحرر « إقبال بركة » بصفة خاصة فى الادعاء بأن القرآن والسنة لم يشرعا أحكام الحجاب وقد نقدنا آراءها باستفاضة ، وتعترف أننا قد أطلنا وكررنا ولكن الهدف هو قطع الطريق على هذه الإدعاءات وبيان عدم صحتها ، وندعوا الله أن يوفقنا فى ذلك .

الفصل الأول

الحجاب فى الأديان السماوية

الفصل الأول : الحجاب فى التوراة والديانة اليهودية .

الفصل الثانى : الحجاب فى الإنجيل والديانة المسيحية .

الفصل الثالث : الحجاب فى القرآن والديانة الإسلامية .

الحجاب فى الأديان السماوية

توطئة :

نقصد بالحجاب : الحجاب كزى يستر المرأة ، وكخلق لإبداء الزينة ، وكالتزام بالقرار فى البيت ، وذلك وفقًا لأحكام الأديان السماوية الثلاث « اليهودية والمسيحية والإسلام » والمستقاة من كتبها السماوية الثلاث « التوراة ، الإنجيل ، القرآن الكريم»، وذلك بغض النظر عن صحة الكتب السابقة عن القرآن أو عدم الإيمان بها وبقدسيتها ووحيها من الله (١) :

وفى هذا الفصل سنعرض للمباحث التالية :

المبحث الأول : الحجاب فى التوراة والديانة اليهودية .

المبحث الثانى : الحجاب فى الإنجيل والديانة المسيحية .

المبحث الثالث : الحجاب فى القرآن الكريم والديانة الإسلامية .

---

(١) المسلمون يؤمنون بأن إنجيل عيسى عليه السلام وتوراة موسى ـ عليه السلام ـ قد تم تحريفهما وأنهما ليسا الموجودين الآن ، والمسيحيون لا يؤمنون بالقرآن ككتاب إلهى موحى به من الله ، ويَدَّعُون هم واليهود أنه مؤلف بواسطة محمد بن عبد الله وأصله التوراة والإنجيل ، ويؤمنون أيضا أن التوراة كتاب مقدس هو الجزء الأول من الكتاب المقدس والذى يشمل التوراة والإنجيل، واليهود لا يؤمنون بالمسيحية كدين ولا بالإنجيل ككتاب مقدس » .

المبحث الأول

الحجاب فى التوراة والديانة اليهودية (١)

إن أول كتاب مقدس تضمن الحجاب وأحكامه هو التوراة ـ الحالية الذى أوضح أن الحجاب قد سبق رسالة موسى عليه السلام وأنه كان عادة اجتماعية نبيلة تدل على حياء المرأة وحُسن تأدبها ، فالحجاب أولاً وأخيراً هو دليل المحافظة على الشرف والعفة وقد تضمنت التوراة من أحكام الحجاب :

أولاً : الحجاب كزى لستر الوجه والشعر والجسد :

« إن حجاب المرأة كان معروفًا بين العبرانيين من عهد إبراهيم ، ففى الإصحاح الرابع والعشرين من سفر التكوين يقول عن (رفقة) أنها رفعت عينيها فرأت إسحاق فنزلت عن الجمل وقالت للعبد : من هذا الماشى فى الحقل للقائى ؟ فقال العبد : هو سيدى! فأخذت البرقع وتغطت .

وكانت المرأة تغطى رأسها ويقول الأب متى المسكين فى ذلك : « كانت المرأة اليهودية مغطاة الرأس بحيث لا تظهر معالم وجهها على الإطلاق ، حبيسة المنزل ، تحت سلطان زوجها أو أبيها » ويؤكد ذلك ما قامت به رفقة زوجة إسحاق عندما قابلته لأول مرة « وسألت العبد : من هذا الرجل الماشى فى الحقل للقائنا ؟ فقال العبد : «هو سيدى » فتناولت الحجاب وتغطت . . . » [التكوين ٢٤ : ١٥ ، ١٦].

وفى الإصحاح الثامن والثلاثين من سفر التكوين أيضًا أن ثامار : « مضت وقعدت فى بيت أبيها ولما طال الزمان خلعت عنها ثياب ترملها وتغطت ببرقع وتلففت» .

وفى النشيد الخامس من أناشيد سليمان تقول المرأة : « أخبرنى يا من تحبه نفسى

---

(١) سنعرض لهذا الفصل اختصاراً حيث تم تفصيله فى كتابنا : المرأة فى اليهودية والمسيحية والإسلام ـ ط دار الوفاء بالمنصورة .

أين ترعى عند الظهيرة ؟ ولماذا أكون كمقنعة عند قطعان أصحابك ؟ » .

كما تمنع التوراة ارتداء كل جنس لثياب الآخر : « يحظر على المرأة ارتداء ثياب الرجال ، كما يحظر على الرجال ارتداء ثياب النساء ، لأن كل من يفعل ذلك يصبح مكروهًا لدى الرب إلهكم » [التثنية ٢٢ : ٥] » (١) .

ثانيًا : الحجاب بمعنى عدم التزين وإبداء الزينة وغض البصر :

أوضحت التوراة أن لبس ما يظهر العورات هو ثياب الزوانى : « وإذا امرأة استقبلته فى زى زانية ، وخبيثة القلب » [الأمثال ٧ : ١٠] .

كما بينت أن الميوعة فى الكلام من صفات عدم الحشمة : « ليحفظك « الله » من المرأة الأجنبية ، من الغريبة الملقة (٢) بكلامها » [الأمثال ٧ : ٥] .

وقد حذر أشعياء النبى من السفور والتبرج فقال :

« يقول الرب : لأن بنات صهيون متغطرسات ، يمشين بأعناق مشرئبة متغزلات بعيونهن ، متخطرات فى سيرهن ، مجلجلات بخلاخيل أقدامهن ، سيصيبهن الرب بالصلع ، ويعرى عوراتهن ، فى ذلك اليوم ينزع الرب زينة الخلاخيل ، وعصابات رؤوسهن والأهلة ، والأقراط والأساور والبراقع ، والعصائب والسلاسل والأحزمة ، وآنية الطيب والتعاويذ . . . فتحل العفونة محل الطيب والعار عوض الجمال » [أشعياء٣ : ١٦ ـ ٢٤]

والفقرات توضح أقصى أنواع المهانة للمبتذلات من النساء ، وهذا دليل قاطع على وجوب التحجب بمعنى عدم إظهار الزينة والمفاتن (٣) .

واليهود يرون أن صوت المرأة عورة ، فجاء بالموسوعة اليهودية : « وكان الخوف من المرأة باعتبارها مصدرًا للغواية والإغراء ، ربما سبب الانفلات الكبير فى الأمور

---

(١) زكى على السيد أبو غضة : المرأة فى اليهودية والمسيحية والإسلام ص٢٤٤ ـ دار الوفاء بالمنصورة طبعة ٢٠٠٣ م .

(٢) الملقة بكلامها : المائعة المغرية الناعمة فى كلامها .

(٣) المرجع السابق ص٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ومرجعه الموسوعة اليهودية .

الجنسية بين عامة الشعب ، وقيل : إن صوت المرأة عورة ، ويعتبر إثارة جنسية تمامًا مثل شعرها وقدمها ، وأنه لا يجب تحت أى ظرف من الظروف أن تقوم المرأة بالخدمة فى تقديم الطعام » (١) .

غض البصر :

« كان يوجد طائفة يهودية تسمى « **الفريسيين الداميين** » كانوا يضربون رؤوسهم حتى تدمى فى أقرب حائط تكفيرا عن ذنوبهم لأنهم رأوا امرأة ، وكان يحذر على المرأة المشاركة فى معارك الرجال وإن فعلت فكان الجزاء رادعًا ، إذا لم تراعى الحشمة . « إذا تعارك رجلان فتدخلت زوجة أحدهما لتنقذ زوجها من قبضة يد ضاربه ومدت يدها وأمسكت بخصيته ، فاقطعوا يدها ولا تشفقوا عليها » [التثنية٢٥ : ١١ـ١٢]» (٢) .

ثالثًا : الحجاب بمعنى التزام البيت والعمل كربة منزل :

أوضحت التوراة التزام النساء بالبيت والعمل لسعادته سواء بالمجهود والاشتغال بما يناسب المرأة أو بعدم الظهور على الغرباء ومغادرة البيت إلا لضرورة ، فجاء بسفر الأمثال : « امرأة فاضلة من يجدها ؟ لأن ثمنها يفوق اللآلئ تطلب صوفا وكتانا وتشتغل بيدين راضيتين تقوم إذا الليل بعد وتعطى أكلاً لأهل بيتها وفريضة لفتيانها سراجها لا ينطفى بالليل تمد يدها إلى المغزل وتمسك كفاها بالفلكة » (٣) [الأمثال : ١٠ ، ٣] .

وعندما زارت ملائكة الله إبراهيم عليه السلام « للبشرى بمولد إسحاق لم تظهر امرأته عليهم ، وأعدت لهم طعامًا ولم تقدمه هى ، وجاء بالتوراة :

« زار ثلاثة من الملائكة إبراهيم ليبشروه بمولد ابنه إسحاق وخراب سدوم فأعد لهم طعامًا ولما سألوه عن امرأته قال : هاهى فى الخيمة » [التكوين ١٨ : ٩] . هذا

(١ ، ٢) المرجع السابق ص٢٤٤ ، ٢٤٥ ، والمرجع الموسوعة اليهودية .

(٣) ومعنى الفقرة الزوجة الصالحة أغلى من كل الجواهر ، حيث تغزل بيديها وتعمل برضى نفسى ، ترعى أولادها ليلاً ونهارًا وتهتم بتعليم بناتها الأدب والعفة وتعاليم الدين ، لا تستحى من العمل على المغزل واستخدم الفلكة « يد التشغيل » .

ولم تظهر سارة لهم : « وكانت سارة وراءه عند باب الخيمة فسمعت حديثه » . [التكوين١٨ : ١٠] « فضحكت فى نفسها قائلة . . . » [التكوين ١٨ : ١٢] .

والفقرات توضح أن سارة ضحكت فى نفسها ، فقد استحت من الضحك بصوت عال ، ولم تقدم طعامًا بنفسها للأضياف الثلاثة .

ويمكن للمرأة العمل ولكن فيما يناسبها من أعمال مع مراعاة آداب الاحتشام والحياء ، فقد كانت رفقة « اسم امرأة » تملأ الجرة مع الفتيات من أمثالها بلا اختلاط بالرجال ، عندما قابلها عبد « إبراهيم » عليه السلام سألها أن يشرب « فأسرعت وأفرغت جرتها فى المسقاة ، وركضت « أسرعت » إلى البئر لتستقى »

[تكوين٢٤ : ٢٠]

وجاء بالموسوعة اليهودية عن حجاب المرأة : « وكان الخوف من المرأة باعتبارها مصدرًا للغواية والإغراء . . ، ربما بسبب الانفلات الكبير فى الأمور الجنسية بين عامة الشعب ، وقيل : إن صوت المرأة يعتبر إثارة جنسية تمامًا مثل شعرها وقدمها ، وأنه لا يجب تحت أى ظرف أن تقوم المرأة بالخدمة فى تقديم الطعام » (١) .

وهذه الفقرة توضح لنا تحجب المرأة اليهودية داخل بيتها عن الغرباء .

وقد وصف علماء اليهود المرأة السافرة الفاجرة التى تغرى الرجال بأنواع الزينة المختلفة فقالوا عنها : « إبريق مليء بالقاذورات وفمها مليء بالدم ، ومع ذلك يجرى وراءها الجميع » (٢) .

وهكذا يتضح لنا فرض الحجاب بمعانيه المختلفة فى الديانة اليهودية ، وإكرام اليهود للمرأة المتحجبة ، وإهانتهم للسافرة الفاجرة المتزينة بالملبس والمتميعة فى الكلام.

(١، ٢) الموسوعة اليهودية « باللغة الإنجليزية » مترجمة ـ ويلاحظ أن الإسلام أباح استقبال المرأة للأضياف دون خلوة ومع مراعاة آداب الزينة الإسلامية .

المبحث الثانى

الحجاب فى الإنجيل والديانة المسيحية

المسيحية دين أخلاق ، وقد تجاوزت أحيانا تعاليمها الأخلاقية المعقول ، مما جعل تنفيذ بعض هذه التعاليم فعليا صعب التحقيق ، وقد آمنت المسيحية بتعاليم التوراة التى تعتبرها الجزء الأساس الخاص بالتشريع وأطلقت عليه العهد القديم ، ومرجع ذلك وصية المسيح عليه السلام : « لا تظنوا أنى جئت لألغى الشريعة أو الأنبياء ، ما جئت لألغى بل لأكمل » [متى ٥ : ١٧] .

وسنعرض لأحكام الحجاب بمفاهيمه الثلاث :

أولاً : الحجاب كزى لستر الوجه والشعر والجسد .

ثانيًا : الحجاب بمعنى عدم التزين وإبداء الزينة وغض البصر .

ثالثًا : القرار فى البيت والعمل به وآداب الاختلاط .

أولاً : الحجاب كزى لستر الوجه والشعر والجسد :

« ليس للمسيحية لبس خاص للمرأة أى له شروط خاصة ، ولكن اللبس يشترط فيه الحشمة والوقار ، ويلاحظ أن لبس الراهبات فى المسيحية مشابه للبس المسلمات المفروض شرعا ، كما أن المسيحية لا تجيز أى أنواع الزينة للوجه ، كما لا تجيز إجراء أى تعديلات فى الوجه بالماكياج أو العمليات الجراحية .

تغطية رأس المرأة من الاحترام والتقديس :

يقول بولس آمرًا النساء : « (٦) فإذا كانت المرأة لا تغطى رأسها ، فليقص شعرها !ولكن ما دام من العار على المرأة أن يقص شعرها أو يحلق فلتغط رأسها» [١كورنثوس ١١ : ٦] ؛ولذلك كانت وصايا آباء المسيحيين عن الاحتشام حتى فى الاحتفال بالعرس .

يقول البابا يوحنا ذهبى الفم [١] فى العظة رقم ٢ على الرسالة الأولى كورنثوس:

---

(١) المرجع السابق ص٢٤٨ .

حتى يحذر المسيحيين مما قد يؤدى إليه حفل الزواج من إفساد للنقاوة الأخلاقية للمرأة المسيحية ويعرضها للخطر :

« . . . ولكن عندما تجرى احتفالات الزفاف تحدث أشياء تدعو للسخرية والضحك . . . فهناك رقص وصنوج وآلات للنفخ وأغنيات وكلمات هابطة وسكر حتى الثمالة ثم يتم تقديم كل تفاهات الشيطان » .

ثم يوضح تأثير ذلك على العروس فيقول : « كيف لا توجه أقسى أنواع الإدانة لتلك العادات التى تجبر عذراء عاشت طوال حياتها داخل نطاق منزلها ، وعُلمت دروس الحياء ، منذ نعومة أظافرها ، أن تتخلى فجأة عن حيائها تمامًا ، لكى تتعلم أن تنزع برقع الحياء منذ بداية زواجها ، وأن توضع وسط رجال شهوانيين أجلاف دنسين ومخنثين ؟ » [1] .

كما يوصى بولس : « كما أريد أيضا أن تظهر النساء بمظهر لائق محشوم اللباس، متزينات بالحياء والرزانة،غير متحليات بالجدائل والذهب واللآلئ والحلل الغالية الثمن(١٠) بل بما يليق بنساء يعترفن علنا بأنهن يعشن فى تقوى الله » [اتيموثاس ٢ : ٩ ـ ١٠]

وهكذا يتضح أن المسيحية تأمر باحتشام النساء فى الملبس والزى المناسب لهن .

ثانيا : الحجاب بمعنى عدم إبداء الزينة وغض البصر :

« يقول بطرس داعيًا النساء بالحشمة :

« (٣) على المرأة ألا تعتمد الزينة الخارجية لإظهار جمالها ، بضفر الشعر والتحلى بالذهب ، ولبس الثياب الفاخرة (٤) وإنما تعتمد الزينة الداخلية ، ليكون قلبها متزينا بروح الوداعة والهدوء ، هذه هى الزينة التى لا تغنى ، وهى غالية الثمن فى نظر الله» [١ بطرس ٣ : ٣ ـ ٦]

كما توصى التعاليم الدسقولية [2] بعدم التزين للغرباء : « فإذا أردت أن تكونى

---

(١) المرجع السابق ص٢٤٨ .

(٢) التعاليم الدسقولية : تعاليم للرسل ـ حسب ادعاء المسيحيين ـ أى التلاميذ ، وفى اعتقاد المسيحيين أن هذه التعاليم وصايا من الرسل ورثتها الكنائس .

مؤمنة وأن ترضى الله أيتها المرأة لا تتزينى لترضى رجلاً غريبًا ، ولا تشتهى أن تلبسى مقانع وثيابًا وأخفافا ، هذه التى تليق بالزانيات ليتبعك الذين هكذا يُصادون بهذه الأعمال » [1] .

والمسيحية تحرم إجراء المكياج لتعديل الخلقة أو العمليات الجراحية لتغيير الخلقة «لا تزينى وجهك الذى خلق من قبل الله ، لأنه ليس فيه شىء يعوزه التزين ؛ لأن كل شئ خلقه الله حسن جدًا وإذا زُين مالا يعوزه التزين ؛ تزيدون على الخير فتشتمون نعمة الحالق » [2] .

المسيحية لا تؤمن بادعاء النساء : أن الزينة من أجل الزينة وتحذر من الفتنة الناتجة عنها : « ولكن أيضًا تزينت فقط من أجل الزينة والجمال ، فلن تفلتى من الحكم ، غضب الله والتشبه بالزانيات ، لأنك من جهه هذا تلزمين آخر ليتبعك ويشتهيك فتحفظى لكيما لا تقعى فى الخطيئة ولا أيضًا يتشكك آخرون لأجلك » [3] .

وتحرم المسيحية النظرة الحرام : « من نظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها قلبه »

[متى ٥ : ٢٨]

وتحرم المسيحية الصوت العالى أو المتصنع للمرأة يقول بولس : « ليصمت نساؤكم فى الكنائس ، لأنه ليس مسموحًا أن يتكلمن ، بل يخضعن كما يقول الناموس »
[كورنثوس ١١ : ١١]

ومن ذلك يتبين الإيمان المسيحى بضرورة الحشمة والوقار وعدم إبداء الزينة للإغراء أو الإغواء .

ثالثا : الحجاب بمعنى القرار فى البيت والعمل به وآداب الاختلاط :

يوضح بولس الرسول أن هدف الزوجة هو رضى زوجها فيقول : « أما المتزوجة فتهتم بأمور العالم وهدفها أن ترضى زوجها » [١ كورنثوس ٧ : ٣٤] .

وهذه الفقرة توضح ضرورة سعى المرأة والاهتمام بإدارة عالمها وهوْ بيتها وزوجها.

(١ـ٣) الأب متى المسكين : المرأة حقوقها وواجباتها ص٦٦ .

وقد أوضح بولس ضرورة تفرغ المرأة لبيتها ولا تتعلم تعاليم الدين إلا من زوجها فى بيتها فقال : « لتصمت النساء فى الكنائس ، فليس مسموحا لهن أن يتكلمن . . ولكن إذا رغبن فى تعلم شىء فليسألن أزواجهن فى البيت ، لأنه عار على المرأة أن تتكلم فى الجماعة » [١ كورنثوس ١٤ : ٢٤ ، ٢٥] ، فإذا كان عار على المرأة الكلام فى الجماعة فمعنى ذلك لا ضرورة من خروجها من البيت والاختلاط خارجه.

هذا ، ومن تعاليم الكنيسة ، تحريم دخول رجال الدين البيوت والخلوة بالنساء ولو كان للتعليم ، فهذه مهمة النساء :

يحرم دخول الرجال الأجانب والخلوة بالنساء :

« عند قيام الرسل « التلاميذ » بالتبشير والدعوة ، استعانوا بنسائهم معهم لا كزوجات ولكن كأخوات ، على أن يشتركن فى الخدمة معهم ، إنما فى البيوت للنساء اللائى يعشن فى بيوتهن . . . دون أن يثير ذلك شبهات » .

ومن مهام الشماسة المرأة : « خدمة النساء ، لأنك لا تقدر أن ترسل شماسا إلى المنازل إلى النساء بسبب غير المؤمنين ، فترسل الشماسة المرأة ، بسبب فكر الناس الأشرار » .

كما أن من مهامها : « حفظ النظام فى الكنيسة واستقبال النساء الآتيات والترحيب بهن ، وإيجاد مكان لهن فى الكنيسة ، كما تقوم الشماسة بمسح النساء بالدهن المقدس فى العماد » .

ولا شك أن هذه الفقرات توضح الخوف من دخول غرباء البيت حتى لو كانوا رجال دين مخافة سوء الظن » .

وهذه كانت عادة الرسل ، التى قال عنها بولس الرسول : « أليس لنا حق أن نتخذ إحدى الأخوات زوجة ترافقنا ، كما يفعل الرسل الآخرون وإخوة الرب وبطرس؟ » [١ كورنثوس ٩ : ٥] .

وهكذا يتبين إيمان المسيحية النساء بحجاب بكل مفاهيمه .

المبحث الثالث

الحجاب فى القرآن والديانة الإسلامية

منذ أن خلق الله تعالى آدم وحواء عليهما السلام وأسكنهما الجنة ، وجه الخطاب إلى آدم - لكونه القائم على الأسرة - فقال له : ﴿ **إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَىٰ** ﴾ [طه : ١١٨] ولما وسوس إبليس لهما وخالفا وصية الله وأكلا من الشجر انكشفت سوآتهما وانزاحت عنهما ثيابهما ، فجعلا يضعان عليهما من ورق الشجر ، طلبًا للستر واستمساكا بالفطرة الحيية المتأصلة فيهما ، قال تعالى : ﴿ **فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ** ﴾ [الأعراف : ٢٢]. وهكذا يتضح أن انكشاف العورة أمر مذموم فى الفطرة البشرية السوية ، ومرفوض فى الطبع السليم » (١) .

والحجاب فى الإسلام له عدة مفاهيم :

أولاً : الحجاب كزى « ملبس » .

ثانيًا : الحجاب بمعنى عدم إبداء الزينة وغض البصر .

ثالثًا : الحجاب بمعنى الالتزام فى البيت وآداب الاختلاط .

أولاً : الحجاب كزى « ملبس » :

هناك شروط شرعية لصحة زى المرأة المحقق لحشمتها يقول تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾ [الأحزاب : ٥٩] .

كما يقول جل شأنه : ﴿ **وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ** ﴾ [النور: ٣١]

---

(١) المرأة فى اليهودية والمسيحية والإسلام ص٢٥١ ، وفيه تفصيل كامل لآداب الحجاب وهذا التفصيل سيوضح فى الرد على منكرى الحجاب من دعاة التحرر فى فصل قادم .

كيفية الحجاب :

« هناك خلاف فقهى فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [النور : ٣١] ، وقوله تعالى : ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِن ﴾ فالبعض يرى أنه تغطية كل جسد المرأة مع غطاء الوجه كله حتى مبلغ الحاجبين مع ظهور عين واحدة . وآخرون يرون أنه غطاء الوجه كله ما عدا العينين . والبعض يرى جواز كشف الوجه ما دام ليس بفتنة وهذا الخلاف من باب التيسير على المسلمين ، حتى يتيسر لكل مجتمع ولكل شخص التصرف فى حدود شرع الله وفقا للتقاليد والأعراف السائدة وحاجة المجتمع .

شروط الحجاب الشرعى :

١ ـ أن يكون كثيفا غير رقيق ولا شفاف بحيث يمنع رؤية ما تحته .

٢ ـ ألا يكون زينة فى نفسه ، أو مبهرًا ذا ألوان جذابة يلفت الأنظار إليه .

٣ ـ أن يكون واسعا غير ضيق بحيث لا يحدد مواطن العورة فى المرأة ولا أماكن الفتنة فى الجسم لها .

٤ ـ ألا يكون الثوب معطرا فيه إثارة للرجال .

٥ ـ ألا يكون الثوب فيه تشبه بالرجال لحديث أبى هريرة : لعن النبى ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل ، وجاء فى الحديث : « لعن الله المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء » .

ثانيًا : الحجاب بمعنى عدم إبداء الزينة وغض البصر :

يرى الإسلام أن عرض المرأة لمفاتنها وإظهار جمالها والمبالغة فى التزين ـ لغير من أحل الله ـ هو بداية إغراء وإغواء الرجل ، وتلك بداية كل رذيلة وأول أسباب دعوة الرجل لاشتهاء الأنثى ، وتزيين الشيطان للفاحشة والنظرة هى بداية طريق الشيطان .

لذلك كان الأمر الإلهى بعدم إبداء الزينة وغض البصر فى قوله تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ

(٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور : ٣١] .

قال الله تعالى : ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور : ٦٠] .

إن تأمل مواطن الجمال والفتنة من قوام ممشوق ووجه مزين مكشوف وشعر عار مصبوغ هو بداية عمل الشيطان ، فالعين هى أول أدوات العشق وقد عبر الشاعر عن ذلك فقال :

نظرة فابتسامة فسلام ... فكلام فموعد فلقاء

ومن الكمال غض الصوت أيضًا : فكثيرًا ما يكون تلذذ الرجل بالمرأة عن طريق السمع ، فقد قيل « والأذن تعشق قبل العين أحيانا » ، ولهذا نهى الشارع الحكيم المرأة عن الضرب برجلها على الأرض حتى لا يسمع صوت الخلخال فتتحرك شهوة الرجل، وقد دل على أن إظهار مواضع الحلى أبلغ فى الزجر ؛ لكونها تحرك الشهوات. ومن المواضع التى تثير الفتنة ، وتحرك الشهوات ما تفعله المرأة من التعطر والتطيب بأنواع الطيب والتبختر فى المشية واللين فى الكلام ، وتنعيم صوتها إذا خاطبت الرجال ، أو المجاهرة بالأصوات الرقيقة ، أو إظهار بعض مفاتن جسدها ، كنتوء الثديين وفتحة الصدر ، وفتحة الساقين ، وصدق الله القائل : ﴿ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ [الأحزاب : ٣٢] ، وإظهار مواطن الزينة من جسدها بلبس المخيط الشفاف من الملابس التى تحدد مواطن الفتنة فى جسدها ، وهو التبرج المنهى عنه فى قول الله تعالى : ﴿ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى ﴾ [الأحزاب : ٣٣] .

والزينة المشروعة فى الإسلام تنحصر فى دائرة التحلى بأنواع الحلى من الذهب

والفضة والأحجار الكريمة ، واللؤلؤ ، والمرجان ، والتجمل باللباس الطيب والكحل والتخضب بالحناء ، والتعطر بأنواع العطور مما يروق فى نظرهن ، وتميل إليه أنفسهن وكل ما تظهر به جميلة أمام زوجها ، وهذه الزينة من مقتضيات أنوثتهن لما تضفى عليها من الرشاقة والجمال ما تقر به عين الأزواج قال تعالى : ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ** ﴾ [الأعراف : ٣٢] ، وتغيير الشكل بلا مبرر علاجى كتفليج الأسنان أو تقصيرها أو تعمد جراحات التجميل التى لا تعالج عيبًا خلقيا ولكن تهدف إلى مسايرة الموضة ، ليس من الزينة ، وكذلك الباروكات ووصل الشعر » (١) .

ثالثًا : الحجاب بمعنى الالتزام بالبيت وآداب الاختلاط :

يقصد به عدم الخلوة الكاملة لغير محرم مع امرأة فى بيتها ، لأن ذلك غالبًا يكون بعيدًا عن الرقابة مما قد يؤدى إلى الفاحشة ، كما يقصد به حماية المرأة من أن يطلع على عوراتها غريب والعورات هنا يقصد بها مواطن الزينة والفتنة وأيضًا المواطن والمواضع التى تستحى المرأة أن يراها عليها أحد حتى أقرب الأقربين .

وقد نهى الرسول ﷺ عن الخلوة بالمرأة الأجنبية - أى التى يحل للرجل نكاحها فقال ﷺ : « لا يخلون أحد بامرأة إلا مع ذى محرم » (٢) وعن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم منها ، فإن ثالثهما الشيطان » (٣) وعن جابر أيضًا قال : قال رسول الله ﷺ : «لا تلجوا على المغيبات - اللاتى يكون أزواجهن غائبين عنهن - فإن الشيطان يجرى من أحدكم مجرى الدم » (٤) .

ونظرًا لأن القرابة من نسب ومصاهرة أو صداقة قد تؤدى إلى سهولة الخلوة فقد شدد الرسول ﷺ على الخلوة بالأقارب . فعن عقبة بن عامر قال : قال رسول

---

(١) المرجع السابق ص٢٥٣ .

(٢) متفق عليه من حديث ابن عباس رضى الله عنهما .

(٣) رواه أحمد فى مسنده .   (٤) رواه الترمذى .

اللـه ﷺ : « إياكم والدخول على النساء » فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله ، أفرأيت الحمو ؟ قال : « الحمو الموت » (١) ، والحمو هو قريب الزوج .

أصناف الرجال المباح لهم الدخول على النساء والاطلاع على زينتهن :

هذه الأنواع أوضحتها الآية ٣١ من سورة النور وهم :

* الزوج ـ الأب ـ أبو الزوج ـ الأبناء ـ أبناء الأزواج من نساء أخريات ـ الأخوة ـ أولاد الأخوة ـ جميع النساء ، ويلاحظ أن كل هذه الأنواع هى التى لا تطمع فى النساء ومحرم عليهم الزواج بهن .

* **ما ملكت أيمانهن** : المراد النساء من العبيد والإماء وإن رأى البعض أيضًا الرجال من العبيد والإماء .

* **التابعين غير أولى الإربة من الرجال** : أى الذين لا يشتهون النساء لأسباب كالعنة ، البلاهة ، الجب ، الجنون وسائر ما يمنع الرجل أن تشتهى نفسه المرأة .

* **الأطفال** : الذين لم تثيرهم بعد مفاتن النساء ولم يصلوا لمرحلة البلوغ والشهوة .

آداب الاستئذان لدخول البيوت وفى داخل البيوت :

« من وسائل الحجاب الشرعى : الاستئذان قبل دخول البيوت : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ** ﴾ [النور : ٢٧ ـ ٢٩] والهدف عدم تعرض البيوت بما فيها من أسرار عامة أو عورات خاصة للتكشف حتى لو عن غير قصد ، ومن هذه العورات الطعام والشراب ، والتحرر من لبس المعتاد من الثياب . وكل ما لا يحب الإنسان أن يراه أحد عليه ، وكذلك قطع طريق الغواية التى قد تحدث

---

(١) رواه البخارى ومسلم والترمذى .

من انفراد المرأة بالرجل الأجنبى والاستئذان بإلقاء السلام وسماع الرد والإذن بالدخول.

الاستئذان داخل البيت :

هناك أوقات يكون فيها الزوج وزوجته فى البيت فى فترة راحة وسكون أو قيلولة أو متعة ، وفيها قد يكون الإنسان متحرراً من بعض ملابسه أو فى أوضاع زوجية لا يجب أن يراه عليها أولاده أو الآخرون ، فيجب الاستئذان قبل الدخول على الزوج أو الزوجة داخل البيت ويستوى فى الاستئذان الأطفال الذين لم يبلغوا سن البلوغ ، والعبيد والإماء . وهذه الأوقات ثلاثة : قبل صلاة الفجر ، وعند القيلولة ظهراً ، وبعد صلاة العشاء . ويلاحظ أنها أوقات السكون والراحة ، وأوقات مزاولة العلاقة الزوجية الخاصة .

وينبغى القول والتنبيه أن للمرأة مباشرة كل مهامها الاجتماعية والإنسانية داخل منزلها فى حدود الآداب الإسلامية ، وخارج منزلها فى حدود ما أوجبه الشرع من تعاليم سامية فى هذا الشأن .

فالحجاب فى الإسلام لا يهدف إلى تقييد حرية المرأة ولكن إلى صيانة عرض المرأة وحفظ كرامتها » (١) .

وهكذا يتضح أن آداب الحجاب بلغت الكمال فى الاسلام .

---

(١) المرأة فى اليهودية والمسيحية والإسلام ص٢٥٦ ، ٢٥٧ .

الفصل الثانى

الحجاب فى فكر دعاة التحرر

المبحث الأول : الحجاب عادة اجتماعية سبقت الأديان .

المبحث الثانى : الحجاب مناسب للأزمان الغابرة فقط .

المبحث الثالث : الحجاب فكر لرجال الدين وليس من الدين.

المبحث الرابع : الاستياء والغضب لعودة الحجاب ونقد العائدات إليه .

الحجاب فى فكر دعاة التحرر

توطئة :

أوضحنا فى الفصل الأول أن الحجاب بمعانيه المختلفة ، كزى ، وآداب إظهار الزينة ومفاتن المرأة وكآداب الاختلاط التى تبدأ باستقرار النساء فى البيوت وعدم الخروج إلا لضرورة ، كل ذلك من تعاليم الأديان السماوية ، المنظمة لعلاقات المجتمعات الأخلاقية والجنسية والتى يتوقف عليها حفظ الأعراض والأنساب وحماية المجتمعات من التردى إلى هاوية الفواحش والزنا .

والحجاب عادة اجتماعية وأدب أخلاقى يشمل كل شعوب الأرض ، ولكن بدرجات متفاوتة بين الإفراط والتفريط ، وبالرغم من أن الحجاب الإسلامى كزى وكخلق لإبداء الزينة وكآداب منظمة للعلاقات الاجتماعية والأسرية ، فاق كل الأديان والقوانين الوضعية والعادات الاجتماعية إلا أن المسلمين فى تنفيذ أحكامه كانوا بين التشدد والتسيب ولذلك ظهرت دعوات المصلحين الدينيين للعودة إلى تعاليم الدين ، وقد ساندهم فى الدعوة بعض المفكرين الاجتماعيين ، وكالعادة انتهز أعداء الإسلام الفرصة وتحت مسميات عدة للطعن فى آداب الحجاب وأحكامه الشرعية ، ثم تلا ذلك الدعوة إلى السفور ، وأخيرا إلى الفجور .

وفى هذا الفصل ، سنتكلم عن المباحث التالية :

المبحث الأول : الحجاب عادة اجتماعية سبقت الأديان .

المبحث الثانى : الحجاب مناسب للأزمان الغابرة فقط .

المبحث الثالث : الحجاب فكر لرجال الدين وليس من الدين .

المبحث الرابع : الاستياء والغضب لعودة الحجاب وانتقاد العائدات إليه .

المبحث الأول

الحجاب عادة اجتماعية سبقت الأديان

إن الحجاب كتشريع سماوى وآداب اجتماعية هو حقيقة مؤكدة لا خلاف عليها أو حولها ، ولكن دعاة التحرر يرون أنها عادة اجتماعية موروثة عن أمم سابقة ثم أدخلتها الأديان ضمن شرائعها ، ولا أصل لهذا الأدب فى أى دين سماوى [١] .

فتقول د . نوال السعداوى عن ذلك :

« فكرة حجاب المرأة نشأت فى التاريخ البدائى القديم لأسباب صحية وقائية ثم اكتسب على يد اليهود صفة دينية » [٢] .

وتقول فريده النقاش : « وكان الحجاب والحريم من تقاليد المجتمع الفارسى التى لم يعرفها العرب قبل الإسلام أو فى أيام الخلافة » [٣] .

أما الكاتبة إقبال بركة فقد أوضحت أصل ومنشأ الحجاب كزى ثم كسكن فى البيوت فقالت :

أولاً : الحجاب فى التاريخ :

« كان الأشوريون « فى العراق » أول من فرض الخمار على النساء فى التاريخ القديم « قبل الميلاد » وكانوا قومًا يتسمون بالغلظة والقسوة ويعاملون نساءهم بجفاء وخشونة . . . . وكان المنتصرون يسخرون الرجال المهزومين لخدمتهم ، ويستبيحون نساءهم لمتعتهم الشخصية ، لذلك كان من الضرورى تميز الحرائر عن الأرقاء . . . ، «وجاء بأحكام حجاب النساء » :

« لا زوجات الرجال ولا الأرامل ولا النساء الآشوريات اللاتى يخرجن إلى

---

(١) هذا يوضح عدم إيمان دعاة التحرر بالأديان السماوية كلها .

(٢) د . نوال السعداوى : توأم السلطة والجنس ص٢٥ .

(٣) فريده النقاش : حدائق النساء ص١٢٥ .

الطريق يمكنهن ترك رؤوسهن مكشوفة ، بنات الرجل . . . . . لا ينبغى لهن ترك رؤوسهن مكشوفة . . . . المومس يجب ألا تحجب نفسها ، ويجب أن يكون رأسها مكشوفا » .

« وعندما سيطر الفرس على بلاد النهرين اقتبسوا تلك العادة من الآشوريين وانتقلت منهم إلى بلاد الشام وبعض المدن العربية شمال جزيرة العرب قبل الإسلام ، بعد ذلك انتشر الخمار أو البرقع بين نساء بيزنطة وفارس وطروادة وإسبرطة . . . وعندما فتح المسلمون بلاد فارس « إيران » وجدوا النساء معزولات عن الرجال داخل الحريم ، ووجدوا الحرائر من النساء يرفضن الظهور أمام الرجال ، فأعجبتهم الفكرة واقتبسوها وأطلقوا على معتقل النساء « الحريم » .

وقد فرض اليونانيون على نسائهم الاحتجاب منذ القرن الخامس قبل الميلاد . وكانت نساء طيبة (اليونانية) ينتقبن فلا يُرى من وجوههن سوى العيون . وكان بعض الأزواج لا يكتفى بما كانت تفرضه التقاليد من قيود على حرية المرأة ، فكانوا يضعون أختامهم على أبواب دورهم إذا غابوا عن البيت .

وقد اتسم المجتمع اليونانى القديم بتقليل شأن المرأة وازدرائها والحض على تجنبها، وساد هذا الفكر فى نظريات فلاسفة اليونان القدماء وأقوالهم أمثال أرسطو وأفلاطون وفيثاغورس وعن هؤلاء تُنقل أغلب العبارات التى تزدرى المرأة وتتحدث عن نقائصها وتدعو إلى عدم الثقة بها والابتعاد عنها وحبسها داخل دارها . . إلخ ، وقد انتقل هذا الموقف منهم إلى العلماء المسلمين الذين درسوا فلسفة اليونان وعلومهم ، وأول هؤلاء عبد الله بن المقفع (الفارسى) الذى كان أول من دعا إلى حجاب المرأة فى العصر العباسى ونشر بين رجال عصره آراء اليونانيين فيها .

وكانت المرأة المصرية ـ قدماء المصريين ـ ترتدى الباروكة كغطاء للرأس وللزينة ، وكانت النساء اليهوديات يقلدن سيداتهن فى ذلك ، ثم أصبح البرقع « الخمار » مفروضًا على اليهوديات ، وقد ذكر فى أكثر من موضع فى التوراة : « ورفعت رفقة عينيها فرأت إسحاق فنزلت من الجمل ، وقالت للعبد : من هذا الرجل الماشى فى

الحقل للقائنا ؟ فقال العبد : هو سيدى ، فأخذت البرقع وتغطت »

[التكوين ٢٤] » [١] .

وحيث إن دعاة تحرر المرأة أنكروا الحجاب فى الديانة اليهودية ، فمعنى ذلك إنكاره فى المسيحية ويبدو ذلك فى هذا الموقف الذى تصفه د . نوال : « رأينا صورة «هيلارى » زوجة « كلينتون » على الصفحة الأولى فى جريدة النيويورك تايمز «٣/ ٦/ ١٩٩٤ م وهى واقفة إلى جوار البابا واضعة حجابًا أسود حول شعرها . . . أشارت واحدة من النساء إلى صورة هيلارى وقالت :

ألا يدل ذلك على أن حجاب المرأة فكرة سابقة على الإسلام ؟ . . . وقالت أخرى : « كيف يبلغ بها التخلف لترتدى حجابا » ، وقلت لها وأنا أشير إلى طبقة المساحيق فوق وجهها : « أنت ترتدين حجابا ولكن من نوع آخر ، ويمكن أن تسميه حجاب ما بعد الحداثة veil « past modern » . ما الفرق أن تخفى المرأة وجهها بنسيج من القماش أو بطبقة من المساحيق » [٢] .

وقد تناسى هؤلاء أن الحجاب من تعاليم الإنجيل :

وجاء فى الإنجيل : « وكل امرأة تصلى أو تتنبأ وليس على رأسها غطاء تجلب العار على رأسها وإن كشف الغطاء كحلق الشعر تمامًا ، فإذا كانت المرأة لا تغطى رأسها، فليقص شعرها » [١ كورنثوس ١١ : ٥ ، ٦] .

وبالطبع لن يخلو الإسلام من الاتهام بأنه اقتبس أحكام الحجاب من العهود السابقة ، فتقول إقبال بركة :

« إن الحجاب لم يكن بدعة إسلامية ومع ذلك ألصقه أعداء الإسلام بالدين الحنيف لكى يدعموا نظرتهم التى تصم بقهر المرأة ، ورأوا فيه دليلاً على ازدرائها

---

(١) إقبال بركة ، الحجاب رؤية عصرية . ص٣١ ـ ٣٤ ـ الكتاب الذهبى مؤسسة روز اليوسف ـ٢٠٠٢ م .

(٢) د . نوال السعداوى : توأم السلطة والجنس ص١٥٩ ، ١٦٠ .
ومعلوم أن كافة الأديان تنكر إبداء الزينة والتزين من مكياج وخلافه لغير الزوج .

والتحكم فى إرادتها وحرمانها من حرية الاختيار ، واتفق معهم أنصار الحجاب فجعلوها فريضة دينية ، تدل على تعفف المرأة واحتشامها وتحميها من الرجال الفاسقين ووصموا من لا تلتزم به من المسلمات بالعصيان وارتكاب الإثم » (١) .

كما تدعى أن بداية دخول الحجاب الإسلام أيام العباسيين فتقول : « وبدأت الدولة العباسية التى ساد فيها الفرس وغلبت عاداتهم وأعرافهم على المجتمع العربى فى بغداد ، ومنه إلى بقية المدن العربية التى اجتاحها الفرس ، وأسبغ فقهاؤهم على الحجاب الصبغة الدينية واعتبروه نظاما إسلاميا . وكان أبو مسلم الخراسانى (الفارسى) قائد جيش بنى العباس أول من منع خروج النساء مع الجند .

وفى العصر العباسى ازداد وضع الأحاديث (اختلاقها ونسبتها زورا إلى رسول الله ﷺ أو الصحابة) . وأغلب الأحاديث التى ما زال الفقهاء يستدلون بها على فرض الحجاب وإخضاع الزوجة للزوج خضوعا تاما موضوعة أو ضعيفة أو أحادية ، وضعت (زيفت) عن الرسول ﷺ أو عن عمر بن الخطاب أو على بن أبى طالب والحسن رضى الله عنهم وغيرهم ، وأغلبها من وضع (تأليف) رجال نسبوها إليهم زورا بغرض إكسابهم المهابة والاحترام .

مما سبق نرى أن الحجاب والنقاب والفصل بين الجنسين (الحريم) عادات قديمة سنتها مجتمعات أخرى ، ولم تكن خاصة بالعرب أو المسلمين وحدهم لكى تصبح علما عليهم وإشارة إلى هويتهم يتشبثون بها لتميزهم عن غيرهم إلى آخر التاريخ . والجاحظ ، الذى عاش فى نفس عصر ابن المقفع واطلع على علوم اليونان وأخذ كثيرا من أفكارهم ونظرياتهم ، لم ينجرف وراء تيار ازدراء المرأة الذى قاده ابن المقفع ، ودافع عن المرأة متأثرا بثقافته الإسلامية ، وكتب يقول فى إحدى رسائله : إن السفور كان سائدا فى زمن الرسالة بين نساء النبى ونساء الصحابة و « إن الله تعالى خلق من المرأة ولدا من غير ذكر ولم يخلق من الرجل ذكرا من غير أنثى . فخص بالآية العجيبة والبرهان المنير المرأة دون الرجل ، كما خلق المسيح فى بطن مريم من غير ذكر » (٢) .

(١ ، ٢) إقبال بركة : الحجاب رؤية عصرية ص٧٣ .

وبعد هذا العرض السريع الوافى ـ كما أعتقد ـ يمكن القول أن أفكار دعاة التحرر تدور على أن الحجاب بمعناه الكامل وهو تغطية الشعر والملبس المحتشم ، كذلك القرار فى البيت وعدم مغادرته إلا بسبب هو من الآداب السابقة على الأديان ، وقد تأثرت بها الأديان السماوية .

ثانيًا : الرد على ادعاءات الحجاب فى التاريخ :

١ ـ نعم ثم نعم إلى ما لا نهاية ، فإن الحجاب سبق الأديان السماوية التى بدأت باليهودية وانتهت بالإسلام ، وهذا دليل صحته ، فاليهودية هى أول ديانة لها كتاب مقدس « التوراة » ـ بغض النظر عن صحته ولكنها ليست أول دعوة لعبادة الله واتباع شرائعه على الأرض ، فقد سبق موسى أنبياء كثير وعلى مر الزمان ، وكل نبى ممن سبقوا موسى « عليه السلام » دعا بلا شك لمكارم الأخلاق ومنها الحجاب وآدابه ، والتوراة أوضحت أسماء بعض هؤلاء الأنبياء ، والقرآن الكريم تكلم عن خمسة وعشرين نبيًا بالاسم وأوضح أن هناك أنبياء آخرين لقوله تعالى : ﴿ **وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ** ﴾ [النساء : ١٦٤] .

وكون المجتمعات والحضارات السابقة اقتبست تعاليمه من بعضها البعض ، فهذا يدل على فائدته للمجتمع ، كما يلاحظ أن الرجال لا يلجؤون إلى عزل النساء فى الحريم ، وإلباسهن حزام العفة ، ووضعهم أختام على البيوت أثناء الغياب يكون عند انهيار النظام الأخلاقى والجنسى للمجتمع . إن مقابلة هيلارى كلينتون لقداسة البابا يوحنا بولس الثانى وهى محجبة لهو دليل قطعى ، على أن الحجاب من تعاليم الأديان، كما أنه يوضح احترام المرأة لذاتها وتبجيلها وتوقيرها لمن تلقاه . ولكن تلك المرأة التى اندهشت من هذا التصرف ، لم تعرف أن دينها ، يأمر بالحجاب وظنت أنه من تعاليم الإسلام فقط .

الادعاء بأن الحجاب بدعة إسلامية ولم يكن فريضة (١) : وإنما نقله المسلمون عن الفرس .

---

(١) سيتم الرد على ذلك تفصيلا فى فصل قادم .

ونحن نردهم إلى جادة الصواب فنقول :

كان الحجاب على عهد رسول الله ﷺ : « وأنزلت آيات الحجاب على الرسول ﷺ قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى ، وقد تحجبت النساء على عهده ﷺ ، أما الادعاء يوضع أحاديث الحجاب فهو ادعاء باطل ، فالأحاديث الموضوعة كانت لأهداف منها : الأهداف السياسية لمحاولة نُصرة فرقة على أخرى كأحاديث إعلاء شأن معاوية ، وأهل البيت - أحيانا - وهناك أحاديث أخرى للحض على العبادة والدعوة للقيام بصالح الأعمال .

والأولى انتهى أمرها بانتهاء عهدها ، والثانية فلا ضرر منها لأنها تدعو إلى خير وإن بالغت فى قيمة ثوابه ، وهناك أحاديث أخرى عن مناقب الصحابة ، وكل هذه الأحاديث لا تؤدى إلى انحراف العقيدة أو أحكام الشريعة ، ولا يجب أن ننسى اجتهاد العلماء الأجلاء على مر العصور لبيان الأحاديث الصحيحة من الموضوعة وأنشئ لذلك « علم مصطلح الحديث » و « الجرح والتعديل » وخلافه ، ولم يسبق دين أو شريعة الإسلام فى هذا المضمار .

واستشهاد الكاتبة بأقوال الجاحظ قد جانبها فيه الصواب فالسفور كان على عهد الرسول قبل نزول آيات الحجاب ، وإذا كان فضل الله على المرأة كبير حيث جعل ولادة المسيح عليه السلام من امرأة بلا رجل ، فهذه معجزة إلهية لا تتكرر إلا للسيدة مريم العذراء البتول ، ولا يجب أن تكون مقياساً لكافة نساء البشر ، فكل من تلد تدعى أنها ولدت كالسيدة مريم ، إن تكريم الله للرجل كان أكبر حيث إن المرأة نفسها خلقت من الرجل ، فأساس النساء الرجال .

وهكذا يتضح لنا أن انتشار الحجاب قبل الديانات السماوية هو أمر طبيعى لفوائده وأيضا لتنفيذ أحكام الله التى جاء بها الأنبياء قبل الديانات ذات الكتب السماوية .

ونظراً لأن دعاة التحرر دائمى الهجوم على الدين الإسلامى بصفته آخر الاديان السماوية التى تأمر بالحجاب وما زال المسلمون يؤمنون بمشروعيته سواء التزموا به أم لا ، فإننا سنعرض فى مبحث مستقل ادعاء دعاة التحرر بأن الحجاب ليس من القرآن أو السُنة(١) .

(١) سنفرد لذلك مبحثا مستفيضاً إن شاء الله .

المبحث الثانى

مناسبة الحجاب للأزمان الغابرة فقط

توطئة :

يُسقط دعاة التحرر الكثير من الآداب الاجتماعية والأحكام الدينية التى تؤدى إلى الفضائل وتحث عليها وتدعو لاتباعها ، وحجتهم فى ذلك أن أحكام وآداب الماضى لا تصلح للحاضر والمستقبل .

والواقع أن هذه الحجج واهية فمهما تغير الزمان فما زال الإنسان فى حاجة إلى الهدى الإلهى للسمو الروحى والخلقى ، ونلمس هذا واضحا فى الدول المتقدمة التى بلغت قمة الغنى المالى والتطور الاقتصادى ، كالسويد والدانمارك وأمريكا وفرنسا ، فنسبة الانتحار فيهم تفوق بمراحل النسبة فى دول انتشرت فيها المجاعات انتشار النار فى الهشيم .

ودعاة التحرر يدعون :

أولاً : أن الحجاب كان زيا مناسبا لأهل الأزمان الغابرة .

ثانيًا : أن الحجاب لم تعد له ضرورة الآن .

ثالثا : أن الزى ليس مقياسا للعفاف والشرف .

أولاً : الحجاب كان زيًا مناسبًا لأهل الأزمان الغابرة :

تقول د . نوال السعداوى :

« وبالمثل أيضا فكرة حجاب المرأة فقد نشأت فى التاريخ البدائى القديم لأسباب صحية وقائية ثم اكتسبت على يد اليهود صفة دينية .

لم يكن فى وسع النساء فى المجتمع الصحراوى الشحيح الماء أن يجدن وسائل النظافة الكافية خاصة فى فترات الطمث والولادة ولهذا تقرر عزل المرأة فيما يشبه الحجر الصحى خلال أيام الولادة والطمث » [1] .

---

(١) د . نوال السعداوى : توأم السلطة والجنس ص١٢٥ .

كما تقول : إقبال بركة موضحة نفس الفكرة :

« كان الخمار والجلباب هما الزى العملى لنساء الزمن القديم لأسباب جغرافية واجتماعية واقتصادية . وفى شبه الجزيرة العربية ، قبل عصر الرسالة كانت بعض النساء العربيات يرتدين البراقع ويتنقبن ، وقد ذكر ذلك فى كثير من الأشعار القديمة ، وعندما كان البدو يعيشون فى خيام وغرف بلا أبواب ، فى البوادى ، قبل أن تتبدل الحياة إلى مدن وقرى بها بيوت وأبنية كان من الطبيعى أن يتحصن الإنسان داخل ملابسه ، فكان الرجال يرتدون أغطية الرأس مثل القاووق واللبادة والقالباق والقلنسوة، ومازالت بعضها سائدة حتى اليوم فى بلاد المسلمين (كالعمامة والغُترة والكوفية والعقال والطاقية والطربوش . . . إلخ) .

وكانت النساء يغطين رؤوسهن بالخمار ليحمين أنفسهن من تقلبات الجو فى الصحراء ؛ كالرياح والأتربة والأمطار وأشعة شمس الصيف الحارقة إلا أن هذا لم يمنعهن من الاختلاط بالرجال والمشاركة فى الحياة العامة وكن يشاركن فى الحروب والمعارك ، وفى أوقات السلم كن يفدن إلى أسواق الأدب ، مثل سوق عكاظ ، فيستمعن إلى الأشعار والخطب وينشدن أشعارهن ويتبادلن الحديث مع الشعراء » (١) .

ومن السهل اليسير لنا الرد على هذه المزاعم فى النقاط التالية :

١ ـ لم يقتصر الحجاب على المجتمعات البدائية الصحراوية بل امتد لكافة المجتمعات والحضارات الزراعية والبحرية والتجاربة .

ومعلوم أن الظروف الجوية الحارة تؤدى إلى تخفيف الملابس لا التغطية الكاملة الشاملة للمرأة ، أما بالنسبة للرجال فكان تغطية الرأس هو الضمان من ضربة الشمس، وكدليل احترام للذات .

وحجاب المرأة فى اليهودية بمعنى الاحتجاب داخل المنزل لم يكن فقط أيام الطمث والولادة ، ولكنه كان كل وقت طالما لا توجد ضرورة مُلحة للخروج .

وكان حجاب المرأة بمعنى الزى ، وبمعنى السكن فى البيت يشمل كافة المجتمعات

(١) إقبال بركة : الحجاب رؤية عصرية ص٣٤ .

التى تعيش داخل الخيام وخارجها ، فهل الفرس والروم الذين قيل : إن الحجاب نُقل عنهم كانوا مجتمع بدو وخيام ؟!

ثانيًا : الحجاب لم تعد له ضرورة الآن :

ادعاءات دعاة التحرر فى ذلك متعددة لعل أغربها وأبعدها عن الحقيقة قول إقبال بركة : « لقد فُرض الحجاب على المسلمات فى زمن الفوضى الاجتماعية وغياب القوانين والشرطة والمحاكم ﴿ **ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ** ﴾ [الأحزاب :٥٩](١).

ونحن نتساءل : ألم يكن فى عهد رسول الله ﷺ وأثناء نزول القرآن قوانين وشرطة ومحاكم ؟! أم يكن القرآن والسنة هما القانون ، والقاضى هو رسول الله ﷺ ، والمُنفذ هو المجتمع كأمر رسول الله !! هل كانت هناك فوضى فى عهد النبوة ؟؟! ألم تقام محاكمات وتنفذ حدود .

كما توضح سببًا آخر عجيبا يبرر الحجاب فى الأزمان الماضية فتقول : « إن كاتبة تسمى « نظيرة زين الدين » قالت فى كتابها السفور والحجاب الصادر سنة ١٩٢٨م :

« إن غطاء النساء وحجابهن مبنى على حكمة إخفاء المال والجواهر بالنظر إلى الأحوال الخطرة التى اضطر فيها الناس إلى إخفاء أموالهم وجواهرهم ونسائهم ومعتقداتهم خوفا من اعتداء الأشرار وتسلط المستبدين » ، وترى أن النقاب يُفسد النساء ، وأن الفتنة اليوم فى النقاب وليست فى السفور ، وأن الرجال لا يسترون وجوه النساء احترازًا من الإثم ، وأنهم يعلمون أن صيانتهن ليست فى نقابهن ، ولكنهم يريدون تحت هذا الستار دوام استعبادهن ، محرومات من كل حق كخدمات لهم كيف شاؤوا » .

وتسترشد برأى لفقيه معروف فى زمانها هو الشيخ مصطفى الغلايينى الذى كتب فى ١٩٠٨م كتابا عنوانه « الإسلام روح المدنية » يرد فيه على افتراءات اللورد كرومر، وقد اعترف فيه بأن « الحجاب الحاضر مما ينهى عنه الشرع الإسلامى لأنه يغرر الأغرار ويستميل الأشرار .

---

(١) الحجاب رؤية عصرية ص٧٤ .

وقال : « إن ما نشأ بعد الصدر الأول من ستر الوجه واليدين فليس مما أمرت به الشريعة ، وإن من التحجب المطلق ، الذى هو غير شرعى ، ضرراً لا ينكر »[1] .

ونحن نقول :

إذا كان فرض الحجاب لحماية الجواهر والأعراض فنحن أحوج إليه الآن عما قبل خاصة مع ازدياد حالات الاغتصاب والسرقات بالإكراه والقتل بعد الاغتصاب .

والمقصود بقول الفقيه مصطفى الغلاييني : أن الحجاب الحاضر نهى عنه الشرع، هو الحجاب فى عهده وهو اليشمكْ التركى الشفاف المزين بالمجوهرات الذى كان يظهر الجمال ولا يخفيه ، أو الحجاب الشرعى الإسلامى ، فبالعض يراه فى كشف الوجه والكفين فقط وآخرون يرون الستر لهما ما عدا عينًا أو اثنتان ، أما الحجاب المطلق بمعنى عدم الخروج من البيت والحبس الكامل وجعل البيت قبراً ولكن يحوى أحياء فهو بالقطع ليس من أحكام الإسلام ، فالاختلاط المشروع وآداب الحجاب داخل المنزل وخارجه ، تحمى المرأة والرجل من التردى فى هاوية الفاحشة .

والمسلمون كلهم يعلمون أن صيانة المرأة ليست بالحجاب فقط ولكن الحجاب من أسس صيانة المرأة ، إضافة إلى الأخلاق الحميدة وغيرها .

وتدعى إقبال بركة أن الحجاب كان بسبب الرق وهو وسيلة للتمييز العنصرى بين الحرة والأمة والذى أصبح لا وجود له الآن كما أنه يؤدى إلى أذية المسلمات فتقول :

« واليوم بعد أن انتظمت المجتمعات العصرية ، وانتهى الرق تمامًا فى كل بلاد العالم ، هل يعود الحجاب لأنه من المسموح به فى المجتمعات الإسلامية هتك عرض غير المسلمات والتعرض لهن بالإيذاء البدنى والمعنوى .

لقد انقضى الزمن الذى يمكن أن يفيد فيه التمييز بالزى فى منع الإيذاء عن المسلمات ، وقد رأينا أنه ربما جلب عليهن المشاكل عندما يدل على هويتهن ؛ ففى لبنان . . . كانت النساء المحجبات عُرضة للقتل بواسطة قناصى الميليشيات المسيحية ، وفى البوسنة ارتكب الصرب جرائم الاغتصاب والتعذيب ضد المسلمات البوسنيات . .

---

(١) إقبال بركة : الحجاب رؤية عصرية ص١٠٧ ، ١٠٨ .

وفى بداية القرن الحادى والعشرين .. الفلسطينيات والشيشانيات والألبانيات والباكستانيات والهنديات وغيرهن ، يلاقين الأهوال من جنود الجيوش المتصارعة فى عالم يموج بالمعارك الدينية » [1] .

وإننى أقول : إن هذه الفقرات فيها من الإهانة للإسلام ما ندر أن أقرأه من غير المسلمين !! الكاتبة تقول مسمُوح فى المجتمعات الإسلامية هتك عرض غير المسلمات!!

ونحن نردها إلى الصواب هى ومن نهج نهجها فى تعمد الإساءة إلى الإسلام ، عن عمد أو عن جهل أو عن حقد فنقول لها :

« ليس فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله ﷺ نص يأمر بالاسترقاق ، ولكن هناك مئات النصوص تدعو إلى العتق .

ولما كانت مسألة الأرقاء شديدة التعقيد فقد تدرج الإسلام فى حلها كما تدرج فى تحريم الخمر .

الإسلام عند ظهوره وجد منابع الرق كثيرة ومصارفه قليلة أو معدومة فكثر المصارف ونظمها ووسعها ، وردم المنابع ، أو وضع لها من الوصايا ما يجعلها تجف من تلقاء نفسها .

أ ـ منابع الرق قبل الإسلام :

١ ـ أسرى الحروب :

هذا المنبع أصيل سبق الديانات السماوية ، وكان يزاوله الأفراد والقبائل والدول، فالقوى المنتصر يأسر الضعيف المنهزم ، فالرجال إذا نجوا من القتل فهم عبيد، والنساء رقيق .

ثم جاءت الديانة اليهودية فنظمت قواعد الأسر ومالت إلى إفناء وقتل الرجال ، وكذلك النساء واستبقاء العذارى فقط » [2] .

---

(١) إقبال بركة : « الحجاب رؤية عصرية ص٧٤ ، ٧٥ .

(٢) الشيخ محمد الغزالى : الإسلام والاستبداد والسياسى .

فها هو موسى عليه السلام يوصى اليهود بسبى واسترقاق الشعوب المهزومة فيقول :

وحين تتقدمون لمحاربة مدينة فادعوها للصلح أولاً فإن أجابتكم إلى الصلح واستسلمت لكم ، فكل الشعب الساكن فيها يصبح عبيدًا لكم فإن أبت الصلح وحاربتكم فحاصروها فإذا أسقطها الرب إلهكم فى أيديكم فاقتلوا ذكورها بحد السيف وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة من أسلاب فاغتنموها لأنفسكم وتمتعوا بغنائم أعدائكم التى وهبها الرب إلهكم » [التثنية ٢٠ : ١٠ ـ ١٤] [1] » .

هذا ، وقد كان من عادة اليهود قتل الثياب وإبقاء العذارى للاستمتاع بهن كرقيق.

« فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال ، وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر اقتلوها ، ولكن استحيوا لكم كل عذراء » [العدد ٣١ : ١٧ ، ١٨] ، وكان عدد الرقيق : « من العذارى اللاتى لم يضاجعهن ذكر ٣٢٠٠٠ » [العدد ٣١ : ٣٥] .

كما جعلت من منابع ومصادر الرق : الحق فى بيع الرجل لابنته ، وبيع الرجل لنفسه وفاء لسداد ديونه .

ثم جاءت المسيحية فاعترفت بالرق وأمرت العبيد بطاعة أسيادهم واعتبرت ذلك أمرًا مقدسًا ، فجاء فى رسالة بولس إلى مؤمنى أفسس : « أيها العبيد ، أطيعوا ساداتكم البشريين بخوف وارتعاد « رهبة » ، من قلب صادق ، كمن يطيع المسيح . . ، خادمين بنية حسنة كما للرب ، لا للناس » [أفسس ٦ : ٥] .

والمقصود بالعبيد النساء « الإماء » والرجال .

٢ ـ أما فى الإسلام فنظرته للإماء أو العبيد بصفة عامة هى نظرة مساواة إذا أسلم هؤلاء ، وليس هناك تفرقة إلا بسبب الكفر بالله فقط ، ولا تتضمن تعاليم الإسلام هتك عرض الإماء ، وهذا الحق لسيدها فقط الذى يأمره الإسلام بعتقها إن أنجبت منه، وبإكرامها إن عاشرها .

إن القرآن يوضح لنا أن اليهود عندما آمنوا بموسى عليه السلام وكانوا أذلة أرقاء

---

(١) انظر كتابنا : المرأة فى اليهودية والمسيحية والإسلام ص ٧١ .

فى مصر نصرهم الله على المصريين بفضله فقال تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ ﴾

[القصص : ٥ ، ٦]

وأوضح القرآن الكريم أن الزواج بأمَة « عبدة » مسلمة أفضل من حرة كافرة فقال تعالى : ﴿ وَلا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾

[البقرة : ٢٢١]

كما حث القرآن الكريم على الزواج من الإماء : ﴿ وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

[النور : ٢٢]

ويمكن تلخيص بعض مظاهر تكريم العبيد « نساء ورجالاً » ومصادر عتقهم فيما يلى :

١ ـ التكافل الاجتماعى :

لقد جعل الله من أسباب التقرب إليه رعاية العبيد والأسرى ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا ﴾

[الإنسان : ٨ ، ٩]

كما كفل لهم الغذاء والكساء كأوليائهم « مالكيهم » .

فقد قال الرسول ﷺ : « هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليسكه مما يكتسى ، ولا يكلفه ما يغلبه ، فإن كلفه ما يغلبه فليعنه » .

٢ ـ حفظ كرامتهم :

فلا يجور خدشها بسب أو قذف عن أبى هريرة قال : قال الرسول ﷺ : « من

قذف مملوكًا بريئًا مما قال أقيم عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال » .

كما قال عمار بن ياسر : إن رسول الله ﷺ قال : « من ضرب مملوكًا ظلما قيد منه يوم القيامة » .

٣ ـ الحق فى إظهار مواهبه والترقى حتى القيادة بسببها :

صحت إمامة العبد للحر فى الصلاة ، وكان للسيدة عائشة أم المؤمنين عبد يؤمها فى الصلاة .

وقد أُمر المؤمنون بالسمع والطاعة للأمير ولو كان عبدًا حبشيًا ، طالما توافرت فيه الكفاءة .

٤ ـ تضييق مدى الاسترقاق :

أمر الله جل وعلا المسلمين وحثهم على عدم الاسترقاق فقال : ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا** ﴾ [محمد : ٤] .

فهنا تخيير الإمام وإباحة فداء الأسرى يمثل طريقًا قويًا للحد من الأسر والاسترقاق للرجال والنساء .

٥ ـ تنوع طرق العتق : « تحرير الأسرى والإماء » فى الإسلام :

يدعى البعض أن الإسلام والقرآن الكريم لم يشملا أى نصوص لتحرير الرقيق ، والواقع أن عشرات النصوص القرآنيه تدعو إلى العتق وتنظمه .

الحث على العتق :

﴿ **فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ** ﴾ [البلد : ١١ ـ ١٣] .

وجعل عتق الرقاب كفارة للكثير من الذنوب والخطايا منها :

أ ـ القتل الخطأ : ﴿ **وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا** ﴾ [النساء : ٩٢] .

ب ـ والظهار : ﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ﴾ [المجادلة : ٣] والرقبة هنا مؤمنة أو كافرة .

جـ ـ كفارة الأيمان « الحلف بالله » : ﴿ لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ [المائدة : ٨٩] .

د ـ وإفطار رمضان : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ [البقرة : ١٨٤] .
ومعنى يطيقونه أى يستطيعون صيامه بجهد ومشقة قد تؤدى إلى الضعف والهلاك .

هـ ـ كما جعل من مصارف الزكاة تحرير العبيد والأرقاء : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٦٠] .

و ـ وجعل من حق الأسير فداء نفسه :

﴿ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾ [النور : ٣٣] .

والأحاديث النبوية فى ذلك كثيرة :

روى أحمد عن البراء بن عازب : جاء أعرابى إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله . . . علمنى عملاً يدخلنى الجنة . . . قال : « أعتق النسمة وفك الرقبة » ، قال الأعرابى : أليستا واحدة ؟ قال « لا . . . عتق النسمة أن تفرد بعتقها ، وفك الرقبة أن تُعين فى ثمنها » [١] .

وهكذا نجد أن الإسلام أكرم الرقيق رجالاً ونساءً ومهد الطريق لعتقهم .

والمثير للعجب أن الكاتبة نفسها تزكى نظام الرق فى الإسلام فتقول عنه :

لم يكن الأرقاء يلقون فى المشرق الإسلامى المعاملة القاسية نفسها التى أدت إلى انتحار الزنوج الأمريكيين ، وثوراتهم المتتالية على السادة البيض ، فالرجال منهم كانوا

---

(١) الإسلام والاستبداد السياسى ص ١٣١

الأيدى العاملة فى المزارع والمراعى وداخل القصور ، وكانوا المحاربين والأتباع الذين يصل ولاؤهم للسيد إلى حد الموت فداء له ، أما الجوارى فقد احتفظ بهن داخل الحريم على أن تكون مهمة صغيرات السن الجميلات إشاعة المرح والتسيلة فى قصور السيد ، وإشباع الرغبات الحسية « الجنسية » ، له ولأصدقائه ، والمحظوظات منهن قد يتزوجن من السيد وقد ينجبن له الوريث أو ولى العهد ، ولابد أن حلم البيع لسيد شاب وسيم على قدر كبير من الثراء كان يراود فتيات العصور الماضية الفقيرات ، كما تراودهن اليوم أحلام الخلاص عن طريق الشهرة الفنية » (١) .

ثم تقول : « إن الكثيرات من الجوارى كن يفضلن الاستمرار فى الحريم على الانطلاق للحرية ، ذلك بأن الناس فى تلك العهود لم يكونوا يتمتعون بأى قدر من الحرية » (٢) .

ولا شك أن هذا الإكرام للجوارى منشؤه تعاليم الإسلام ، ويكفى أن نفتخر بتعاليم رسولنا ﷺ الذى يقول فى حديث صحيح : « .. ورجل كانت عنده جارية ، وضيئة فأدبها فأحسن أدبها ، ثم أعتقها ، ثم تزوجها يبتغى بذلك وجه الله ، فذلك يؤتى أجره مرتين » .

لقد ادعت الكاتبة أن ما تعانيه المسلمات من الاستعمار فى كل مكان هو نتيجة تمسكهن بالحجاب ، ولنا أن نتساءل : لو أن مسلمات لبنان والهند والبوسنة والهرسك تخلين عن الحجاب فهل سيتخلى عن قتلهن واغتصابهن ودفنهن فى مقابر جماعية ؟!

وطبقا لأقوالها فإن الإسلام أرحم من غيره مع النساء ، فالمسلمون ـ حسب ادعائها ـ يهتكون العرض فقط ، أما غيرهم فيهتكون العرض ويسلبون الروح .

كما تقول مدعية أن الحجاب الإسلامى هو زى عنصرى يجب إلغاؤه فتقول :

« أما اليوم فإن أغلب الدول الغربية أصبحت علمانية ، تسمح بحرية الاعتقاد وممارسة الشعائر لكل الأديان بلا استثناء ، وفقا لدساتيرها لم يعد مسموحًا بالتفرقة أو

---

(١) إقبال بركة : المرأة الجديدة ص٣١ ، ٣٢ مكتبة الأسرة ٢٠٠٣ .

(٢) إقبال بركة: المرأة الجديدة ص٥٤ .

التمييز بين المواطنين لأى سبب ، وألغى تعريف الديانة من البطاقة الشخصية ، وبمقتضى ذلك أصدرت إحدى المحاكم فى فرنسا حكما بطرد فتاتين مسلمتين من إحدى المدارس الفرنسية بسبب ارتدائهما الحجاب ، وثار بين الرأى العام جدل طويل حول هذا الموضوع ، وقيل : إن الحجاب يمكن أن يعرضهما للإيذاء من قبل المتعصبين المسيحيين أو اليمين الرافض لوجود أجانب فى فرنسا .

وفى تركيا . . وافقت أغلبية من الأعضاء على طرد نائبة فى البرلمان وإلغاء عضويتها ، بسبب ارتدائها الحجاب .

وفى مصر ، وهى بلد إسلامى بحكم الدستور ، لم تتورع الذئاب البشرية عن ارتكاب جرائم اغتصاب عديدة ضد الفتيات المحجبات ، بل إن الحجاب لم يثبت حمايته لمن ترتديه من وسوسة الشيطان ، ولم يعصمها من الزلل ، بل أوشك أن يتحول إلى طاقية إخفاء ترتديها بعض المنحرفات لستر نشاطاتهن المنحرفة . . . وصدق الرسول ﷺ الذى روى أنه استيقظ ذات ليلة فقال : « سبحان الله ماذا أُنزل الليلة من الفتن وماذا فُتح من الخزائن ؟ من يوقظ صواحب الحجر ، رُب كاسية فى الدنيا عارية فى الآخرة » (١) .

إن هذه الفقرات السابقة لهى منتهى قمة التناقض ، والكاتبة تقول : إن الدول الغربيه العلمانية أباحت حرية العبادة للجميع ، ومع ذلك تعترض على الحجاب كزى إسلامى لأنه أداة للتمييز بين المواطنين ، فهل اعترض أحد على ارتداء اليهود للطاقية اليهودية وهى غطاء رأس خاص بهم ، ولم لم يعترض أحد على القبعة لنفس السبب ، أو على السارى الهندى ، أو على الملابس الشعبية للدول الإسكندنافية أو غيرها ، إن لكل شعب فى العالم ملبسه المميز له ، فلم الاعتراض على الزى الإسلامى فقط ، إن رؤساء الدول عند زيارتهم لدول أخرى قد يرتدون ملابس هذه الدول الوطنية بهدف التقرب للشعوب ولم يستنكر أحد ذلك ، إنها حرب ضد الإسلام فقط .

لقد استشهدت الكاتبة بطرد فتاتين من مدرسة لإرتدائهما الزى الإسلامى

---

(١) إقبال بركة : الحجاب « رؤية عصرية » ص٧٥ ، ٧٦ .

«الحجاب » ، وللأسف لو تم ارتداؤهن لأى موضة أو لو أصبح الزى الإسلامى موضة عالمية فلن يعترض أحد !!!

· وقضية هاتين الفتاتين لم تنته وقال عنها محمد رشيد العويد : « إذا كان من يدعو إلى السفور ينطلق من دعوى الحرية ؛ فلماذا لا يحترم حرية المحجبة فى اختيار الحجاب ؟

لقد ردت على هؤلاء امرأة غير مسلمة ، وحجتهم بالمنطق نفسه ، منطق حرية الاختيار . إنها الروائية الفرنسية « أنى أرنو » . تقول معلقة على منع طالبات مسلمات فى فرنسا من دخول المدارس وهن محجبات : « أرى أن الحجاب وسيلة تؤكد بواسطته المسلمات هويتهن الثقافية . وهو أمر يجب أن يحترم ، لأن منعه خرق للحرية الشخصية . صحيح أن المدارس الفرنسية علمانية ، لكن هذه مسألة حرية شخصية ، فهناك فرنسيات مسيحيات يأتين إلى المدارس بملابس دينية . . دون أن يحتج أحد » .

وترد على هؤلاء أيضًا ، رئيسة اتحاد التلميذات فى فرنسا « كورين سيلر » ، وسنها ١٧ سنة ، فتقول : « إن الكبار هم الذين يصنعون هذه المشاكل ، ولقد سمعنا كثيرًا من ردود الفعل المتخلفة . إن كل شىء بسيط بالنسبة إلينا . أن تلبس فتاة الإيشارب أو الحجاب . . ليس مشكلة . فى مدرستنا فتاتان ترتديان الحجاب منذ سنتين دون أن يثير ذلك أى مشكلات . كما أن الطالبات اليهوديات اللاتى يتغيبن يوم السبت. . ينقلن بعد ذلك الدروس » .

وكان قريبًا من هذا موقف وزير التعليم الفرنسى « ليونيل جوسبان » الذى أكد على ضرورة احترام آراء الآخرين . . » وكذلك ميشيل روكار رئيس الوزراء الذى يدعو إلى « ضرورة احترام حرية الآخرين وآرائهم » .

وفى بريطانيا . . تكررت المعركة نفسها ؛ حين أقدم رئيس إدارة إحدى المدارس فى لندن ؛ على طرد طالبتين مسلمتين بريطانيتين من أصل باكستانى ، من المدرسة ، بسبب إصرارهما على ارتداء الزى الشرعى الإسلامى . وتلقفت الصحافة والإذاعة ومحطات التلفزة الخبر ، فما إن مضت أيام قليلة حتى سيطرت معركة الزى الشرعى الإسلامى على الساحة السياسية والإعلامية والدينية فى بريطانيا .

وسارع والد الطالبتين ـ وهو من مشاهسر أطباء العيون الاختصاصيين فى لندن ـ إلى رفع عدة شكاوى إلى الهيئات التى تدافع عن حقوق الإنسان ، وإلى الهيئات التى تحارب التفرقة العرقية والعنصرية مطالبًا بإلغاء قرار رئيس إدارة المدرسة البريطانية ، باعتباره قرارًا ينتهك الحرية الشخصية وحرية العقيدة ، وباعتباره قرارًا يحمل رائحة التمييز العرقى والعنصرى كون الطالبتين من أصل أسيوى .

ولم تأخذ معركة الزى الشرعى الإسلامى وقتًا طويلاً ، إذ سرعان ما اضطر رئيس إدارة المدرسة أمام ضعف حججه ومبرراته ، إلى التراجع عن قراره ، وسمح للطالبتين بالعودة إلى المدرسة وهما تلتزمان بالزى الشرعى الإسلامى .

ونقلت محطات الإذاعة والتلفزة خبر عودة الطالبتين إلى المدرسة بالبث الحى المباشر ، وشاهد ملايين البريطانيين عدة مئات من الطالبات البريطانيات يرحبن بالأناشيد والتصفيق بعودة الطالبتين المسلمتين إلى المدرسة ، وشاهدت الملايين أيضًا الأب وهو يحتضن ابنتيه قبل أن تدلفا إلى داخل المدرسة وقد انهمرت دموع الفرح من عينيه وعينى ابنتيه فرحًا بالنصر الذى حققه الله لهما فى معركتهما من أجل الالتزام بطاعة الله عز وجل ، وإطاعة أحكام شريعته .

وهكذا تنتصر المحجبات فى فرنسا وإنجلترا ، حيث الحرية الشخصية مصونة ، بينما يمنع الحجاب فى بعض أقطار المسلمين ؛ فى الوقت الذى لا يُمنع فيه التكشف . . بل العرى ! » (١) .

إننى اتعجب من حال دعاة التحرر ، إذا قامت دعوة لفجور النساء وتسيبهن نادوا بها واعتنقوها كمذهب يجب تقديسه ، وإذا ماتم العودة إلى فضيلة أو إحياء أدب سماوى أو شريعة إلهية أقاموا الدنيا ضدها ، وصدق فيهم قوله تبارك وتعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا** ﴾ [النساء : ٦٠].

فهاهم يصفقون وتتعالى أصواتهم مهنئين ومباركين لأن نائبة فى البرلمان التركى

(١) محمد رشيد العويد : من أجل تحرير حقيقى للمرأة ص١٠٥ ـ ١٥٧ .

تحجبت فتم طردها من البرلمان ، إن الخطأ ليس خطأ النائبة ولكن خطأ النظام الذى كان أول دولة إسلامية تنبذ تعاليم دينها وتعلن العلمانية ، وكانت رئيسة حكومة لها امرأة كانت فنانة « ممثلة وراقصة » .

أما الادعاء بأن الحجاب لم يمنع الذئاب البشرية من اغتصاب متحجبة فهذه الحادثة كانت استثناء ، ولو تم عمل إحصائيات لحال المغتصبات لتبين أن ٩٩ ٪ منهن غير محجبات ، ولعلم دعاة التحرر بذلك فلن تعلن إحصائيات كهذه .

والقول بأن الحجاب لا يمنع وسوسة النفس ، فهذه ليست مهمة الحجاب لأن النفس أى نفس وكل نفس يوسوس لها الشيطان ، وقد تحلم ببعض المتع أو الشهوات، فالنفس أمارة بالسوء ، ولكن الحجاب كزى وكأدب خلقى لعدم إبداء الزينة والاختلاط سيؤدى إلى إنهاء هذه الوساس وعدم إخراجها إلى حيز التنفيذ ، وقد أوضح الرسول ﷺ أن من هم بسيئة ولم يعملها كتبت له حسنة كاملة .

ولا شك أن هناك الكثيرات من المستهترات يستخدمن الحجاب لستر أعمالهم الشائنة وهذه حقيقة ، ولكن بالحجاب وبغيره فإنهن سيزاولن ما اعتدنه من آثام ، ومهما يكن فنسب من يلجأ لذلك فى المجتمع محدودة جدًا ، فالإنسان يستخدم الطائرات فى تنقلاته بالرغم من وقوع بعض حوات الطيران الأليمة كل فترة .

أما الاسترشاد بحديث الرسول ﷺ : « رب كاسية فى الدنيا عارية يوم القيامة » فالحديث يوضح توالى الفتن والبلايا على الإنسانية حتى إنها قد تودى بالمتحجبة أى صاحبة الخلق الرفيع ، فما بالنا بغيرها السافرة . إنه حديث يوضح قوة الفتن وعمومها، وليس كما تحاول الكاتبة الإيحاء أن المتحجبات أهل النار » ؟!!!

ثالثا : الزى والتزام البيوت ليس مقياسًا للعفاف :

أ ـ نقد الحجاب كزى لستر الجسم ، وكأدب لستر العرض وحماية الشرف ما أجمل ما يتغنى به دعاة التحرر من أقوال تبدو للسامع جميلة براقة ولكنها للمتدبر تظهر قبيحة معتمة ، فهم يتكلمون عن ضرورة صلاح القلوب لا القوالب ، وكأن آداب الحجاب كزى وكآداب الاختلاط داخل البيت وخارجه ليست من صلاح القلوب

والعقول والعواطف وغيرها فها هى نظيرة زين الدين تقول :

« إننى أرى الحرية روح النهضة فى الأمة الإسلامية ، وأعدها « اعتبرها » ركن الرقى والسعادة فى الهيئة الاجتماعية ، إنى أريدها محيطة بالعالم كحلقات من نور . . . ، « وللمسلم » أن يتخذ ملبسًا لرأسه ما يراه نافعا لائقا ، وليجل الدين عن أن يتخذ شكل الملابس، وسيلة للطعن فى إيمان اللابس . . . ، لا تبحث عن الدين يا سيدى فى مثل هذه الأمور ، بل ابحث إن شئت عن العادة آفة الشرف ، وآفة العقل، وآفة الدين ، تلك التى جعلت الشرقيين يهتمون دائما للملابس والظواهر ، ولا يعبؤون بمكونات القلوب والسرائر ، تلك التى عودتهم أن يقيدوا الحركات الجسدية ويهملوا التربية الروحية ، ناسين أن الروح جوهر والجسد عرض ، وأن الأمر بيد الروح لا بيد الجسد » (١) .

وتنتهج نفس المنهج د . نوال السعداوى فتقول : « إن أخلاق المرأة القوية ، أو أخلاق الرجل لا علاقة لها بشكل غطاء الرأس أو العنق أو النحر ، قد تغطى المرأة أو الرجل رأسها بطرحة أو قبعة ، أو عقال أو تيربون ، ويظل عقلها مشغولاً بأشياء غير أخلاقية » (٢) .

وأدلت سناء المصرى بدلوها فقالت : « من الطريف أن الجماعات الإسلامية إمعانًا منها فى فرض جو إرهابى يحلل لها تحقير نساء العصر الحديث تلجأ إلى تشبيههن بنساء العصر الجاهلى ، طالما أن صورة الجاهلية ترتبط فى ذهن الناس بكل ما هو مذموم ، ولكن ما وجه الشبه بيننا نحن نساء القرن العشرين وبين من يسمين بالجاهليات ، فنحن لا نرتدى ملابسهن ، ولا نفكر بطريقتهن ، ولا نعيش وضعهن الاجتماعى وعلاقاتهن بالجنس الآخر من الرجال ، والفرق بيننا وبينهن ليس رقم الأربعة عشر قرنا فى حسابه العددى بل ميراث حضارة وتجارب وخبرات وأفكار التطور التاريخى عبر هذا الزمن الطويل . . » (٣) .

---

(١) إقبال بركة : الحجاب رؤية عصرية ص١٠٧ .

(٢) د . نوال السعداوى : توأم السلطة والجنس ص٦٧ .

(٣) سناء المصرى : خلف الحجاب ص : ٣٦ ، ٣٧ .

كما تقول متهمة الجماعات الإسلامية : « وهم - الجماعات الإسلامية - حينما يطالبونها بإخفاء جسدها العورة ويسبونها بأقذع الشتائم وأبشع الصفات . . . يغازلون لديها - فى نفس الوقت - المثيرات الحسية ويطالبونها بأن تكون عاهرة للزوج فى مواضع أخرى . . . والمادة التى تدور حول تصورهم هذا من الغزارة والفجاجة بحيث كان يكفى تجميعها ووضعها إلى جوار بعضها البعض لتعطى صورة صارخة عن هؤلاء الذين يدعون الدفاع عن المرأة ، ويتحدثون باسم الدفاع عنها » (١) .

ونحن نقول لهؤلاء وأولئك بادئين بالرد على « نظيرة زين الدين » : إن الدين هو الذى أمرنا بالحجاب بمفاهيمه المختلفة ، والادعاء بأن بُخل الدين عن آداب الملبس هو الدعوة لنبذ تعاليم الدين ، ونود أن نوضح لها أن روح النهضة فى الأمة التى انتسبت إلى الإسلام وسُميت حضارتها بالحضارة الإسلامية لن يكون إلا بالعودة إلى تعاليم الإسلام ، ولن يُحاط العالم أجمع بحلقات من نور إلا لو اتبع المسلمون وغيرهم تعاليم دينهم لقوله تعالى : ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ** ﴿١٥﴾ **يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [المائدة : ١٥ ، ١٦] .

وما أحوج غير أهل الكتاب لنور الله وكتابه « القرآن الكريم » ، ولو أننا اتبعنا تعاليم وأحكام سورة النور فى القرآن الكريم لكانت بداية لإصلاح القلوب والعقول والأفئدة ، وصدق تعالى حيث قال عنها : ﴿ **سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ [النور : ١] ، إن تلك الآيات هى أحكام الله التى يجب إتباعها والتى ترمى إلى الحجاب وحفظ الجسد من الزنا والعرض من الضياع ، وعقاب المفرط فى جسده بالزنا والمتهم المحصنات بالفاحشة وغير ذلك .

إن الادعاء بأن « الأمر بيد الروح لا بيد الجسد ، لا يقصد منه سوى الإشارة بأن الإنسان لن يحاسب عن شهوات الجسد المحرمة ، وتلك أكذوبة ، صحيح أن السمو

---

(١) سناء المصرى : خلف الحجاب ص : ٣٦ ، ٣٧ .

والكاتبة تحاول نسب الحجاب لتعاليم الجماعات الإسلامية ، وليس لتعاليم الإسلام .

الروحى يؤدى إلى السمو الجسدى ، ولكن أعضاء الجسد من يد ورجل ولسان وأعضاء تناسيلة وعقل وجميع الجوارح هى التى تفعل الخير أو الشر ، ولذلك فهم شهود على ما فعلوه يوم القيامة .

إن هذه الادعاءت تلاعب لفظى بالكلام لإضلال الناس ، وتغيير أفكارهم ودفعهم بهدوء ورقة وحنان إلى طريق الشيطان وقد أمرنا الله ألا نتبع خطوات الشيطان فقال العلى القدير : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٢١] .

وفى ردنا على د . نوال السعداوى نقول : إن الملبس ليس هو معيار الخلق الرفيع الوحيد ، ولكنه من أحد المعايير المؤدية إلى ذلك وهو من شروط اكتمال الإيمان والتوبة والصلاح ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور : ٣١] .

وقد أوضح الله بعض صفات المؤمنين والمؤمنات فقال : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٣٥] .

فإذا كان الحجاب بمفهومه الواسع هو طريق لحفظ النفس من الزلل والخطأ والخطيئة والزنا فإنه يُعد من شروط الإسلام والإيمان .

وكما سبق الإيضاح فإن الله يحاسب عن الأعمال والأفعال ، وليس عن التفكير

والنوايا التى لا تنفذ يجعل التفكير فى الذنب وعدم إتيانه حسنة لقول الرسول ﷺ : «من هم بفعل سيئة ولم يفعلها كتبت له حسنة » ، نحن لم نخلق لنكون ملائكة على الأرض ، ولكن بشر كلما أطعنا تعاليم الله كلما نجونا من خطايا بشريتنا وسوء اختيارنا.

وفى الرد على سناء المصرى نقول : « إن فكرة تشبيه السافرات الغانيات الإباحيات بنساء الجاهلية ، ليست فكرًا لجماعات إسلامية ، ولكنها أمر لرسول الله ﷺ بألا نتبع أهواء المغرضين الداعين لنبذ تعاليم الدين ، وهى نبوءة للمسلمين من بعده ﷺ ألا يتبعوا من يفتنهم عن تعاليم دينهم فى أى زمان أو مكان ؛ لأن ذلك هو عودة إلى أخلاق وضيعة منحطة سابقة لا يجب أن يتحلى بها أهل القرون التالية سواء بعد أربعة عشرًا قرنًا أو مليون فقال تعالى : ﴿ **وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾ [المائدة : ٤٩ ، ٥٠] .

صحيح أنه يفصلنا عن أهل الجاهلية أربعة عشر قرنًا من التقدم العلمى والتكنولوجى ، ولكن أيضا يفصلنا عنهم أربعة عشر قرنًا من التخلف الأخلاقى لابتعادنا عن أحكام ديننا .

وفى ردى على ما ادعته سناء المصرى من أن الجماعات الإسلامية تطالب بإخفاء المرأة لجسدها لغير الزوج ، وأن تكون عاهرة للزوج أتذكر قول الشاعر :

وإذا أتتك مذمتى من ناقص فهى الشهادة بأنى كامل

وأشهد لها فأقول : إنها هذه المرة الأولى التى تصدق فيها الكاتبة ولا تفترى على الإسلام كذبا ، فما قالته هو حق وحقيقة إسلامية ، وليست بدعة للجماعات الإسلامية .

إن الإسلام هو دين الكمال الإنسانى وهو ما يعبر عنه بالوسطية ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا** ﴾ [البقرة : ١٤٣] ، والوسطية هنا هى الاعتدال فالوصول إلى

الكمال، فمن الناحية الجنسية وإشباع الرغبة الجنسية وقضاء الشهوة ، لم يدع الإسلام إلى كبت ما أودع الله فى البشر من غريزة ، كما لم يدع إلى التعبير الحر الكامل عن هذه الغرائز ولكنه جعل حماية النفس من الوقوع فى الفاحشة والوقوع فى الزنا فضيلة مع غير الزوج وقنن الأحكام والسُبل التى تساعد على ذلك وعلى رأسها الحجاب ، كما جعل حرية الاستمتاع العاطفى والجنسى المتبادلة بين الزوج وزوجته فضيلة يثاب عليها المسلم ، بل أوضح القرآن الكريم والسنة النبوية فى أدب وحياء - واجبات الزوج والزوجة الجنسية لقضاء الشهوة والوصول لقمة المتعة الجنسية التى هى غاية كل ذكر وأنثى من الزواج وإضافة إلى النسل » .

١ - آداب الجنس فى القرآن الكريم :

* - الحق فى الاستماع الجنسى المتبادل :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم : ٢١].

وهذا الاستمتاع المتبادل والمعبر عنه بالسكن أى الراحة الجنسية والنفسية لقضاء الشهوة ، جعلها الله آية وأيضا رزقا طيبا : **﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾** [النحل : ٧٢] .

كما قال تعالى : **﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾** [البقرة : ١٨٧] .

واللباس الستر ، وما يوارى السوأة ، والزواج بمعنى إقامة علاقة جنسية مشروعة هو ستر لعورة كلا الزوجين ، وهو يختلف عن اتخاذ « الأخدان » العشيقات والزنى ، الذى يُعد انتهاكًا وكشفًا للعورات وضياعًا للشرف ، وإن كان الفعل الجنسى واحدًا ، وقد أوضح الرسول ﷺ ذلك فقال : « واستحللتم فروجهن بكلمة الله » .

والمزاولة الجنسية السليمة أوضحها القرآن : فقال تعالى : **﴿ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢) نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾** [البقرة: ٢٢٢ ، ٢٢٣] .

والآيات توضح المباشرة الجنسية بأى طريقة كانت ولكن فى حالة الطهر من المحيض ، وفى مكان التلقيح وهو الفرج ، أما الدبر فهذا محرم .

٢ ـ آداب الجنس بين الزوج وزوجته فى السنة النبوية :

أوضح الرسول ﷺ ما جاء فى القرآن إجمالاً ، ففصله وأوضحه وأجلى معناه ومن ذلك :

* أهمية المداعبة الجنسية قبل الجماع :

« قال ﷺ : « لا يقعن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة ، وليكن بينهما رسول » قيل : وما الرسول يا رسول الله ؟ قال : « القبلة والكلام » .

والرسول بهذا الحديث الاجتماعى النفسى يقنن مبدأ من أهم مبادئ الحياة الجنسية العملية القويمة ، .. وأول طريقة للتجاوب الجنسى السعيد : قبلات وكلمات ، وهمسات تهيئ الجسد وتوحد الرغبة وتوصل للامتزاج والتجاوب الحق ، والعملية الجنسية إذا كان فيها تجاوب ووفاق جبت كل ما يقف فى طريق الحياة الزوجية من عقاب « وهذه حقيقة » (١) .

* أهمية تحقيق الإشباع الجنسى للزوجة وتحقق سعادتها وقضاء حاجتها الجنسية الصادقة :

إن العلاقة الجنسية بين الزوج وزوجته علاقة تبادلية وهى ليست لإشباع رغبة الزوج فقط ، ولكن لإشباع رغبة الزوجة أيضا .

ويقول الرسول ﷺ موضحًا أهمية ذلك : « إذا جامع أحدكم أهله فليصدقها... ثم إذا قضى حاجته قبل أن تقضى حاجتها فلا يعجلها حتى تقضى حاجتها » .

الحديث يوضح ضرورة إفراغ شهوة المرأة بوصولها إلى مرحلة الشبق « أى الإنزال » كما للرجل .

وحتى يتحقق ذلك فلابد للمرأة أن تتزين لزوجها وتبدى الجمال الظاهر والمستتر

---

(١) محمود بن الشريف : الإسلام والحياة الجنسية ص٣٠ .

وتعرض المفاتن ، وتجلى وتظهر مواضع فتنتها ، وهى بذلك لا تكون عاهرة كما تدعى « سناء المصرى » ولكنها تكون قانتة أى مطيعة لزوجها فى الحب والسعادة والهناء والجنس ولذاته ،فإن فعلت حافظت عليه وإن فشلت ضاع منها سواء بالتعدد أو بغيره.

ويمكننا القول : أن العلاقة الجنسية السليمة فى البيت المسلم بين الزوج وزوجته هى سر سعادة الزواج والإبقاء عليه ، وهى السبيل لقهر شيطان النفس وقطع طرق الزنا ومزاولة الشهوات فى الحرام ، وصدق رسول الله ﷺ حيث قال : « وفى بضع أحدكم صدقة » فسأله الصحابة : وكيف يكون فى بضع أحدنا صدقة ، فأوضح لهم ﷺ أن الرجل إذا استمتع بامرأة فى الحرام كان هذا ذنبا ، وبالتالى فلو استمتع بزوجته فى الحلال فمن الأولى أن يكون ذلك صدقة .

إن تحويل المزايا والفضائل إلى عيوب ورذائل هو عادة ألفها الكثير من دعاة التحرر الكاذب ، فها هى « سناء المصرى » تنتقد حديث رسول الله ﷺ : « المرأة تأتى على صورة شيطان . . فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته ، فليأت أهله فإن معها مثل الذى معها » (١) .

فتقول : « حديث يتكرر استخدامه كثيرا فى أدبيات الجماعات الإسلامية ، ولكن لماذا تصور المرأة على هيئة شيطان . . ؟ ألا يعنى هذا أنها شىء كريه بشع ويجب أن يحارب . . . ألا تقدم تلك الصورة عكس ادعاءات الجماعات الإسلامية بأنها تريد الخير للنساء . . فكيف تريد الخير للشيطان . . . ؟

تلك الازدواجية تبدو واضحة فى جميع خطبهم وكتاباتهم » (٢) .

وأود أن أوضح لها ما يلى :

هذا الحديث ليس من أدبيات الجماعات الإسلامية ولكنه حديث صحيح عن أبى

---

(١) الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه ورواه مسلم وأبو داود والترمذى .

(٢) سناء المصرى : خلف الحجاب صـ٣٥ .

وسبق أن أوضحنا أن « سناء المصرى » لا توجه النقد للإسلام مباشرة . حتى لا ينفر القارئ ولكنها توجه إلى الجماعات الإسلامية باعتبار أن فكرها سقيم وعقيم وليس من الإسلام ـ حسب وجهة نظرها ـ وهى مخطئة فى ذلك بالقطع .

هريرة وأورده مُسلم والترمذى وأبو داود .

إنها لم تفهم « تأتى على صورة شيطان » فمعناه ليس أن المرأة بشعة وكريهة ، ولكن معناه أن الشيطان يزين للرجل أن هناك مزايا جمالية وجنسية تبدو فى المرأة الغريبة المتبرجة قد يظن أنها ليست لدى زوجته ، فيأخذه الشيطان للتفكر والإغواء للزنى بهذه المتبرجة ، والعلاج هو نصيحة الرسول ﷺ للرجل وهى أن يذهب ويجامع امرأته حتى يفرغ تلك الشهوة ، ويدع عنه وساوس الشيطان . . . أليس فى ذلك محافظة على حقوق الزوجة وأعراض الغير ؟؟!

إن هذه الادعاءات هى تحريف للكلم عن مواضعه ومحاولة عقيمة فاسدة لإظهار الحق وكأنه باطل ، وهذه مخادعة أوضحها الله تعالى فقال : ﴿ **يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ** ﴾ [البقرة : ٩ ، ١٠] .

كما وصف الله ضلالهم فقال : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ** ﴾ [ص : ٢٦] .

ب ـ نقد الحجاب بمعنى السكن فى البيت وعدم مغادرته إلا لضرورة :

الإسلام لا يؤمن بحبس النساء فى البيوت حبسًا كاملاً شاملاً وكأن البيت قبر يدفن فيه الأحياء ، ولكنه نظم آداب دخول البيوت واللقاءات داخلها ، كما نظم أسباب إباحة خروج المرأة من بيتها للعمل أو للتنزه أو لغيره فجعل إباحة ذلك لضرورة [١] ومع ذلك تنتقد ذلك د . نوال السعداوى متساءلة :

« اذا كانت المرأة مكانها البيت فلماذا تخرج آلاف أو ملايين الفلاحات المصريات من بيوتهن كل يوم إلى الحقل ؟ ولماذا كانت السيدة خديجة زوجة سيدنا محمد تخرج إلى العمل والتجارة ، وعاش معها عشرين عاما ولم يتزوج عليها امرأة أخرى حتى ماتت » [٢] .

---

(١) انظر كتابنا « المرأة فى اليهودية والمسيحية والإسلام » .

(٢) د . نوال السعداوى : توأم السلطة والجنس ص٦٨ .

وهاهى سناء المصرى تنتقد سكن المرأة فى البيت وتدعى أنه عادة لجماعة إسلامية معينة وليس أدبا وخلقا وشريعة إسلامية فتقول :

« وإذا اعتبرنا البيت هو الخلية الأولى للمجتمع ـ كما يقولون ـ والرجل مسؤولاً عن أسرته مسؤولية مطلقة حتى يعين لها ماذا تقرأ وكيف تفكر وتتصرف .. وهذا الرجل يتلقى أفكاره عن المرشد العام الذى يعتبر مسؤولاً عن أفراد جماعته فيمنح ويمنع ويحلل ويحرم ... فيمكن أن تدرك أى نسق يحكم أفراد تلك الجماعات ، كما لو كانوا يعيشون فى دوائر مغلقة تحكمها عين الرجل الأب أو الزوج ، وعين المرشد العام وسوطه وأوامره ونواهيه ... »[1] .

نقد ما سبق :

إن خروج الفلاحات لمساعدة أزواجهن لا يكون إلا لضرورة ، وعلى ذلك عندما سيطرت الآلة واستغنت الزراعة عن الأيدى العاملة الكثيفة رجعت النساء الفلاحات إلى البيوت مرة ثانية ، مع مراعاة أن الفلاحة كانت تحتجب إذا تبين لها وجود غريب ليس بمحرم أو قريب . وكل هذا من تعاليم الإسلام .

أما السيدة خديجة أم المؤمنين فكانت تشرف على تجارتها ، وكانت تستأجر من يقوم بالانتقال والتجارة من بلد إلى آخر ، فكانت رضى الله عنها أيضا لا تخرج للعمل إلا لضرورة ، والإسلام لا يمنع عمل المرأة لإدارة أموالها طالما كانت الضرورة موجودة .

ومن المعلوم أن آداب وأحكام حجاب المرأة من شريعة الإسلام لا من تشريع رجل دين مهما كان مركزه ، ومهمة رجل الدين فى الإسلام هى توضيح وبيان وشرح الأحكام والدعوة إلى التمسك بها وليس فرضها جبراً .

وتوضح د . نوال السعداوى أن القرار فى البيت ليس فيه صيانة للمرأة فتقول :

« أما هؤلاء الذين يتصورون أن شرف المرأة لا يصان إلا إذا حبست فى البيت ، أو فرض عليها دور معين فى الحياة أو فرض على عقلها أو جسدها الحجاب فهو أيضا

---

(١) سناء المصرى : خلف الحجاب ص١٢ .

منطق يحتاج إلى مناقشة لأن الشرف الإنسانى أولا هو أن يكون للإنسان عقل يفكر به بحرية وبغير قيود أو أحجبة سواء كان هذا الإنسان رجلا أم امرأة » (١) .

وتشرح هذه الفكرة بشىء من التفصيل فتقول : « إن عزل المرأة بالبيت لا علاقة له بالإسلام وإن حجاب المرأة كذلك .

أما أن تنادى مفكرات الإسلام بأن ترتدى المرأة الحجاب أو النقاب حماية لها من حوادث الاغتصاب فهذا أيضا مخالف للعقل والمنطق الذى دعا إليه الإسلام . . وكلنا نعرف أن الفتاة التى تعرضت للاغتصاب أو هتك العرض أو ما شابهه فى ميدان العتبة كانت ترتدى الحجاب وكانت تصلى وتؤدى الفرائض جميعا بل وتدعو إخوتها لذلك أيضا .

علينا أن نعالج المشاكل الاجتماعية علاجا علميا سليما سواء كانت مشاكل مخدرات أو اغتصاب أو سرقة أو رشوة أو فساد أو غيرها .

إن قطعة من القماش تلف بها المرأة رأسها لن تقضى على هذه المشاكل الاجتماعية الخطيرة أو تلغى أسبابها الاقتصادية أو السياسية .

وإن الحماية الحقيقية للمرأة هو عقلها ووعيها وعملها وإرادتها وشجاعتها وقوتها فى مواجهة المشاكل وليس الاختفاء وراء حجاب .

إن أخلاق المرأة القوية الحقيقية تمتحن حين تواجه الحياة والمشاكل وليس داخل الجدارن الأربعة » (٢) .

ونحن نذكرها بأن الدين الإسلامى هو دين العقل والتعقل ، والحجاب ليس بستر لعقل المرأة ، فنساء عهد الرسول ﷺ وما بعده الذين التزموا البيوت ولم يخرجن إلا لضرورة ، فاقوا فى علومهم المتوفرة حينذاك ما وصل إليه السافرات الآن .

« لقد بلغ عدد الرجال من الصفوة حسب التراجم والطبقات لأسماء الأعلام الذين تربوا فى مدرسة النبوة ثمانية آلاف منهم ألف امرأة أى النسبة ٧ : ١ وهى أعلى

---

(١) د . نوال السعداوى : توأم السلطة والجنس ص٨٧ .

(٢) توأم السلطة والجنس ص١٢٧ .

نسبة للريادات النسائية فى أى ثورة من ثورات التحرير أو نهضة من النهضات »[1] ، وكل تلك النسوة لم يخرجن إلى التعلم فى الجامعات والمعاهد ولكن متحجبات ، ومعلوم أن الإسلام هو دين العقل والتعقل ، فجاء لفظ « تعقلون » (٢٤) مرة بالقرآن الكريم ، ولفظ « يعقلون » (٢٢) مرة[2] ، ولكن أوامر الله الشرعية وأحكامه الإلهية لا يجب أن نجعل للعقل رأيًا فيها لأنها أكبر وأعلى وأجل وأحكم من العقول التى قد تختلف فيها وفقا للأهواء والأغراض والثقافات ووجهات النظر المتنوعة ، ولذلك أمرنا الله بطاعته وطاعة رسوله المطلقة فقال : ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا** ﴾ [الأحزاب : ٣٦] .

فالإسلام لم يدع لحجب عقل المرأة أبدًا .

وسبق أن أوضحنا أن اغتصاب متحجبة كان استثناء وهى حالة فريدة من آلاف حالات الاغتصاب .

ونود الإشارة إلى أن الإسلام لم يأمر المرأة بالحجاب كأدب وخلق رفيع ونظم أحكامه الشرعية واعتبر أن هذا هو كل ما يجب أن تكون عليه المرأة ، بل هو جزء أصيل من آداب أُخرى يكمل بعضها بعضا ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ [الأحزاب :٣٥] .

كما قال تعالى : ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ**

---

(١) أ . د . محمد عمارة : شبهات وإجابات حول مكانة المرأة فى الإسلام ١ / ٢٦ وزارة الأوقاف : بمصر العدد (٧٣) .

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقى ، مادة « عقل » .

اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٧١] .

وإننا لنوافقها الرأى فى أننا فى حاجة لعلاج الكثير من المشاكل الاجتماعية للقضاء على الظواهر والأمراض الأخلاقية المتفشية فى المجتمع . وأن أخلاق المرأة القوية هى التى تحميها فى المجتمع وتساعدها على حل ما يلاقيها من مشاكل ، ولكننا نضيف أن الحجاب بمعنى الزى والقرار فى البيت وعدم الخروج من البيت لعمل أو لغيره إلا لضرورة هو أساس حل مشاكل المجتمع الجنسية وما يترتب عليها من بلايا أخرى .

المبحث الثالث

الحجاب فكر لرجال الدين وليس من الدين

توطئة :

الحجاب بالنسبة لدعاة تحرر المرأة يمثل العدو الأول لهم ، فالتمسك به يعنى التمسك بالفضيلة ، وهذا ليس من أهدافهم ، كما أن التمسك به يعنى استمرار قوامة الرجل على المرأة ، ولا ينكر أحد أهمية السفور والفجور اقتصاديا لدول الغرب ، فهو يعنى شراء المزيد من أدوات المكياج والملابس الخليعة والمسايرة لموضات تتغير كل أشهر قليلة ، وهو ما يجنى منها بلايين الدولارات .

فالحجاب للمسلمة معناه ، رجوع إلى العفة والفضيلة ، والاستغناء عن عادات وتقاليد وثقافات وموضات غربية تغسل العقول وكذلك الجيوب .

وحيث إن الدين هو مصدر إيمان المسلمات بالحجاب ، فإن هدم هذا الأساس يعنى النجاح فى نشر السفور والفجور وما يترتب عليه من مهالك .

ودعاة التحرر يدعون أن الأديان السماوية بصفة عامة والإسلام بصفة خاصة تخلو من أحكام الحجاب وفى هذا المبحث سنعرض لما يأتى :

أولاً : الحجاب اختراع دينى للحصول على مكاسب مادية .

ثانيًا : نقد السُنة وكتب ورواة الأحاديث .

ثالثا : المطالبة بإلغاء دور علماء الدين فى الإسلام .

أولاً : الحجاب اختراع دينى للحصول على مكاسب مادية

إن دعاة التحرر يحاولون جاهدين إخراج آداب الحجاب من تعاليم الأديان ، فيفسرون الآيات أحيانا حسب هواهم ، وأحيانًا أخرى يدعون أن الحجاب اختراع فقهى لرجال الدين وهو ليس من الدين .

فها هى د . نوال السعداوى تدعى أن الحجاب كان تشريعيا لكنهة اليهود لاستغلال النساء اقتصاديا فتقول :

« وجاء فى التوراة ما يلى : « وكلم الرب موسى قائلا : إذا حبلت المرأة وولدت تكون نجسة سبعة أيام كما فى أيام طمث علتها تكون نجسة . . ثم تقيم ثلاثة وثلاثين يوما فى دم تطهيرها . . كل شىء مقدس لا تمس . . وإلى المقدس لا تجىء . . وإن ولدت أنثى تكون نجسة أسبوعين ، كما فى طمثها . ثم تقيم ستة وستين يوما فى دم تطهيرها ومتى كملت أيام تطهيرها . . تأتى بخروف وفرخ حمامة أو يمامة ، ذبيحة خطية إلى الكاهن فيقدمها أمام الرب ويكفر عنها » .

وعرفنا من التاريخ أن الكاهن هو الذى كان يأكل الخروف أو الفرخ أو اليمامة وليس الرب ، لكن فكرة عزل المرأة اتخذ شكلا دينيا وتطور من عزل المرأة إلى فرض الحجاب عليها ، واتخذ هذا الحجاب شكل تغطية رأس المرأة أساسا ، مع أن الرأس ليس عورة وليس عضوا جنسيا .

لكن تغطية رأس المرأة فى الدين اليهودى ارتبطت بمصالح الكهنة لأن المرأة حين تغطى رأسها تماما بما فيه الوجه والعينان لا ترى من الذى يأكل الذبيحة التى أتت بها .

وتظن أن الرب هو الذى أكلها وليس الكاهن » (١) .

ونحن نرد عليها قائلين :

وبالرغم من أن هذه الفقرات تحوى بعض الصحة إلا أننا نود إيضاح الحقائق التالية :

---

(١) تؤأم السلطة والجنس : ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

١ ـ إن معنى نجاسة المرأة فى أيام الطمث « العادة الشهرية ـ أنها لا تمس جنسيًا أى يعتزلها الرجل ، وكل الأطباء وغير الأطباء تعرف مضار جماع المرأة أثناء الحيض أو النفاس ، فلم تحاول د. نوال الطبيبة إنكار ذلك ؟!!

٢ ـ بالرغم من أننا كمسلمين لا نعترف بصحة التوراة الحالية ونقول بتحريفها وتبديلها إلا أنى أقول : « إذا كان الكاهن أمر بتغطية رأس المرأة حتى يأكل ذبيحة الخطية ـ الخروف أو الحمامة أو اليمامة ـ فهناك ذبائح أخرى للتكفير تقدم بواسطة الرجال وهم لا يغطون رؤوسهم .

٣ ـ للكاهن نصيب مفروض من الذبيحة ومن النذر فلم يلجأ للاحتيال على النساء ؟؟!

وتؤكد د . نوال أهمية استمرار الحجاب عند الكهنة فتقول :

« كما ارتبطت مصالح الكهنة وحصولهم الدائم على هذه الذبائح بالعمليات الصحية الوقائية مثل ختان الذكور وعزل النساء .

وكان لابد لهؤلاء الكهنة من الاستمرار فى هذه الإجراءات الى الأبد رغم توافر المياه ووسائل النظافة فيما بعد لضمان ورود الذبائح وإن تلاشت الأسباب الأصلية لهذه العمليات مثل قلة المياه وعدم وجود وسائل نظافة .

وهكذا أضفى الكهنة وكانوا هم الأطباء أيضا على هذه العمليات الصحية الصفة الدينية أو القدسية » (١) .

ولنا أن نسألها : هل طمث ونفاس النساء ينقطع بالنظافة بالماء فقط أم أن له مدة زمنية ينقطع بعدها ؟؟

إن ادعاء د . نوال أن وجود الماء يلغى الحجاب واعتزال النساء فترة الحيض والنفاس ادعاء عارٍ عن الحقيقة .

أما فى الإسلام فدعاة التحرر يرون أن الحجاب فكر إسلامى لفقهاء قدماء لم تعد تصلح أفكارهم الآن وإن أصر عليها المعاصرون فتقول « إقبال بركة » :

(١) توأم السلطة والجنس ص١٢٦ .

« إن بعض المهيمنين على تلك الصفحات ـ صفحات الجرائد والمجلات يعتمدون اعتماداً كليا على فتاوى أصدرها فقهاء مسلمون لهم شأنهم العظيم ومكانتهم السامقة ، ولكنهم عاشوا فى عصور سابقة ، وعندما فسروا النصوص الإلهية ، فسروها بعقلية تلك العصور ، واستخرجوا منها الأحكام الشرعية والفتاوى التى تناسب شعوب الزمان والمكان اللذين عاشوهما ولقد كانت لأولئك العلماء الأجلاء أراء مضيئة وكانت لفتواهم الحكيمة أبلغ الأثر فى تهدئة نفوس المسلمين وهدايتهم إلى السبيل الحق وإضاءة عقولهم بنور الإسلام لعصور طويلة » .

فما الاعتراض إذن ؟

« بعض تلك الفتاوى لم يعد يناسب التطور الهائل الذى حدث فى المجتمع .. والتقدم العلمى الذى نعايشه نحن اليوم » (١) .

والفقرات السابقة توضح احترام علماء الدين الأوائل ولكنها أيضا تبين أن علمهم لم يعد يصلح للعصر .

وهاهى نفس الكاتبة تسب أولئك العلماء فتقول :

« لقد هجر العديد من الرجال مهمتهم الأصلية ولبسوا « يونيفورم » الكهان وأمطروا الشعب المصرى بمئات الفتاوى « الملطوشة » دون تبصر أو تعقل من الكتب الصفراء ، ومن فقهاء العصور المظلمة ، وشاع بيننا من يزعم العلم بالدين وهو أو هى لم يقرأ فى حياته كلها أكثر من عشرة أو عشرين كتابًا .. ! وصرنا نسمع عن اجتماعات داخل البيوت تعقد أسبوعيًا أو شهريا يتحلق فيها السيدات حول راقصة سابقة أو فنانة معتزلة تحولت بقدرة قادر إلى فقيهة أو عالمة ومرجع فى الدين الإسلامى.. رأينا المهندس والطبيب والمحامى وقبطان أعالى البحار .. إلخ يجمعون إلى جانب مشاغل مهنهم الأصلية مهنة جديدة ومثيرة هى الزعامة الدينية والوعظ .. وليت هؤلاء أفادوا فى شىء بل نراهم صورة بالكربون من رجال سبقوهم بمئات السنين لا يجرؤون على مخالفتهم كما لو كانوا هم الأنبياء ، وأصحاب الرسالة من أجل هذا

---

(١) خواطر رمضانية ص٣٨ .

انصرف الشباب عن دينهم » (١) .

وفى ردنا على هذه المهاترات نقول :

إن أحكام الإسلام وفتاويه القائمة على الكتاب والسُنة والتى أفتى بها كبار علماء القرون السابقة المضيئة وليست القرون المظلمة الوسطى ، تلك القرون التى سادت فيها الحضارة الإسلامية الكون بأسره ، والتى تحقق فيها قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ** ﴾ [الحج : ٤١] هى أحكام مناسبة لكل زمان ومكان ، فأحكام الدين لا تتغير ، لأنها من الثوابت ولكن فيها من المرونة واختلاف الآراء ما يناسب كل الأزمان وكل المجتمعات وكل الناس .

فالرسول ﷺ لم يلق ربه إلا والدين كامل : ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾ [المائدة : ٣] .

وقد أوضح الرسول ﷺ أن خير علماء الدين هم علماء هذا الزمن المنير ، والذى يدعى دعاة التحرر ظلمته ، فالرسول ﷺ يقول : « خير الناس قرنى هذا والذى يليه والذى يليه » .

إن القرون الهجرية الثلاثة الأولى هى التى أفرزت كبار العلماء المسلمين ، كالشافعى الذى تنبأ به الرسول ﷺ فقال : « عالم قريش يملأ طبق الأرض علمًا » والإمام مالك الذى قيل عنه : « لا يفتى ومالك بالمدينة » وعلماء المذاهب الفقهية الأخرى كأبى حنيفة النعمان ، وأحمد بن حنبل ، والليث بن سعد بمصر ، ثم من جددوا فى نطاق الدين والقرآن والسنة كشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، هؤلاء وأمثالهم وضعوا الأصول الفقهية والآراء الفقهية التى تعد منارة يستضاء بها ويقتدى بهديها فى كل عصر وأوان .

وهذا لا يمنع تجديد الفقه ولا يقفل باب الاجتهاد ولكن من يقوم به علماء الدين الحقيقيون ، الذين يبعثهم الله كل قرن لهداية المسلمين وما أكثرهم الآن ، الأستاذ

---

(١) خواطر رمضانية ص١٢٢ .

الدكتور يوسف القرضاوى ، أ . د . محمد عمارة ، المرحوم الشيخ الشعراوى والمرحوم الشيخ سيد سابق وغيرهم معاصر ولمن قضى نحبه الكثيرين .

لقد ادعت الكاتبة هجر الكثيرين من الرجال والنساء مهنهم الأصلية والقيام بالدعوة للدين والإفتاء ، وهذه ميزة وفضيلة إسلامية ، فالعلم الدينى ليس حكرًا على كهنة معدودين ولكنه ميسر لكل مسلم لقوله تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [التوبة : ٧١] . فالصادق العالم منهم سيبقى والمدعى سيموت فكره وتذهب دعوته ، إن أعظم موسوعة عن المرأة فى الإسلام كتبها عبد الحليم أبو شقة وهو محامٍ أصلاً ، فهل لنا أن نفتخر به وبعمله أم نُسىء إليه وننقده ؟!

إن من أعظم مفكرى هذا العصر د . مصطفى محمود ، فهل لنا أن نعتز به ونبجله أم لا ؟

لقد كان أحد كبار الأطباء مديرًا لدار الأوبرا المصرية منذ سنوات قليلة ولم يعترض أحد على ذلك لعلمه وضلوعه فى الفن مع الطب ، إن الكاتب : نجيب محفوظ حاز على جائزة نوبل فى الأدب وهو أصلاً طبيب ولم يعترض أحد ، بل كان من فخر الأطباء أنه منهم ، ومن افتخار الكتاب أنه قائدهم .

أما قيام المعتزلات للفن وغيره بالوعظ والإرشاد فهو أمر يحمدوا عليه ، إنهن لا يفتين فى الدين ولكن يعطين خلاصة تجاربهن السابقة ويوضحون كيف هداهم الله من شيطان الفن إلى الإيمان والتقى .

إننا نؤمن كمسلمين بأنه لا عصمة من الزلل أو الوقوع فى خطأ إلا للرسول ﷺ، وكون علماء اليوم يقتدون بعلماء الأمس فهذه شهادة بسمو علم الأقدمين ، وارتفاع منزلتهم ، إنهم تراث الإسلام الخالد .

هذا ، وتدعى الكاتبة أن التجارة بالدين أصبحت مهنة تدر الأموال على ممتهنيها فتقول :

« الكتابة فى الدين فى نهاية القرن العشرين أصبحت سلعة رائجة فى العالم

العربى ، سلعة ثمينة يقبل عليها المسلمون بشغف بحثا عن الحقيقة ، ولكى يطهروا أرواحهم وأبدانهم من إعصار الرذائل والرزايا . . . اكتشف البعض أن حديث الدين صار وسيلة مأمونة للحصول على الوظائف والرواتب والمكافآت والمناصب العالية ، يسترضون بها من بيده خزائن وفى تكالبهم هذا بعدوا كثيرا عن جوهر الدين ، وتجاهلوا روحه وأغمضوا عيونهم عن احتياجات الإنسان المعاصر ، وأصموا آذانهم عن هواجسه ومتاعبه ، واختاروا الطريق السهل الممهد لينزلقوا فيه إلى الماضى السحيق إلى عصور التخلف الفكرى وإظلام العقل . . وراحو يغترفون من كتابات مفكريها الذين كانوا رائدين وثوريين فى هذا الوقت ، ولكن أفكارهم لم تعد تناسب عصرنا على الإطلاق . . . متى يصبح لدينا مفكرون عصريون بين العلماء المتخصصين . . يكون لديهم القدرة على استنباط أحكام جديدة من القرآن والسُنة وتقديم تفسيرات عصرية للآيات ، ورؤية موضوعية للسنة الشريفة . . بل متى يكون لدينا عالمات دين قادرات على مواجهة طوفان التطرف والدفاع عن المرأة المسلمة ضد الاتجار بالدين والتخلف الفكرى والعقد النفسية الراسخة ؟!! والسؤال المؤرق المؤلم : لماذا لم يقدنا المتخصصون إلى الصراط المستقيم . . الطريق إلى بناء المدينة الفاضلة والأفراد الفاضلين . . لماذا لم يدلوا المسلم إلى المجتمع المتطور الفاضل ، وأصروا على أن يظل الحال على ما كان عليه منذ أربعة عشر قرنا من الزمان » (١) .

ونحن نقول لها مصححين أفكارها (٢) :

التجارة بالدين الآن تجارة فاشلة فهى لا تؤدى إلى مغانم أو مكاسب مادية ، كما لا تؤدى ـ غالبا ـ إلى رضى أصحاب خزائن المال ، بل رجال الدين الحقيقيون مضطهدون فكريا وجسديا وماليا ، فى زمن يتكلف فيه أغنية فيديو كليب الملايين ويُجنى من ورائها الملايين ، أما من وفقهم الله فى الدعوة وجاؤوا بالجديد السليم فهم قِلة أوصلهم علمهم وأخلاصهم لحب الجماهير ، وهم يدفعون ثمن ذلك ربما بهجر الأوطان .

(١) خواطر رمضانية ص١٠١ ـ ١٠٢ ، ١٠٦ .

(٢) لن نكرر الردود التى تناولتُها من قبل حتى لا نطيل .

أما العلماء المفكرون العصريون فما أكثرهم ولكن لا تعطى لهم الفرصة للقيادة الروحية والدينية ، فوسائل الإعلام والإعلان بشتى أنواعها أصبحت خادمة مطيعة للمغرضين من علماء الإفك والضلال ، وقد وصفهم الحق جلا وعلا فقال : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنصَرُونَ ﴾ [القصص : ٤١] .

وما المقصود بعالمات دين ، إن المقصود نسوة يغيرون أحكام الدين وشريعته بما يناسب ما وصلنا إليه من انحلال أخلاقى وجنسى ، فيحلون ما حرم الله ، ويحرمون ما أحل الله . . باسم حقوق المرأة ، المساواة بين الرجل والمرأة . . حقوق الإنسان . . الصحة الإنجابية حرية المرأة فى جسدها . . إبداء الزينة والتكشف والسفور والعرى باسم الحرية الشخصية . . إلخ .

والمدهش أنه بينما تنادى إقبال بركة بعلماء عصريين تنادى د . نوال السعداوى بعزل رجال الدين عن مهامهم فتقول مستنكرة تدخل رجال الدين فى حياة المسلمين أسوة بغيرهم : « وفى بلادنا لماذا يفعل شيخ الأزهر أو مفتى الديار أو كبار المشايخ ما يفعله البابا أو الفاتيكان فى العالم المسيحى ؟! شهدنا فى السنين الأخيرة كيف كانت السلطة الدينية تتدخل فى أمور الحرب أو السلام أو الفوائد . . بمثل ما تتدخل فى أمور الجنس من ختان الإناث أو ختان الذكور أو إباحة الإجهاض لحالات الحمل غير الشرعى الناتجة عن الاغتصاب » .

أو لم تعلم د . نوال أن هذه الأمور التى تكلمت عنها من أحكام الأديان السماوية وليس الإسلام فحسب !! إن هدف كل هؤلاء ومن سار على دربهم هو تخلى البشر عن الأديان ، بالتخلى أولاً عن شرائع وأحكام الدين ثم التخلى عن العبادة والإيمان بألوهية الله فصدق فيهم قوله تعالى : ﴿ وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ [النجم : ٢٨] .

وأخيرًا فإن سناء المصرى توضح هذا الهدف قائلة :

« إن نقد الأصولية لا يكتمل من وجهة نظرى إلا بالعمل الجدى من أجل فصل الدين كلية عن السياسة ، وإلغاء المادة الثانية من الدستور التى تعين الإسلام دينا للدولة، وتقول : إن مبادئ الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للدستور . . . . . .

إن هذه المادة فى الدستور هى التى تجعل كل أشكال التمييز ضد المرأة شرعية ، فضلا عن أن تحديد دين الدولة يجعلها دولة دينية رغم نفى ذلك ، ويمنح شرعية للقوى التى تكفر كلا من المجتمع والدولة وتضطهد النساء » [١] .

إن الكاتبة بهذا الادعاء والمطلب الأثيم تدعو بطريقة مباشرة للتخلى عن أحكام الله ، وقد أمرنا الله ألا نطيعها هى ومن نادى بندائها فقال : ﴿ **إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّه** ﴾ [الأنعام : ٥٧]

﴿ **وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [غافر : ٢٠] .

وهل ينفع عباد الله المؤمنون به التخلى عن أحكامه .

﴿ **قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنعام : ٧١] .

---

(١) فريدة النقاش : حدائق النساء ص٨ .

ثانيًا : نقد كتب السُنة ورواة الأحاديث

تضمن القرآن الكريم آيات الحجاب كاملة ، سواء كان الحجاب بمعنى الزى أو الملبس أو إبداء الزينة أو القرار فى البيت ، وآداب الخروج منه للعمل ، وآداب الاختلاط ، ولكن أغلب هذه الآيات جاءت مجملة أى لم تفصل بعض الأحكام وتجليها ـ كلفظ إلا ما ظهر منها ـ وترك للسُنة المطهرة تفصيل وتوضيح وشرح وبيان ما قد أجمل معناه أو أشكل مفهومه[1] .

وحيث إن السُنة النبوية المطهرة حفظت فى كتب الأحاديث الصحيحة الستة وغيرها ، كما أنها رويت عن طريق رواة ، استمعوا للرسول ﷺ ونقلوا عنه ما حفظوه ، فمن السهل اليسير لدعاة التحرر ، الطعن فى صحة كتب الأحاديث ، والنيل من صدق ومروءة وإيمان الرواة ، ومن الصعب المحال الطعن فى السُنة كمصدر تشريعى جاء به القرآن الكريم ولا يمكن إهداره .

أ ـ الطعن فى صحة كتب الأحاديث « البخارى ومسلم » :

يؤمن المسلمون فى كل زمان ومكان بأن أعظم كتابين من كتب الأحاديث هما : صحيح البخارى وصحيح مسلم»، وأن صحيح البخارى أصدق كتاب بعد كتاب الله«القرآن» وعلى ذلك فالطعن فيهما أو أحدهما يُعد طعنًا فى كافة ما يليهما من كتب الأحاديث.

وها هى الكاتبة : إقبال بركة تقول عن صحيح البخارى-: « الإمام البخارى . . قد قام برحلة . . جمع أثناءها ستمائة ألف حديث ، وقد حدث لكتاب البخارى ما توقعه الرسول ﷺ إذ احتفى به المسلمون وصاروا يقرؤونه فى المحافل كما يقرأ القرآن الكريم ويقيمون احتفالات كبيرة عند ختام قراءته ، ومازلنا نسمع البعض يحلف به ، ويبحث فيه علاج لأمراضهم . . . . ولم يدون البخارى فى صحيحه سوى ٧٣٩٧ حديثا وقد أمضى ستة عشر عاما يصنف ويرتب أبواب الكتاب » (٢) .

---

(١) فريدة النقاش : حدائق النساء ص٨ .

(٢) خواطر رمضانية ص ٦٩ ، ٧٠ .

والملاحظ أنها تحاول قلب المحاسن وتحويلها إلى مساوئ فتقول : إنه جمع ٦٠٠٠٠٠ حديث صنف منها ٧٣٩٧ حديثا فقط وهذه حقيقة توضح الحرص الشديد على كتابة الصحيح من الحديث وهى تحسب له لا عليه ، والمسلمون يؤمنون أن صحيح البخارى أصدق كتاب بعد كتاب الله « القرآن الكريم » .

ومن المعروف أن أحاديث البخارى بعد إسقاط المكرر حوالى ٤٠٠٠ حديث فقط[١] .

أى أنه « رضى الله عنه وجزاه الله خيرًا » . أنفق ١٦ عام × ٣٦٠ يوم هجرى= ٥٧٦٠ يوما فى جمع وترتيب والتأكد من صحة الحديث سندا « من حيث الرواة » ، ومتنًا « من حيث صحة الألفاظ » أى بمعدل ٥٧٦٠ ÷ ٤٠٠٠ = ١,٤٤ يوما لكل حديث ، فهل بعد ذلك دقة .

ونحن ـ على مر الأيام لم نسمع أحد يحلف به أو يقدسه ، أما الاحتفال به فكان فى القديم يتم باعتباره كتابًا حفظ سُنة الرسول ﷺ وليس لأنه كتاب مقدس .

أما من يبحث فيه عن علاج للأمراض ، فليس لأن به سحر ولكن هناك أحاديث عن فوائد ومزايا لنباتات طبية فيها الشفاء من الأمراض ، وهو ما يسمى بعلم العلاج بالأعشاب ، وهو علم سبقت فيه السُنة العلم الحديث .

وبعد أن انتقدت الكاتبة صحيح البخارى ولكن على استحياء عمدت إلى النقد المباشر الواضح فقالت :

« حتى البخارى ومسلم اللذين يعتبران الحجة القمة فى هذا الشأن « تصنيف الأحاديث الصحيحة » لم يستطع أحدهما الوصول إلى الكمال وأن ينفرد بالقول الفصل كى يكون المرجع الأساسى الوحيد . فالبخارى أخذ عليه بعض العلماء مآخذ كثيرة فى رواته فضعفوا منهم نحو ثمانية رواة ، وفى المتن وصفوا مائة نص بالشذوذ والضعف وكذلك بالنسبة لمسلم »[٢] .

---

(١) صحيح البخارى ، بحاشية السندى ١٠ / ٣ ـ دار إحياء الكتب العربية .

(٢) خواطر رمضانية ص٧٥ .

ونحن نقول لها : إذا فرض فعلا تضعيف ٨ رواة للبخارى فما هى نسبتهم لأعداد رواة البخارى ؟

أجاب على ذلك البخارى فقال :

« كتبت عن ألف وثمانين رجلاً ليس فيهم إلا صاحب حديث كلهم يقول الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص ، وما وضعت فيه - أى فى كتابه الصحيح - حديثا إلا اغتسلت وصليت ركعتين » (١) .

إن النسبة هى ٨ إلى ١٠٨٠ أى ٨ فى الألف ، والثمانية غير متفق اتفاق كامل على ضعفهم .

وإذا كان هناك ١٠٠ حديث ضعيف وشاذ فإن نسبتهم إلى ٧٣٩٧ حديثا تمثل ١,٣٥ ٪ وهذه النسبة لا تنقص من صحة كتاب غير سماوى - بافتراض الاتفاق على ضعف ١٠٠ حديث وهم بين مؤيد ومعارض .

ومعروف أنه لم يكن من أهداف الفقهاء أن يكون مرجع الأحاديث كتاب واحد فقط ، فتعدد الكتب والمصادر هو من وسائل الاستشهاد بصحة ودقة الأحاديث من حيث الرواة « السند » ومن حيث « المتن » وهو ألفاظ الحديث .

إن كل علماء الفلسفة يستشهدون بأقوال سقراط وأرسطو وفيثاغورث وغيرهم من علماء أزمان غابرة كانت قبل الإسلام بمئات السنين ، ومع ذلك لم يفكر أى عالم فى التحرى والتدقيق بصحة تلك المرويات العتيقة ، والمسلمون هم الأمة الوحيدة التى تحققت لنفسها وبنفسها من أحاديث وسنة نبيها ، ولم يسبقها فى ذلك دين سماوى أو فكر أرضى .

إن الإمام مالك عندما انتهى من كتابه القويم « مُوطأ مالك » أراد الخليفة نشره فى البلاد وجعله المصدر الوحيد للفقه فرفض الإمام مالك . ونفى الأمر بالنسبة للأحاديث وكتب الصحاح .

وعلى كل حال نشط علماء المسلمين الأفاضل فى قرون التنوير « الظلام فى فكر

(١) صحيح البخارى بحاشية السندى ص٣ .

دعاة التحرر » فأوضحوا الصحيح من السقيم من الأحاديث حتى أن الكاتبة تقول مادحة :

« وقد شعر العلماء المخلصون بتلك المشكلة التى تواجهها سُنة الرسول ﷺ «وضع الحديث » فأنشؤوا فى القرن الثانى الهجرى علمًا جديدًا سمى بعلم « مُصطلح الحديث » وبأصول هذا العلم حاولوا أن يتوصلوا إلى سبل للتمييز بين ما هو صحيح أى ينتسب للرسول ﷺ وما هو ضعيف أى مشكوك فى انتسابه للرسول ﷺ .

ولا يسعنا إلا أن نزهو بدقة هؤلاء العلماء وجلدهم فى التحرى والتثبت وإصرارهم على التوصل للحقيقة أو الاقتراب منها » (١) .

وهذا الإطراء يوضح إيمان الكاتبة بتنقية السنة المطهرة مما قد دخلها من أحاديث ليست لرسول الله ﷺ فعلاً ، وعلى ذلك فإن ما وصلنا من أحاديث تكفى بجعل السُنة النبوية هى الهادية لنا بعد القرآن الكريم .

ومع ذلك فهى تناقض نفسها فتقول :

« واليوم فى زمن الكومبيوتر والإنترنت ألا يحق لنا نحن أبناء القرن الحادى والعشرين أن نتطلع إلى علماء مسلمين أفاضل يجتهدون ليصلوا إلى تنقية السنة من كل ما لا يتفق وروح الإسلام السمحاء ، ويتناقض مع ديننا الحنيف الذى هو دين لكل زمان ومكان . . . فلماذا نحرم نحن من هذا الحق . . ؟! » (٢) .

ونحن نشاطرها رأيها بالمطالبة بإعادة تنقية السُنة مما قد يكون قد لحق بها من أحاديث نسبت بالخطأ للرسول ﷺ فباب الاجتهاد مفتوح فى كل وقت ، ولكننا نقول ونحن مسؤلوون أمام الله ؛ إن هذه الأيام لا تصلح للقيام بهذا الغرض لأسباب ، منها :

١ ـ تدخل قوى أجنبية مؤكدة ـ وليس محتملاً ـ فى أعمال العلماء الأجلاء الراسخين فى العلم لإجبارهم على تجاوز الصحيح ورفض كثير من الأحاديث التى تتناول الإرهاب العالمى الذى يعانى منه المسلمون الآن سياسيا ، واقتصاديا وعسكريًا ،

(١ ، ٢) خواطر رمضانية : ص٧٢ ، ٧٣ .

كذلك محاولة إلغاء أحاديث الجهاد .

٢ ـ إنها فرصة لن يفوتها دعاة التحرر والفجور والسفور للطعن فى أحاديث الحجاب والخلوة ونشر الفضائل ومحاولة تنقيتها من السُنة الصحيحة .

٣ ـ من المعروف أن علماء الدين الفضلاء يحاربون فى كل مكان وزمان ، وقد تجد بعض القوى السياسية أن هذه فرصته سانحة لتدخل الجهلة ممن يدعون العلم الدينى وهم من العلمانيين الذين لا دين لهم ولا عقيدة ، فى القيام بهذا العمل الجليل الذى تنوء بحمله الجبال المخلصة وليس الكهوف المظلمة .

٤ ـ مهما بلغ العلماء حاليًا من الاجتهاد فلن يصلوا إلى جزء يسير مما حققه الأقدمون من إنصاف للسُنة .

ب ـ نقد الرواة من الصحابة الأجلاء « أبو هريرة » :

يعشق دعاة التحرر نقد « أبى هريرة » رضى الله عنه بصفة خاصة ، ومرجع ذلك ليس لعيوبه ، ولكن لأن أحاديثه ـ حسب ادعائهم ـ ضد تحرر المرأة .

وها هى الكاتبة إقبال بركة توضح ذلك فتقول :

« وقد كانت أحاديث أبى هريرة معادية للمرأة وكمثال لذلك نورد الحديث المنقول عنه عن النبى ﷺ قال والله أعلم : « المرأة والكلب والحمار تقطع الصلاة إذا مرت أمام المؤمن فاصلة بينه وبين القبلة » البخارى .

فعندما استمعت عائشة إلى هذا الحديث المنسوب إلى النبى ﷺ ، رددت قائلة : تقارنوننا الآن بالحمير والكلاب ، والله لقد رأيت النبى ﷺ وهو على أهبة إقامة الصلاة ، وكنت هنالك ممدة على الفراش بينه وبين القبلة ، ولكى لا أشرد بذهنه كنت أتحاشى أن أتحرك » البخارى .

من نصدق إذن ؟! أبا هريرة أم أم المؤمنين عائشة التى أوصانا النبى ﷺ أن نأخذ نصف ديننا عنها . . » (١) .

---

(١) خواطر رمضانية ص٩٤ ، ٩٥ .

ونحن نوضح لها أنها لم تفهم الهدف من الحديث ومعناه الذى أكدته أم المؤمنين السيدة عائشة ، ونقول لها : صدقى وآمنى بالاثنين معًا .

فحديث الرسول يوضح أن مرور المرأة وقد تكون مغرية حتى لو كانت زوجة ، ومرور الحمار وهو حينذاك أداة للركوب والعمل وفيه قضاء للمصالح فقد يأخذ انتباه وفكر المصلى ، ومرور الكلب وهو يلفت الانتباه وقد يكون كلبًا غير معلوم ضرره ، فقد يكون مسعورًا مؤذيا أم لا . . كل ذلك قد يجعل المصلى ينشغل عن الصلاة وبالتالى تقلل من تعقله أى تركيزه الإيمانى فى الصلاة .

وقد فهمت معنى الحديث السيدة عائشة فهى تقول : « أنها كانت ممدة على الفراش أمام الرسول ﷺ : « وكانت تتعمد ألا تتحرك حتى لا تصرف ذهن الرسول ﷺ عن الصلاة » ومعنى ذلك أنها آمنت بضرورة عدم لفت انتباه الرسول لها حتى يعقل صلاته ويؤديها على أكمل وجه ، فالحديث يوافق فعل السيدة عائشة رضى الله عنها ، ولكن غضبها ليس من الحديث فهى آمنت بصحته وعملت به ولكن الغضب هو من أن يظن بعض الناس جهلاً بمعنى الحديث ـ كما حدث مع الكاتبة ـ أن به إهانة للمرأة ، وليس فيه أدنى إهانة إذا فعلت كما فعلت السيدة عائشة .

هذا ، وقد أخذ نقد « إقبال » لأبى هريرة عدة انتقادات منها :

١ ـ إهانته الشخصية والحط من قدره وأمانته :

تقول عنه « إقبال » :

« كان من الفقراء الذين لقبوا بأهل الصفة ، كان بارًا بأمه وقد أقنعها بالإسلام .

اشتهر بالتقوى وحب المزاح ، وأبو هريرة ليس اسمًا حقيقيا له بل هى كنية للرجل ، وذلك لولعه بالقطط الصغيرة . . ويتردد اسمه فى دائرة المعارف الإسلامية بين عبد الرحمن بن صخر ، وعمير بن عامر .

أقامه عمر واليا على البحرين ، ولكنه أقاله واستصفى مالاً كثيرا كان فى حوزته، ثم دعاه لاستئناف عمله فأبى » [1] .

---

(١) خواطر رمضانية ص٩٣ بتصرف يسير .

ونحن لا نرى فيما ذهبت إليه إقبال إهانة لأبى هريرة فالفقر ليس بعيب ، وحب المزاح ليس بنقيصة وولعه بالرحمة بالقطط يزيده شرفًا ، ولو كانت « إقبال » من دعاة « الرفق بالحيوان » لطالبت بأخذ الحديث منه وترك ما سواه .

أما الاختلاف فى اسمه ، فمرجع ذلك إلى أن تراجم الصحابة « أى التعريف بهم » كان فى عهد لاحق ولم تكتب سيرهم إلا متأخرًا [١] : « والثابت أن اسم أبا هريرة فى الجاهلية عبد شمس بن صخر ، فلما أسلم سماه الرسول ﷺ : « عبد الرحمن وأطلق عليه الرسول ﷺ كنية « أبو هريرة » حيث كان يرعى غنمًا لأهله وله قطة صغيرة كان يلعب بها » [٢] .

أما عن قصته مع الولاية والفاروق عمر رضى الله عنه فهى دليل على أمانته الكاملة ، فقد « تولى أبو هريرة إمارة البحرين فى عهد أمير المؤمنين عُمر ، وبعد عام أحضره أمير المؤمنين ، وكان مع أبى هريرة عشرةُ آلافٍ فقال له عُمرُ : من أين لك هذه الأموال ؟

فقال أبو هُريرة : خيلٌ نتجت ، وأُعطية (مرتب) تتابعت ، وخراج رقيق لى ، وعند حساب هذه الأموال وجدها عمر عشرة آلاف فصدقه ، ثم دعاه ليتولى إحدى الإمارات فرفض أبو هريرة .

فقال له عمر : لقد طلب العمل من كان خير منك ، فقال أبو هريرة : من ؟

فقال عُمر : يُوسُفُ عليه السلام .

فقال أبو هُريرة : إن يوسف نبى الله بنُ نبى الله ، وأنا أبو هريرة ابن أُمية ، وأخشى ثلاثًا : أن أقول بغير علم ، أو أقضى بغير حكم ، ويضربَ ظهرى ويُشتم عِرضى ويُنزع مَالى .

---

(١) يلاحظ أن الغزوات والمواقع الحربية الإسلامية اختلف فى وقت حدوثها ليس لعدم الحدوث ولكن للكتابة والتأريخ عنها لاحقا وليس فى حين وقوعها ، فالعرب أمة أمية ولولا القرآن والسنة لما تقدمت .

(٢) أحمد حسن عرابى : أبو هريرة سيد الرواة ص٣ .

وظل أبو هُريرة رافضًا لوظائف الإمارة فى عهد عُمر وعُثمان وعلى ، حتى جاء زمن أمير المؤمنين معاوية ، فاستعمله مُعاوية على المدينة ، فكان أبو هريرة يتولى أمر المدينة ، فإذا غضب منه مُعاوية جعل على المدينة مروان بن الحكم وجعل أبا هُريرة نائبًا لمروان .

فكان أبو هريرة يشترى حاجاته من السوق ، ويحملها بنفسه ، وكان يحمل حزم الحطب ويقول : أوسع الطريق للأمير .

وأراد مروان ذات يوم أن يختبر أبا هريرة ، فبعث إليه مروان بمائة دينار ، فلما كان الغد بعث مروان إلى أبى هُريرة وقال له : لم أردك بها ، أى لم أقصد إرسال المال إليك ، وإنما أردت غيرك . فقال أبو هريرة : قد أخرجتها .

فإذا جاءك عطائى « مرتبى » فخذها منه .

وكان قد تصدق بها » [١] .

ومن ذلك يتضح أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بالرغم من شدة محاسبته للولاة ، لم يأخذ على أبى هريرة أى مآخذ يطعن فى أمانته ، فقد عرض عليه الولاية فأبى ، ثم تولاها فيما بعد ، وكان كثير التصدق فى سبيل الله ، أنفق ما استثمره فى البحرين وغيره على الفقراء ، ولم ينس أنه كان من أهل الصفة [٢] .

ب ـ الإدعاء بضعف ذاكرته وكثرة أحاديثه ورواته :

تقول إقبال بركة : « لم يمض مع الرسول ﷺ إلا ثلاث سنوات فقط ، ومع ذلك استطاعت ذاكرته أن تحمل وتردد ٣٥٠٠ حديث وفى قول آخر ٥٣٠٠ حديث. . . أما عائشة رضى الله عنها فقد روت ١٢١٠ أحاديث . . . وقد عاشت مع النبى ﷺ ورافقته ثمانى سنوات وخمسة شهور ، وكانت صغيرة السن .

والسؤال الذى لابد وأن يجيبنا عنه أحد علمائنا الأجلاء ، كيف تسنى لرجل كان يرى الرسول ﷺ أحيانًا أو بعض الوقت أن يتذكر ويحفظ فى ذاكرته ويروى أضعاف

---

(١) أبو هريرة سيد الرواة ص١٣ ـ ١٥ .

(٢) أهل الصفة ، فقراء كانوا يسكنون المسجد وينامون فيه ويعيشون على الكفاف .

ما روته زوج الرسول ﷺ وشريكة حياته . . . ويكفى أن نتذكر أن أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب ، لم يرو أية أحاديث عن النبى ﷺ ، وأنه قال عن أبى هريرة : إنه أكبر كذاب من المحدثين وأنه لا وازع لديه .

وإذا كان المحدثون من الرواة والمؤرخين قد اختلفوا على اسمه ، فلماذا اتفقوا على صحة روايته . . بعضهم اعترف بأن عددًا كبيرًا مما نُسب إليه من أحاديث قد نُحل إليه « أى نُسب إليه زورًا . .

ألا نتساءل فى حيرة : هل كان أبو هريرة ذلك شخصًا حقيقًا . . أم عِدة أشخاص، أم شخصًا وهميا . . أم . . . ؟! .

لقد اختلق الناس قصة تبرر اعتقادهم بعصمة ذاكرته من الوقوع فى الخطأ . . . فقالوا : إن النبى ﷺ لفه فى بردة بسطت بينهما أثناء حديثهما ، وبذلك ضمن أبو هريرة لنفسه ذاكرة تحفظ كل ما سمع » (١) .

ونحن يسعدنا الرد عليها مع أننا لسنا من العلماء الأجلاء فالرد لا يحتاج إلى علم غزير ، فنقول :

« ظل أبو هريرة مُصاحبًا للنبى ﷺ مُنذ أسلم وحتى تُوفى النبى ﷺ ، فقد كان أبو هريرة مُلازمًا للنبى ﷺ فى الحضر والسفر وشاهد مع النبى ﷺ كل الغزوات التى يرويها أبو هريرة عن النبى ﷺ ، مع أنه أسلم متأخرًا ، فكان أبو هريرة يرد عليهم بقوله : قدمت ورسول الله ﷺ بخيبر ، وأنا يومئذ قد زدت على الثلاثين ، فأقمت معه حتى مات ، أدور معه فى بيوت نسائه وأخدمه وأغزو معه وأحج ، فكنت أعلم الناس بحديثه ، وقد سبقنى قوم بصحبته ، فكانوا يعرفون لزومى للنبى ﷺ فيسألونى عن حديثه ، منهم عُمر وعُثمان وعلى وطلحة والزبير ، وإنى كُنت امرءًا مِسكينًا أصحب رسول الله ﷺ على ملء بطنى ، وكان المهاجرون تشغلهم التجارة بالأسواق وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم » (٢) .

---

(١) خواطر رمضانية ص٨٩ ـ ٩١ باختصار فقط .

(٢) أبو هريرة سيد الرواة ص٧ .

ومعلوم أن أبا هريرة أسلم بعد عودة الرسول ﷺ من غزوة الخندق التى كانت سنة ٤ هـ أو ٥ هجرية [١] أى أنه رافق الرسول ﷺ حوالى ست سنوات وليس ثلاث سنوات ونصف ، فلو حسبنا ٣٥٠٠ حديث على ٦ × ٣٥٤ يومًا لأصبح متوسط الأحاديث التى حفظها يوميا ١,٥ حديث وبافتراض عدد الأحاديث ٥٣٠٠ لكان المتوسط ٢,٥ حديث يومى ، وهل يُعد ذلك مبالغًا فيه ؟!

ونود أن نصحح للكاتبة أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد روى أحاديث للرسول ﷺ ، ولكنها ليست كثيرة حيث كان يخاف النسيان وأن تشغله الأحاديث عن القرآن الكريم . « روى عمر حديثًا » .

قوة ذاكرة أبى هريرة وسببها :

جاء فى صحيح البخارى ، وليس كما تدعى الكاتبة « اختلق الناس قصة تبرر اعتقادهم بعصمة أبى هريرة .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله ، إنى سمعت منك حديثًا كثيرًا ، فأنساه ، قال : « ابسط رداءك » فبسطت فغرف بيديه فيه ثم قال : « ضمه » فضممته فما نسيت حديثا بعد » .

هذا وقد دعا أبو هريرة لنفسه بالعلم.

« استطاع أبو هُريرة حفظ الأحاديث وتأكيد حفظها من النسيان ببركة دُعاء النبى ﷺ له ، فذات يوم كان أبو هُريرة جالسًا عند النبى ﷺ مع زيد بن ثابت ورجل ثالث، فقال لهم النبى ﷺ : « ادعوا » فدعا زيد والرجل ، فأمن النبى ﷺ على دعائهم ، ثم دعا أبو هريرة فقال : اللهم إنى أسألك مثل ما سألك صاحباى ، وأسألك علمًا لا ينسى ، فأمن النبى ﷺ على دعائه ، فقال زيدٌ : ونحن كذلك يارسول الله ، فقال ﷺ : « سبقكما الغُلام الدوسى » [الحاكم] » [٢] .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٢١٤ ـ مؤسسة علوم القرآن بدمشق وجاء عنها « ثم كانت غزوة الخندق فى شوال سنة ٥ هـ ، وجاء بالهامش : « اختلف فى تاريخها فقال موسى بن عقبة كانت سنة أربع » .

(٢) أبو هريرة سيد الرواة ص٩، ١٠ .

ومع إيمان الجميع بسرعة حفظ ودقة حفظ أبى هريرة ، إلا أن البعض حاول اختباره بعد كبر سنه .

« أراد مروان بن الحكم أن يختبر قوة حفظ « أبى هريرة » لحديث النبى ﷺ ، فأمر كاتبه أن يجلس خلف الباب بحيث لا يراهُ أبو هريرة ، ثم أرسل مروان إلى أبى هريرة ، وظل يسأله عن حديث رسول الله ﷺ وأبو هُريرة يُجيبُ ويُحدث ، والكاتب يكتب .

كُل ما يقوله أبو هريرة دون أن يدرى به أبو هريرة ، حتى انتهى أبو هريرة من الأحاديث .

وبعد سنة كاملة ، أرسل مروان إلى أبى هريرة ، وأخذ يسأله عن نفس الأحاديث التى سألها من قبل ، وأبو هريرة يجيب ويحدث ، فلمَّا انصرف أبو هريرة خرج الكاتب وقال لمروان : ما زاد فيها ولا نقص ولا قدَّم ولا أخَّر » (١) .

أبو هريرة والفاروق عمر :

« مات النبى ﷺ وهو عن أبى هريرة راض ، ثم مات أبو بكر الصديقُ وهو عن أبى هريرة راض ، ثم جاء زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .

علم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن بعض الناس ينشغلون بالحديث عن القرآن، بل كان بعضهم يجالس أبا هريرة فيحدثهم عن رسول الله ﷺ ، ويحدثهم عن كعب الأحبار ، ثم يقوم ، فيخلط المستمع بين حديث رسول الله ﷺ وحديث كعب الأحبار، وأمام هذا الخلط فى الأحاديث وانشغال الناس عن القرآن أمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أبا هريرة بعدم التحديث ، وقال له : لتتركن الحديث عن رسول الله ﷺ أو لألحقنَّك بأرض دوس .

وبلغ من حرص عمر بن الخطَّاب على القرآن وعدم الكذب على رسول الله ﷺ أنه لما بعث أبا موسى الأشعرى إلى العراق قال له : إنك تأتى قومًا لهم فى مساجدهم دوى بالقرآن كدوى النَّحل ، فدعهم على ما هم عليه ، ولا تشغلهم بالأحاديث .

---

(١) المرجع السابق ص١٠ .

ولقد تفهَّم أبو هريرة قصد عمر ، فكان يقول : أفكنت محدثكم بهذه الأحاديث وعمر حى ، أما والله إذا لأيقنت أن المخفقة « يقصد درة أمير المؤمنين عمر » ستباشر ظهرى ، فإن عمر كان يقول : اشتغلوا بالقرآن كلام الله .

ولما اطمأن عمر أن القرآن قد رسخ فى قلوب الناس أذن لأبى هريرة بعد ذلك بالتحديث » (١) .

فالفاروق عمر لم يطعن فى أمانة أبو هريرة كراوٍ للحديث ولكنه كان يحرم انشغال الناس بالأحاديث حتى لا تختلط بالقرآن ولذلك لم تشع كتابة الأحاديث إلا متأخراً . وشهادة الصحابة بصدق أبو هريرة يحفظها التاريخ .

فها هو طلحة بن عبيد الله يقول : « جاء رجل إلى طلحة بن عبيد الله وقال له: يا أبا محمد والله ما ندرى هذا اليمانى (أبا هريرة) أعلم برسول الله ﷺ منكم أم يقول على رسول الله ما لم يسمع أو ما لم يقل .

فقال طلحة : والله ما نشك أنه قد سمع من رسول الله ﷺ ما لم نسمع ، وعلم ما لم نعلم ، إنا كنا قوما أغنياء لنا بيوت وأهلون ، وكنا نأتى رسول الله ﷺ طرف النهار ، ثم نرجع ، وكان هو مسكينًا لا مال له ، ولا أهل ، وإنَّما كانت يده مع رسول الله ﷺ ، وكان يدور معه حيث دار ، فما نشك أنه قد علم ما لم نعلم وسمع ما لم نسمع » (٢) .

أما عن كثرة عدد رواة أبى هريرة فتقول « إقبال بركة » :

« وثمة خبراً آخر لا بد وأن يستوقفنا وهو أن أكثر من ٨٠٠ محدث رووا عن أبى هريرة . . . ولكن عاش . . . حتى اقترب من الثمانين وصلى على عائشة عند وفاتها سنة ٥٨ هـ .

كيف تسنى لهذا العدد الضخم أن يلتقوا بالرجل وأن يستمعوا إليه ويحفظوا ما رواه لهم . . . وكم من الأحاديث التى رويت عنه وهو فى سن متأخرة وأقرب إلى

---

(١) أبو هريرة سيد الرواة ص١١ ـ ١٣ .

(٢) المرجع السابق ص٨ .

الشيخوخة وفقدان الذاكرة ، وهل كان هذا العدد الضخم من الرواة أصحاب ذاكرة خارقة أيضا، أم أنهم دونوا ما سمعوه عنه » [1] .

ونحن نقول لها : إن كثرة الرواة دليل على كثرة العلم ، وعلى إيمان المتلقى بصدق ومروءة وحُسن حفظ أبى هريرة لما يمليه أو يقوله من أحاديث .

كما أن أبا هريرة عاش حتى حضر بداية عصر تدوين السنة واهتمام الفقهاء بهذا العلم الغزير الجديد ، وطول عمره الذى بلغ الثمانين عامًا ، توضح طول فترة حديثه بحديث رسول الله ، فتعاقبت عليه أجيال من الرواة ، ولم تصبه آفة النسيان لدعاء الرسول ﷺ له .

ومعلوم أن العرب كانت أصحاب ذاكرة قوية حتى قبل تدوين الأحاديث ، فكانوا يحفظون مئات من أبيات الشعر بمجرد السماع مرة واحدة ، بل كان بعضهم يستطيع من ذاكرته رواية ما سمعه من شعر من نهاية البيت لبدايته ، فلنا أن نتصور مدى دقة وأمانة من يتلقون حديث الرسول ﷺ وهم يعشقونه .

إن الأمر ليس بحاجة إلى الاندهاش والإستغراب ولكنه فى حاجة لمزيد من الإيمان.

---

(١) خواطر رمضانية ص٩٢ .

ثالثا : المطالبة بإلغاء دور علماء الدين فى الإسلام

الواقع أن الإسلام ليس فيه نظام « رجل الدين » الذى يغفر ويلعن ، والذى يتوسط له المؤمن ليدعو الله له بالمغفرة ، وهو ما يسمى « الكنهوت » ، وهذا النظام يوجد فى المسيحية حيث إن رجل الدين سواء قسيس أو أسقف أو بابا ، له أن يغفر للمذنب ، كما أن له أن يعاقب المُصر على الكفر أو المعصية فيطرده رجل الدين من رحمة الله ، كما أن لرجال الدين حق التشريع ، ومرجع ذلك ما جاء فى الإنجيل: «إن ما تربطونه يربطه الله فى السماء وما تحلونه يحله الله فى السماء ».

أما فى الإسلام فرجل الدين إن صح التعبير - يقصد به عالم الدين الذى يوضح للمسلمين أمور الدين من تفسير وفتوى وأحكام قراءة القرآن وعلم مصطلح الحديث «السنة » وغير ذلك ، ولكن ليس من سلطته الغفران أو عدمه من حيث اللعنات على غيره ، فالمسلم له حق التوجه بالتوبة إلى الله مباشرة والدعاء لله لتقبل التوبة ، أما المسيحى فلابد أن يعترف بالخطايا لرجل الدين الذى من حقه غفرانها أو عدم الغفران.

وهذا الأمر جعل دعاة التحرر يحاولون الادعاء بعدم أهمية رجل الدين فى الإسلام . فلا حاجة للمؤمنين منه .

فها هى إقبال بركة تقول :

« والمعروف أنه لا كهنوت فى الإسلام ، أى أن هذا الدين الذى أنزل للبشر جميعا قد تخطى مرحلة الكهنة الذين يستأثرون بالأسرار ويمنحون الغفران ويتحكمون فى الخلق ، بدعوى أنهم وحدهم الممثلين الشرعيين للدين » (١) .

وهى تقصد : « يستأثرون بالأسرار » أى بالعلم الدينى من تفسير وفقه وفتوى وخلافه.

وتوضح د . نوال السعداوى ما قصدته « إقبال » وقالته من وراء حجاب فتقول:

« إن الفضيلة بالإكراه كذب ، وليس ادل على فضيلة المرأة من قدرتها على حماية

---

(١) إقبال بركة : خواطر رمضانية ص٢٢ .

نفسها بنفسها وإدراكها المسؤولية وعدم القاء مسؤوليتها على غيرها فالإنسان رجلا أو امرأة مسؤول مسؤولية شخصية أمام الله عن أعماله وعن فهمه للإسلام وليس رجال الدين»(١) .

نعم إن المسلم مسؤول عن أعماله أمام الله ، ولكن فهم المسلم للدين لا يكون إلا عن طريق متخصص هو عالم الدين وليس رجل الدين ، فأحكام قراءة وتجويد القرآن علم ، والفقه والفتوى علم ، والتفسير علم ، والسنة والأحاديث علم . . . . فإذا حاول المسلم فهما كيف يكون لديه الوقت والجهد لذلك وممن يتلقى هذه العلوم؟ أليس على يد علماء الدين كتابة وتلقينا سؤالاً وجوابًا ؟ هل يمكن أن يتعلم شخص ما الطب بمفرده دون كتب ومراجع ومعلمين ؟!!

لقد أوضح الشيخ الباقورى رحمه الله لإقبال بركة مهمة عالم الدين فقال : «الإسلام ليس فيه رجل دين من سلطته أن يحلل ويحرم ، وإنما هناك عالم الدين الذى يعلم ما لا يعلمه الجميع ولا يشترط أن يكون شيخًا من خريجى الأزهر ، فبعض من لم يتخرج من الأزهر أفضل من خريجيه،مثل د . مصطفى محمود . . وفقيد الإسلام المهندس عبد الرزاق نوفل » (٢) .

وها هى « إقبال بركة » تتسلل إلى عقل ضعاف الإيمان فتدعو إلى الابتعاد عن فتاوى العلماء وذلك بحنان ورقة فتقول : « لقد أمر الله عباده بالصوم ، ولكنه فتح ثغرة صغيرة ليمر منها من لا يطيقون الصوم . . . فمن الذى يقرر أنك قادر أو غير قادر . .؟ إنه أنت لا شيخ الجامع ولا الطبيب ولا كبير العائلة . . لا أحد سواك ، تلك أروع لحظة فى حياتك عندما تقرر بنفسك أمرًا غاية فى الأهمية » (٣) .

إننى أشهد لها بالذكاء النادر فى كيفية التسلل لأفكار الناس ، « تلك أروع لحظة فى حياتك عندما تقرر بنفسك أمرًا غاية فى الأهمية » يا لها من حكمة ووصية بليغة ،

---

(١) د. نوال السعداوى : توأم السلطة والجنس ص١٢٧ .

(٢) إقبال بركة : حوار حول قضايا إسلامية ص٣٣ ـ مؤسسة روز اليوسف ـ الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

(٣) خواطر رمضانية ص١١ .

ولكنها تحتاج إلى مشورة من أهل الاختصاص وهما عالم الدين وعالم الطب وليس رئيس العائلة ، إن أمورنا بالغة الأهمية نحن نقررها ولكن كلما بلغت شأنا من الأهمية كلما تريثنا واستعنا برأى الثقة .

لقد حاولت « إقبال بركة » الاسترشاد بأحاديث للرسول ﷺ توضح أنه لا لزوم للاسترشاد بآراء علماء الدين فقالت عن دراستها للحجاب : « ولم يكن يقودنى فى ذلك الدرب الوعر سوى سراج الإيمان العميق بالله سبحانه وتعالى ، والاقتداء بسنة نبيه المصطفى عليه الصلاة والسلام ، عندما سأله البعض فى أمر من أمور المعاملات فقال لهم : « أنتم أعلم بشؤون دنياكم » وكان يقول لأصحابه عندما تستبد بهم الحيرة « استفت قلبك وإن أفتاك المفتون » [(١)] .

لقد أخرجت الكاتبة الأحاديث عن مفهومها الصحيح ، ويبدو أن سراج الإيمان قد تخلى عنها ، أما حديث الرسول ﷺ : « أنتم أعلم بشؤون دنياكم » فقد كان فيه التوجيه والإرشاد للمسلمين بأن يسألوا أهل الخبرة فيما يخص بشؤون الدنيا ، فرجل العلم الدينى قد لا يكون له مجال فى العلوم الأخرى ، وكان سبب هذا الحديث هو أن الرسول ﷺ لم يحث المسلمين على تأبير النخل « أى تلقيحه » وعندما فشل المحصول قال لهم ذلك على سبيل التوجيه والتعليم والإرشاد ، أما حديث : «استفت قلبك وإن أفتاك المفتون » ، فهذا الحديث عن وابصة بن معبد ، أنه ذهب يسأل الرسول ﷺ عن البر فقال له الرسول ﷺ : « جئت تسأل عن البر » قلت : نعم ، قال : « استفت قلبك البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب ، والإثم ما حاك فى النفس وتردد فى الصدر ، وإن أفتاك الناس وأفتوك » .

والحديث لم يسأل فيه الصحابى عن حكم شرعى أو تفسير لآية ولكنه يسأل كيف يعرف أنه عمل عملاً فيه الخير أو الشر ، فقال له الرسول استفت قلبك، فهناك أمور لا يعلم حسن نواياها سوى صاحبها مثل الصدقة ، هل أداها طمعا فى ثناء الناس أم رضا الله؟! فالنية لا يعلمها سوى صاحبها ولا يعلمها عالم الدين .

أما « نظيرة زين الدين » « ١٩٠٨ ـ ١٩٧٦م » وهى لبنانية الأصل فتقول :

---

(١) الحجاب رؤية عصرية ص٩ .

«أجل إنه كما للمرأة أن تشترك فى الحكم الشعبى ، آن لها أن تشترك فى الاجتهاد الشرعى تفسيرًا وتأويلاً ، بل إنها أولى من الرجل بتفسير الآيات القائم فيها واجبها وحقها ، لأن صاحب الحق والواجب أهدى إليها من غيره سبيلا ، وتقول مسترشدة بقوله تعالى : ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة : ٢٥٦] : « إذا كان النبى ﷺ لم يُسمح له بأن يراقب أعمال الناس ، فكيف منح بعض المسلمين أنفسهم هذا الحق ، وأن الإسلام هو دين الحرية ، والمسلمين ليسوا مسؤولين إلا أمام الله » (١) .

ونرد على « نظيرة زين الدين » فنقول :

للمرأة الحق فى الاجتهاد الشرعى بأنواعه ، ليس لأنها أولى من الرجل فى تفسير الآيات وفقًا لمصالحها وهواها ، والذى نهانا الله عنه : ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِن ﴾ [المؤمنون : ٧١] ولكن لأن ذلك من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٧١] .

ونصحح لها أفكارها المعوجة عن مهمة الرسول ﷺ : فنقول :الله سمح لرسوله بمراقبة أعمال الناس لقوله جل وعلا ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣] ، ولكن الرسول ﷺ ليس له إجبار الناس على الإسلام لقوله تعالى : ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [البقرة:٢٧٢] وهو غير مسؤول عمن لم يتبعه : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾ [البقرة : ١١٩] .

وليس معنى ذلك أن الرسول ليس له تعليم الناس وتوجيههم وقيادتهم الدينية، وإلا فما كان هناك داع لرسالته ، التى أوضح الله أنها منّة منه وفضل : ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ

---

(١) الحجاب رؤية عصرية ، ص١٠٦ .

تكونوا تعلمون ﴾ [البقرة: ١٥١] .

ومعنى أن المسلمين مسؤولين أمام الله فقط معنى صحيح وذلك فيما يخص الحساب يوم القيامة والثواب والعقاب ، أما ما يخص مسؤوليتهم بسؤال رجال العلم والاقتداء بآرائهم الدينية وتعاليمهم وفتواهم ، فالمسلمون مكلفون بذلك لقوله تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ [النحل : ٤٣] وقوله جل وعلا : ﴿ولا ينبئك مثل خبير﴾ [فاطر : ١٤] ، وقوله تبارك اسمه: ﴿فاسئل به خبيراً﴾ [الفرقان: ٥٩] .

هذا ، وقد أمر الله المسلمين باستنباط أحكام الفقه والعلم من القرآن والسنة فقال تعالى : ﴿ ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾ [النساء : ٨٣]

كما أمر طائفة منهم أن يتفقهوا فى الدين ولو أدى الأمر أن يتركوا القتال والحرب فقال العلى القدير : ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ [التوبة : ١٢٢] .

المبحث الرابع

الاستياء والغضب .. للعودة إلى الحجاب وانتقاد العائدات إليه

يرى دعاة التحرر ـ نساءً ورجالاً ـ أن انتشار ظاهرة العودة إلى الحجاب الإسلامى، تهدد دعواهم للتحرر ، وهى العدو الأول لمقاومة أفكارهم المريضة الداعية إلى السفور والفجور ، وتزداد الخطورة إذا كانت العائدات من نجوم المجتمع الشهيرات كالفنانات وغيرهن ، باعتبارهن أصبحن القدوة تقول د . نوال السعداوى :

« منذ أيام قليلة عدت إلى الوطن بعد غيبة . . . لم يدهشنى الحجاب الذى ترتديه النساء فى بلادنا تحت اسم الدين أو الإسلام . . » (١) .

وتقول « سناء المصرى » :

ـ « الظاهرة . . انتشرت فى المدن الرئيسية أكثر من انتشارها فى قرى الريف .

ـ الظاهرة . . انتشرت بين الشابات خاصة طالبات الجامعة فى « القاهرة وعين شمس والإسكندرية » ثم تعدت إلى ما عداها .

والظاهرة شملت المستويات الثقافية العليا فالمتوسطة ثم الأدنى .

ـ الطبقة المثقفة المقيمة بالمدينة والتى عملت على إنجاح دعوات قاسم أمين . . . . خرجت منها الدعوة إلى ارتداء الحجاب مرة أخرى .

ـ ٧٦,٥٪ من المحجبات يرون أن أهمية التعليم تنحصر فى أنه يُعد الفتاة لتكون زوجة صالحة .

الموافقات على العمل من المحجبات يرون مناسبته للمرأة فى الطب أو التدريس وعند الحاجة إليه أو العوز الاقتصادى » (٢) .

---

(١) د . نوال السعداوى : قضايا المرأة والفكر والسياسة ص٩٣ .

(٢) سناء المصرى : خلف الحجاب ص٣٠ بتصرف يسير ، عن إحصائية المركز القومى للبحوث «ظاهرة الحجاب بين الجامعات ـ ديسمبر سنة١٩٨٢ » ، ويلاحظ أن أسباب عمل المرأة فى الفقرة تتوافق مع تعاليم الإسلام .

هذا وقد انتقدت الكاتبة الحجاب والمتحجبات بصورة مباشرة فقالت :

« والحجاب هو فى جانب منه ، رمز القهر وتغييب العقل والتحكم الذكورى «باسم الدين » ولا ينفى هذه الحقيقة كون بعض النساء يمكن أن يلجأن للحجاب والنقاب وكأنهن مختارات ، فخلف عملية اللجوء للحجاب والنقاب تجرى صنوف من القهر المعنوى والتخويف باسم الدين ، تنفى كلها هذا الاختيار من أساسه وتجعل منه إجبارًا فى شكل الاختيار ، بل إن هناك إجبارًا واقعيًا تمارسه مؤسسات العمل التى تملكها الجماعات الإسلامية وتفرض الحجاب أو النقاب على المرأة حتى تقرر المرأة نفسها بأنها عورة وحرمة وحرام ، وما كان الحجاب لينتشر فى مصر بهذه الصورة الجنونية لو لم يرتبط بهجوم الأموال النفطية والاستراتيجية بعيدة المدى للنظام السعودى للهيمنة على المنطقة . . . وفى بحث للمركز القومى للبحوث الاجتماعية عن ظاهرة الحجاب بين الجامعات أقرت الطالبات بأنهن يتلقين أموالاً بصفة دائمة لمنحها للفتيات اللاتى يقبلن ارتداء الحجاب ، وفى ظل الفقر المتزايد يمكننا أن نتصور بسهولة حدوث ذلك»(١) .

إن اتهام الكاتبة بأن عودة النساء للحجاب هو نتيجة للادعاء أنه من تعاليم الدين ، وهو ليس من الدين ، بل هو رمز القهر والاستبداد وتغييب العقل ، إنما يدل هذا الاتهام على عدم صحة أفكارها هذه ، فالحجاب من تعاليم الأديان كلها وليس الإسلام فحسب ، وهو ليس دعوة سياسية للجماعات الإسلامية ، ولكنه دعوة صريحة من هذه الجماعات للعودة لأحكام الدين ، وليس لدول النفط دخل بذلك ، فالسعودية هى محط أنظار المسلمين فى كل زمان ومكان وتحوى أشرف بقعتين على وجه الأرض وهما مكة مولد الرسول وموضع الكعبة المشرفة التى يحجون إليها فى الصلاة وفى أداء فريضة الحج ، والمدينة المنورة مثوى رسول الله وموضع مسجده ، أما ما يشاع عن إحصائيات دعاة التحرر ففيها من المبالغات ما يجعلها غير مقبولة أو معقولة .

وإذا كان الحجاب تغييبًا للعقل : ، فهل السفور والتعرية وإظهار العورات التى يجب سترها هو دليل التعقل والحكمة ؟!

---

(١) سناء المصرى : خلف الحجاب ص٣٠ .

إن انتشار الحجاب لم يشمل الطبقة الفقيرة فقط بل شمل كل المجتمع لأنه عودة إلى فضيلة وهجر لرذيلة .

وها هى إقبال بركة ترى سببًا آخر لانتشار ظاهرة الحجاب فتقول :

« الحجاب عاد لِيُرفع كشعار سياسى وكدليل على هيمنة الفكر السلفى الذى فرضته الجماعات الدينية على المجتمع العربى بعد هزيمة الجيوش العربية أمام إسرائيل»(١) .

وتشرح وجهة نظرها تفصيلا فتقول :

« خمسون عاما منذ منتصف العشرينيات حتى منتصف السبعينيات من القرن العشرين ، تخلصت فيها المرأة العربية من الحجاب واختفى تقريبا ، فى مدن مصر والشام والعراق ، وبعض مدن المغرب العربى ، وكان فى طريقه إلى التلاشى تمامًا من بقية المدن العربية إلى أن وقعت نكسة ١٩٦٧م . وانهزمت الجيوش العربية للمرة الثالثة، أمام الجيش الإسرائيلى ، بدأ العرب يراجعون أنفسهم . . . وروج بعض الدعاة فكرة أن المسلمين هزموا أمام اليهود ، لأنهم تخلوا عن دينهم ، وتخلت نساؤهم عن الحجاب ، وقلدن النساء الغربيات « المسيحيات » فى المطالبة بحقوقهن والخروج إلى الحياة العملية وفى بداية السبعينات ، روع المجتمع المصرى بأول جريمة إرهابية ارتكبتها جماعة شكرى مصطفى . . . . ومنذ ذلك التاريخ بدأت موجة من الجرائم الإرهابية . . ترتكب باسم الدين ، وتزامنت معها موجة أخرى من الهجوم على المرأة شنها بعض أئمة المساجد من فوق المنابر وعلى أشرطة الكاسيت ، ورددها آخرون فى البرلمان وعلى صفحات الجرائد والمجلات والكتب ، وفى البرامج الدينية فى الإذاعة والتلفزيون ، وأشاعوا أن سفور المرأة وخروجها للعمل ومخالطتها للرجال . . إلخ كان واحدًا من أهم ، إن لم يكن أهم الأسباب وراء الهزيمة » (٢)

ومما لا شك فيه أن الهزيمة الحربية ـ وهى ليست للجيوش العربية ـ أفاقت الناس

---

(١) إقبال بركة : الحجاب رؤية عصرية ص٧٣ .

(٢) المرجع السابق ص١٣ ، ١٤ .

من غفوتهم وبالتالى فقد آمنوا بضرورة العودة إلى أحكام الدين ومنها الحجاب ودعوة علماء الدين لذلك هى من صميم عملهم .

هذا وانتهت الهزيمة وجاء بعدها نصر ١٩٧٣م ، ثم اتفاقية السلام ، وفى عهد الرئيس « محمد حسنى مبارك » وهو عهد الأمن والأمان ما زال الحجاب ينتشر فى كافة مستويات الأمة .

وصدق تعالى حيث قال : ﴿ **يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** ﴾ [الصف : ٨] .

وبحمد الله وصل الإيمان بضرورة الحجاب حتى للوسط الفنى ، هذا الوسط الذى يتميز أهله ـ غالبا ـ بالبعد عن تعاليم الدين ، فقامت بعض الفنانات المشهورات بارتداء الحجاب واعتزال العمل الفنى ، فقامت الدنيا ولم تقعد وهوجمن فى كافة وسائل الإعلام وكأنهن اقترفن كافة الجرائم الجنائية والخلقية والإنسانية واتهمن بتقاضى الملايين من شيوخ البترول ، والحقيقة أنهن اقتنعن بفكر شيوخ علماء الدين ، كالشيخ الشعراوى رحمه الله وغيره ، ومن هؤلاء الفنانة : شمس البارودى وهى زوجة الداعية الإسلامى معتزل الفن ، الفنان حسن يوسف ، والفنانة سهير البابلى ، والراقصة سحر حمدى التى اعتزلت فى قمة المجد ـ حسب الوصف الفنى ـ وتركت مكاسب يومية تقدر بعشرات الألوف .

هذا ، وقد أثيرت فى الآونة الأخيرة نفس القصة لفنانات اعتزلن الفن وتحجبن أو أعْلنَّ ذلك .

جاء بمجلة المصور العدد (٤٠٩٠) فى ٢٨/٣/٢٠٠٣م تحت عنوان آخرهن ـ وليست الأخيرة ـ « حلا شيحة » [1] :

« صغيرات على الحجاب !! »

---

(١) ملحوظة : هناك بعض الفنانات اللاتى يلجأن للادعاء بالتحجب للحصول على الشهرة ، ومناقشة أمورهن الخاصة إعلاميا ، وهناك من يلجأ لذلك لتهدئة الرأى العام لاكتشاف وعرض فضيحة جنسية لهن أو غير جنسية ، ثم بعد النسيان ترجع للسفور والفجور .

« على من يرصد ظاهرة حجاب صغيرات الفن أن يكون على أتم استعداد دائمًا، فبنت الـ « ١٨ » أو الـ « ٢٠ » سنة ، قد تستيقظ صباحًا لتعلن رفضها للشهرة والأضواء ، وقد تعلن أن الفن حرام ، وترتدى الحجاب بين عشية وضحاها . . كما يقولون ! هذا الحدث بات يتكرر كثيرًا ومن دون مقدمات ، ولا أحد يستطيع التنبؤ بالمفاجأة القادمة . فى السنة الماضية ارتدت خمس ممثلات الحجاب معلنات الاعتزال ، وما أن هدأت (الموجة) - التى حصدتهن فى شهرين فقط ! - حتى أعلنت (حلا شيحة) حجابها هى الأخرى .الحدث - الذى أصبح ظاهرة - يطرح تساؤلاً : لماذا لم تتحجب فاتن حمامة أو سعاد حسنى فى الخمسينيات والستينيات ؟ ويلد السؤال حزمة من الأسئلة : كيف تفكر بنات هذا الجيل ؟ هل وصولهن المبكر إلى النجومية والشهرة السهلة يجعلهن يتنازلن عن كل هذا ، على طريقة المثل الإنجليزى القائل (ما يأتى بسهولة يذهب فى سهولة) ؟

وهل هذا الجيل من الصغيرات هو الذى يختار الحجاب ؟ وهل لديه من الثقافة الدينية ما يكفى للغوص فى الدين ؟ وتدقيق هذا الاختيار ؟ البعض يقول : إن وفاة علاء ولى الدين المبكرة هى التى دفعت حلا شيحة - آخرهن - إلى الحجاب ، وآخرون يقولون : إن حالات الحجاب والاعتزال الأخيرة ، يقف وراءها جميعًا (المشايخ الجدد) وما يرددونه من أفكار ! . . . البحث والتساؤل مشروعان فى سياق ظاهرة تستقطب النجمات الصغيرات ، حتى إذا كان الحجاب من حقهن ، وجزءًا من حريتهن الشخصية .

وعن دوافعها وراء الحجاب قالت (حلا) : لم ألتق أحدًا من المشايخ ، ولم أحضر دروسًا دينية أو (مجالس) لدى أى فنانة معتزلة ، والحكاية أننى كنت سعيدة جدًا بما حققته ولكننى كنت أشعر بفراغ روحى ، اكتشفت علاجه حينما اتخذت هذا القرار ، ومنذ شهر - وربما أكثر - وأنا أبحث وأفكر ، قرأت بعض الكتب الدينية ، واستمعت لأشرطة كاسيت دينية (ترفض حلا أن تسمى أصحاب هذه الأشرطة) ، وبعد ذلك اتخذت القرار من دون ضجة . . وقفت أمام المرآة فاكتشفت أننى راضية تمامًا عن صورتى الجديدة ، فضلاً عن أننى راضية تمامًا عن اتجاهى الجديد » .

ولنا أن نتساءل فى دهشة ، لم لا تغضب الداعيات للتحرر إذا ثبتت جريمة الدعارة على فنانة ، وحكم عليها بالسجن وسجنت ؟؟؟ ! ولم يشجعن الفنانات على العرى والظهور فى الأفلام الجنسية ، ويعتبرن ذلك إبداعًا وعملاً فنيًا وحرية شخصية ؟ وإذا رجعت إحداهن للحجاب وتعاليم الدين ، لم يعتبرن ذلك حرية شخصية ؟

إن بداية إصلاح البلاء هى العودة للحجاب كزى إسلامى وكآداب إسلامية فى المعاملات والأخلاق والقرار داخل البيوت .

الفصل الثالث

الحجاب فى القرآن والسنة

لدى دعاة التحرر

المبحث الأول : محاولة نقد تفسير آيات الحجاب .

المبحث الثانى : محاولة نقد أحاديث الحجاب ومعناها .

الحجاب فى القرآن والسنة لدى دعاة التحرر

توطئة :

لدعاة التحرر مذهب واحد متفق عليه بإجماع كامل ، وهو محاولة تفسير القرآن والسنة حسب أهوائهم ، والاسترشاد بآراء بعض المفسرين المعتمدين الأجلاء ومحاولة توظيف هذه التفاسير بصورة خاطئة ليست من الحقيقة فى شىء وذلك بهدف محاولة تأكيد مزاعمهم ، كما قد يلجؤون إلى الاسترشاد ببعض جهلاء العلم ممن سخروا باسم حرية الرأى والتعبير فى تفسير القرآن والسُّنة حسب أهوائهم بلا علم ولا فكر ، أولئك الذين قال عنهم الحق جل وعلا : ﴿وَإِنَّ كَثِيراً لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ [الأنعام : ١١٩] .

وبدراستى لآراء هؤلاء الدعاة وجدت أن أوسع نقد جاء فى كتاب الكاتبة إقبال بركة : الحجاب رؤية عصرية ، وفى ردى على مزاعمها سألجأ إلى المنهج التالى :

١ ـ سأعرض لأقوالها شبه كاملة كما جاءت فى كتابها .

٢ ـ ما أراه من اعتراض بسيط سأشرحه فى الهامش أسفل الصفحة ، أما ما يحتاج إلى سرد وإفاضة فسوف أوضحه فى حينه .

هذا وسأعرض فى هذا الفصل للمباحث التالية :

المبحث الأول : محاولة نقد تفسير آيات الحجاب .

المبحث الثانى : محاولة نقد أحاديث الحجاب ومعناها .

المبحث الأول

محاولة نقد دعاة التحرر لتفسير آيات الحجاب

تقول : إقبال بركة [1] :

« قد يذكر المفسرون أكثر من سبب لنزول آية وتتعدد تفسيراتهم للآية الواحدة أو تتعارض مع بعضها البعض [2] وقد يضيف البعض تحليلا لغويا لكل عبارة فى القرآن الكريم كما فعل الطبرى على سبيل المثال .

وفى القرآن الكريم يعتبر اللباس من النعم التى أسبغها الله تعالى على البشر ومن الزينة التى حرم منعها عليهم ومن الطيبات المحللات لهم :

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلالاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ [النحل: ٨١]، كذلك حدد الغرض من اللباس وهو إلى جانب الوقاية من تقلبات الطبيعة إخفاء السوأة (العورة) ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف : ٢٦] .

وقد ذكر لباس المرأة فى ثلاث آيات فى القرآن الكريم هى :

١ ـ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب : ٥٩] .

٢ ـ ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ...... وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ

---

(١) المرجع هو كتاب : الحجاب رؤية عصرية لإقبال بركة ص٤٠ وما بعدها .

(٢) لا تعارض فى التفاسير ولكن قد يكون هناك أكثر من معنى للآية وهذا من مرونة التشريع ومزاياه ، كقوله تعالى : ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ [البقرة : ٢٢٨] ففسر القرء بمعنى الحيض وبمعنى الطهارة من المحيض ، وذلك لأسباب لغوية سليمة .

من زينتهن﴾ [النور : ٣٠ ، ٣١] .

٣ ـ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما﴾ [الأحزاب : ٥٣] (١) .

« ويرى المفسرون أن آيات الحجاب والخمار والجلباب الخاصة باللباس من المتشابهات ، أى التى اختلف المفسرون فى فهم ألفاظها . وقد نزلت فى السنة الخامسة لهجرة الرسول وصحبه المسلمين إلى المدينة ، أو السادسة ، وكانت هذه السنوات من أصعب سنوات الدعوة ، فبعد أن انتصر المسلمون على الوثنيين فى معركة بدر فى السنة الثانية للهجرة (٦٢٤م) لحقت بهم الهزيمة فى أحد (سنة ٦٢٥م) وعاد المكيون متحالفين مع قبائل أخرى (الأحزاب) ليحاصروا المدينة ، فأمر النبى ﷺ بحفر خندق حولها لحمايتها . وبينما المسلمون يعيشون تلك الأزمة ، كان المنافقون يثرثرون بالشائعات ويشيعون جوا من الشكوك والبلبلة بين الناس ، حتى وصل بهم الافتراء إلى اتهام عائشة رضي الله عنها بحديث إفك فى السنة السادسة الهجرية أثناء غزوة بنى المصطلق»(٢) .

ونحن نوضح هذه الفقرات فنقول :

فعلا آيات الحجاب والخمار من المتشابهات أى المختلف فى تفسيرها ولكن هذا لا يعنى الطعن فيها ولكن يعنى أنها تحتمل تفاسير متعددة لها حد أدنى ومتوسط وأعلى ، أى فيها المتساهل فى التفسير والمحكم ومنها المتشدد وهذا من الدين لقوله تعالى : ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في

---

(١) الواقع أن آية سورة الأحزاب (٥٣) ليست من آيات الحجاب كزى ، ولكن كأدب من آداب زيارة النبى ﷺ فى بيته والتى يجب أن يتحلى بها المسلمون ، ولكن الكاتبة أوردتها هنا لتحول الأنظار والأفهام عن تفاسير آيات [الأحزاب : ٥٩] ، [النور : ٣٠ ، ٣١] .

(٢) المرجع السابق ص ٤١ .

قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾

[آل عمران: ٧]

ويلاحظ أن الكاتبة تحاول الإيحاء بأن آيات الحجاب نزلت لظروف نفسية خاصة حيث كان المسلمون فى كرب عظيم ، أى أنها مناسبة لهذا الوقت ولا تناسب غيره ، حتى أنها قفزت من السنة الثانية الهجرية « معركة بدر » إلى الثالثة معركة أحد إلى الخامسة غزوة الأحزاب إلى السادسة غزوة المصطلق ، وهذه السنوات لم يهزم فيها الرسول إلا سنة ٣ هـ فى أحد أما بعد ذلك فهى سنوات نصر وانتصار حتى إن الله نصرهم فى غزوة الخندق « الأحزاب » بلا قتال لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب : ٩]

كما قال تعالى : ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب : ٢٥] .

إذن لم تكن هناك أزمة يعيشها المسلمون كما تدعى !!

وتستطرد الكاتبة قائلة :

« وجاء فى كتب التفسير أن سبب نزول آيتى الجلباب والخمار أن بعض شبان الأنصار من المستهترين والمنافقين كانوا يتعرضون للنساء ، ويهتكون أعراضهن ويحرضونهن على ارتكاب المعاصى ، فشكت النساء إلى الرسول ﷺ فنزلت الآيات ، وأمر الرسول ﷺ بأن يبلغ زوجاته ونساء وبنات المسلمين بأن يسحبن الخمر ، التى اعتدن أن يرتدينها ، على جيوبهن (أى فتحات صدورهن) ، وهذا تفسيرهم لعبارة «يضربن بخمرهن على جيوبهن » ، وأن يوسعن جلابيبهن ويجعلنها سابغة فضفاضة ، وهذا تفسير عبارة « يدنين عليهن من جلابيبهن » .

جاء فى تفسير القرطبى لآية الجلباب :

« وكانت المرأة من نساء المؤمنين قبل نزول هذه الآية ـ تبرز (تخرج من خيمتها)

للحاجة فيتعرض لها بعض الفجار يظن أنها أمة (جارية) ، فتصيح به فيذهب ، فشكوا ذلك إلى النبى ﷺ ، ونزلت الآية بسبب ذلك » . لذلك « أمر الله رسوله ﷺ أن يأمرهن بإرخاء الجلابيب عليهن إذا أردن الخروج لقضاء حوائجهن ، وكن يتبرزن فى الصحراء قبل أن تتخذ الكُنُف (دورات المياه) فيقع الفرق بينهن وبين الإماء، فتعرف الحرائر بسترهن ، فيكف عن معارضتهن من كان عزبا أو شابا » .

أما آية الحجاب فقد أجمع المفسرون على خصوصيتها بنساء النبى ﷺ دون إمائه وبناته والصحابيات . والآية لا علاقة لها باللباس أو الثياب ، بل هى خاصة بآداب زيارة المسلمين لبيت الرسول ﷺ ، ومراسم مخاطبتهم لزوجاته داخل البيت ، إذا اقتضت الضرورة ، فيتم ذلك من وراء حجاب ، أى ساتر ، أو ستار ، يخفى شخوصهن ، رضى الله عنهن ، وشخوص من يتحدث إليهن . فلفظ الحجاب فى القرآن الكريم معناه حاجز أو ستارة ، وليس معناه زى أو لبس المرأة »[1] .

ونحن نقول ردًا على ما سبق :

١ ـ آية الخمار : ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [النور : ٣١] . يقول القرطبى الذى استشهدت به الكاتبة فى تفسيره :

﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ ﴾ سبب هذه الآية أن النساء كن فى ذلك الزمان إذا غطين رؤوسهن بالأخمرة وهى المقانع سدلنها من وراء الظهر ، .. كما يصنع النبط فيبقى النحر والعنق والأذنان لا ستر على ذلك فأمر الله بستر الخمار على الجيوب ، وهيئة ذلك أن تضرب المرأة بخمارها على جيبها تستر صدرها ، روى البخارى عن عائشة أنها قالت : رحم الله نساء المهاجرات الأول ، لما نزل ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ شققن أزرهن فاختمرن بها ، ودخلت على عائشة حفصة بنت أخيها عبد الرحمن رضي الله عنه وقد اختمرت بشىء يشف عن عنقها وما هنالك ، فشقته عليها وقالت : « انما يضرب

---

(١) المرجع السابق ص ٤١ ، ٤٢ .

آية الجلباب هى الآية (٥٩) من الأحزاب ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ .

وآية الخمار هى الآية (٣١) من النور ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ .... عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ .

بالكثيف الذى يستر » ، الخمر : جمع الخمار وهو ما تغطى به رأسها . . . والجيوب: جمع جيب وهو موضع القطع من الدرع والقميص . . . وقال مقاتل : ﴿عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ على صدورهن يعنى على مواضع جيوبهن » (١)

وبقراءة هذا التفسير بشىء من الروية يتضح أن الخمار إذا كان يغطى الرأس فلا بد أن يغطى أيضا الوجه ، لأن الوجه بين الشعر والرقبة وفتحة النحر « الصدر » .

ويوضح ذلك ابن عثيمين فيقول : « قوله تعالى : ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ فإن الخمار ما تخمر به المرأة رأسها وتغطيه به كالخرقة ، فإذا كانت مأمورة بستر وجهها إما لأنه من لازم ذلك أو بالقياس ، فإنه إذا وجب ستر النحر والصدر كان وجوب ستر الوجه من باب أولى لأنه موضع الجمال والفتنة ، فإن الناس الذين يتطلبون جمال الصورة لا يسألون إلا عن الوجه ، فإذا كان جميلاً لم ينظروا إلى ما سواه إلا بقليل من الأهمية . . فإذا كان كذلك فكيف يفهم أن هذه الشريعة الحكيمة تأمر بستر الصدر والنحر ثم ترخص فى كشف الوجه » (٢) .

ويسترشد « ابن عثيمين » بقوله تعالى : ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور : ٣١] « يعنى لا تضرب المرأة برجلها فيعلم ما تخفيه من الخلاخيل ونحوها مما تتحلى به للرجل . . . فكيف بكشف الوجه ، فأيهما أعظم فتنة أن يسمع الرجل خلخالاً بقدم امرأة لا يدرى ما هى وما جمالها ،لا يدرى أشابة هى أم عجوز».

كما يقول : « وفى الحديث : « العينان تزنيان وزناهما النظر » إلى أن قال : «والفرج يصدق ذلك أو يكذبه » ، فإذا كان تغطية الوجه من وسائل حفظ الفرج كان مأموراً به لأن الوسائل لها أحكام المقاصد » .

كما يقول : « إن الله تعالى يرخص بإبداء الزينة الباطنة للتابعين غير أولى الإربة من الرجال وهم الخدم الذين لا شهوة لهم ، والطفل الصغير الذى لم يبلغ الشهوة ، ولم يطلع على عورات النساء فدل ذلك على أمرين :

---

(١) تفسير القرطبى .

(٢) رسالة الحجاب : الشيخ محمد صالح بن عثيمين . ص ٧ ، ٨ مركز شؤون الدعوة العدد (٤٣) .

أحدهما : أن إبداء الزينة الباطنة لا يحل لأحد من الأجانب إلا لهذين الصنفين.

الثاني : أن علة الحكم ومداره على خوف الفتنة بالمرأة والتعلق بها ولا ريب أن الوجه مجمع الحُسن وموضع الفتنة فيكون ستره واجبا لئلا يفتن به أولى الإربة من الرجال» .

وقد أجاد : « ابن عثيمين » الاسترشاد بقوله تعالى : ﴿**وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [النور: ٦٠] فقال شارحًا : « نفى الله الجناح عن هذه العجائز فى وضع ثيابهن بشرط ألا يكونْ الغرض من ذلك التبرج بالزينة ، ومن المعلوم بالبداهة أنه ليس المراد بوضع الثياب أن يبقين عاريات ، وإنما المراد وضع الثياب التى تكون فوق الدرع ونحوه مما لا يستر ما يظهر غالبا كالوجه والكفين ..... ومن قوله تعالى : ﴿**غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ**﴾ دليل آخر على وجوب الحجاب على الشابة التى ترجو النكاح لأن الغالب عليها إذا كشفت وجهها أنها تريد التبرج بالزينة وإظهار جمالها وتطلع الرجال لها ومدحهم إياها ونحو ذلك ، ومن سوى هذه نادرة ، والنادر لا حكم له »

.

وهكذا نرى أن كلاً من القرطبى وابن عثيمين قد أثبتا أن تغطية الوجه واجبة .

وزياده فى الفائدة فإننا نعرض باختصار رأى الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوى فى إخفاء الوجه والكفين (١) :

استعرض فضيلته آراء الكثير من العلماء وهم ما بين مؤيد للحجاب بمعنى ستر الرأس كاملة بما فيها الوجه ما عدا عين أو اثنتان ، وكشف الوجه والكفين إذا لم يُخف الفتنة قال فضيلته : « فإذا وجد من بنات المسلمين من تقتنع بهذا الرأى ، وترى أن كشف الوجه حرام ، وأن تغطيته فريضة ، فكيف تفرض عليها الرأى الآخر الذى تراه هى خطأ ومخالفًا للنص ؟

إنما ننكر عليها حقا إذا رأت أن تفرض هى رأيها على الآخرين أو الأخريات، وأن تحكم بالإثم أو الفسق على كل من عمل بالرأى الآخر ، وتعتبر هذا منكرًا يجب

---

(١) أ . د : يوسف القرضاوى : النقاب للمرأة بين القول ببدعته . . . والقول بوجوبه الناشر مكتبة وهبة . الطبعة الثانية سنة١٩٩٩م .

محاربته ، مع اتفاق المحققين من العلماء على أن لا إنكار فى المسائل الاجتهادية الخلافية » [1] .

وعلى ذلك نستطيع القول أن الحجاب كزى فى الإسلام من تساهل فيه أوجب كشف الوجه والكفين بلا زينة مصطنعة وإذا لم يخش الفتنة لجمال الوجه ، أما من تشدد فيه يرى تغطية الوجه والرأس كاملة ما عدا عين أو اثنتان .

٢ ـ آية الجلباب هى الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ ...... وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب : ٥٩] .

والملاحظ أن الكاتبة ذكرت أن سبب نزولها خروج النساء لقضاء الحاجة فى الصحراء « التبرز » قبل استخدام الكنف « دورات المياه فى البيوت » واسترشدت بتفسير القرطبى وسنعرض هذا التفسير لنوضح أنها لم تعرضه كاملاً وإنما اتبعت من يقول ﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ ﴾ ويترك ﴿ وَأَنتُمْ سُكَارَى ﴾ حتى يخرج الحكم والأمر عن حقيقته ، وقد قال تعالى موضحا خداعهم : ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة : ٩ ، ١٠] .

« ولما كانت عادة العربيات التبذل ، وكن يكشفن وجوههن كما يفعل الإماء، وكان ذلك داعية إلى نظر الرجال إليهن ، وتشعب الفكر فيهن ، أمر الله رسوله ﷺ أن يأمرهن بإرخاء الجلابيب عليهن إذا أردن الخروج إلى حوائجهن ، ولكن يتبرزن فى الصحراء ، قبل أن تتخذ الكُنُف ـ فيقع الفرق بينهن وبين الإماء ، فتعرف الحرائر بسترهن ، فيكف عن معارضتهن من كان عزبا أو شابا ، وكانت المرأة من نساء المؤمنين قبل نزول هذه الآية تبرز للحاجة فيتعرض لها بعض الفجار يظن أنها أمة فتصبح به فيذهب ، فشكو ذلك إلى الرسول ﷺ ونزلت الآية بسبب ذلك .

« الجلابيب » : جمع جلباب ، وهو ثوب أكبر من الخمار ، وروى عن ابن عباس وابن مسعود أنه الرداء ، وقد قيل إنه القناع والصحيح أنه الثوب الذى يستر

---

(١) المرجع السابق ص ١٣ ، ١٤ .

جميع البدن . . . واختلف الناس فى صورة إرخائه ، فقال ابن عباس : ذلك أن تلويه المرأة حتى لا يظهر منها إلا عين واحدة تبصر بها ، وقال ابن عباس أيضا وقتادة: ذلك أن تلويه فوق الجبين وتشده ، ثم تعطفه على الأنف ، وإن ظهرت عيناها لكنه يستر الصدر ومعظم الوجه ، وقال الحسن تغطى نصف وجهها . . . وذكر أبو هريرة رقة الثياب للنساء فقال : الكاسيات العاريات الناعمات الشقيات ، ودخل نسوة من بنى تميم على عائشة ﵂ وعليهن ثياب رقاق ، فقالت عائشة : « إن كنتن مؤمنات فليس هذا بلباس المؤمنات ، وإن كنتن غير مؤمنات فتمتعينه .

وثبت عن النبى ﷺ قال : « نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن مثل أسنمة البخت لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها » .

وقد قيل إنه يجب التستر والتقنع الآن فى حق الجميع من الحرائر والإماء . . كما منع أصحاب الرسول ﷺ النساء المساجد بعد وفاة الرسول ﷺ مع قوله : « لا تمنعوا إماء الله المساجد » قالت عائشة : لو عاش رسول الله ﷺ إلى وقتنا هذا لمنعهن من المساجد كما منعت نساء بنى إسرائيل » (١) .

وهكذا يتضح من تفسير القرطبى إيمانه بضرورة التستر للنساء وأن تكون الثياب واسعة فضفاضة لا تشف ولا تصف ما تحتها ، وإن كان قد قال منذ مئات السنوات «يجب التستر والتقنع الآن فى حق الجميع من الحرائر والإماء » فلا شك أن كل غيور عادل عاقل يرى اليوم ضرورة ذلك ، بعدما رأى الجميع كيف ابتذلت المرأة فصارت فى ملبسها خارج بيتها وفى الطرق العامة والأعمال والدواوين ترتدى ما يجب أن ترتديه فى حجرة النوم مع زوجها ؟!!

ويوضح ابن عثيمين مفهوم الجلباب فيقول : « الجلباب هو الرداء فوق الخمار بمنزلة العباءة « قالت أم سلمة ﵂ لما نزلت هذه الآية : « خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من السكينة وعليهن أكسية سود يلبسنها » ، وقد ذكر أبو عبيدة السلمانى وغيره أن نساء المؤمنين لكن يدنين عليهن الجلابيب من فوق رؤوسهن حتى لا يظهر إلا عيونهن من أجل رؤية الطريق » (٢) .

---

(١) تفسير القرطبى .

(٢) الشيخ : محمد بن صالح بن عثيمين : رسالة الحجاب ص ١٢ ، ١٣ مركز شؤون الدعوة.

٣ ـ آية الحجاب داخل البيت وهى الآية ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلا مُسْتَئْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا**﴾ [الأحزاب : ٥٣]

والكاتبة تقول : إنها خاصة بنساء النبى فقط ـ كما سبق الإيضاح ـ ولا شك فى صحة قولها فهناك إجماع من المفسرين على صحة ذلك والآية صريحة ولا جدال . ولكننا نصحح لها معلومة وهى أن الحجاب ليس معناه ـ كما تدعى ـ حاجزًا وستارة وليس معناه فى القرآن زى أو لبس امرأة ، فنقول :

معنى الحجاب لغويًا : « ح ج ب » الحجاب الستر ، وحجبه منعه عن الدخول ، ومنه الحجب فى الميراث . . . واحتجب الملك عن الناس »(١) إذن المعنى اللغوى يشمل كل حجب بين اثنين مع اختلاف طريقة ذلك .

« وفى الاصطلاح الشرعى اختلف فى مفهومه وحدوده ، لاختلاف تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا**﴾ [النور : ٣١] فالبعض يرى أنه : تغطية سائر الجسم بما فيه العينين ، وبعضهم تغطية سائر الجسم ما عدا العينين ، وبعضهم تغطية سائر الجسم عدا الوجه والكفين والقدمين »(٢) .

كما نود الإيضاح إذا ثبت فعلا أن آية الحجاب نزلت فى نساء النبى ﷺ خاصة فهل يمنع ذلك اقتداء المسلمات بهن إذا حدثت لهن نفس الظروف ؟! وقد أمرهن الله أن يوضحوا للمسلمين ما يحدث فى بيوتهن ، فقال تعالى : ﴿ **وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ** ﴾ [الأحزاب : ٣٤].

هذا وتحاول الكاتبة نسب أسباب النزول لظروف اجتماعية خاصة كانت فى عهد

---

(١) مختار الصحاح ـ ص ١٢٢ طبعة دار المعارف ، ١٩٩٠م .

(٢) انظر كتابنا المرأة فى اليهودية والمسيحية والإسلام ص٢٥١ .

النبى ﷺ مشيرة فى خفاء أن هذه الظروف انتهت ومن ثم لا داعى لتنفيذ أحكام الحجاب فتقول :

« فلنتذكر السياق الاجتماعى الذى نزلت فيه تلك الآيات . .

كان رجال مكة قوم إغارة وتجارة ، أما المدنيون فكانوا قوم زراعة واستقرار مدنى. وبعدما هاجر الرسول إلى المدينة ، أقلق الرجال المكيون (المهاجرون) حرية نساء المدينة (من الأنصار) فى التفكير والعمل ، وعبر عمر بن الخطاب عن ذلك بقوله : « كنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا على الأنصار إذ هم قوم تغلبهم نساؤهم ، فطفقت نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار » .

وكان النبى عليه الصلاة والسلام يسكن فى تسع غرف على الجانب الأيسر من المسجد النبوى ، خمس من الجريد المغطى بالتراب وأربع من الحجر وكان لغرفة عائشة ممر يصلها مباشرة بالجامع ولم يكن هناك فاصل بين الخاص (بيت النبى) والعام (الجامع الذى تتم فيه لقاءات المسلمين وتقام فيه الصلوات) ، لدرجة أن الرسول ﷺ كان يسمع ما يجرى فى المسجد من أحاديث وهو فى غرفة عائشة ، وكان الرجال والنساء الباحثون عن المعرفة يتزاحمون حول الرسول وهو داخل إلى بيته ، بعد أن يرهقوه بأسئلتهم ، وكانوا يلاحقونه وينادونه من وراء الحجرات حتى نزلت الآية: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ۝٤ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** [الحجرات : ٤ ، ٥] ولم يكن أغلب البدو فى ذلك الوقت يحسنون أدب المخاطبة ولا التعبير فى الكلام ، خاصة إذا ما تعلق الأمر بخلافات بينهم ، على الرغم من إيمانهم وشغفهم بالدين الجديد ، فكانوا يتحدثون جميعا إلى الرسول فى وقت واحد ويرفعون أصواتهم عليه ، فنزلت الآية الكريمة : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾** [الحجرات : ٢] »[1] . .

ونود أن نشير : لم يقلق المهاجرون حرية نساء المدينة فى التفكير والعمل لأن ذلك من غايات الإسلام وأهدافه وفقا للشروط المنظمة لذلك ، ولكن القلق من

---

(١) إقبال بركة : الحجاب رؤية عصرية ص ٤٢ .

مجادلة النساء للرجال وتقول الكاتبة عن سبب نزول آية الحجاب [الأحزاب : ٥٣] :

« وعن سبب نزول آية الحجاب : « عن أنس بن مالك ﷺ ... كنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل ، وكان أول ما أنزل فى مبتنى (زواج) رسول الله ﷺ بزينب ابنة جحش . أصبح النبى ﷺ بها عروسا ، فدعا القوم فأصابوا من الطعام ثم خرجوا وبقى رهط منهم عند النبى ﷺ فأطالوا المكث ، فقام النبى ﷺ فخرج وخرجت معه ، ومشى النبى ﷺ ومشيت ، حتى جاء عتبة حجرة عائشة ، ثم ظن أنهم خرجوا فرجع ورجعت معه ، حتى إذا دخل على زينب ، فإذا هم جلوس لم يقوموا ، فرجع النبى ﷺ ورجعت معه فإذا هم قد خرجوا ، فضرب النبى بينى وبينه بالستر وأنزل الحجاب » رواه البخارى ومسلم .

ومفاد الحديث أن النبى دعا جماعة المسلمين إلى حفل زفافه على زينب بنت جحش رضى الله عنها ، وحضروا جميعا وأكلوا وذهبوا إلا بعض الثقلاء تجاوزوا حدود الضيافة ، وظلوا جالسين فى غرفة العروس يثرثرون مما ضايق الرسول ﷺ على الرغم مما هو معروف عنه بضبط النفس والسماحة والصبر . وخرج الرسول عليه الصلاة والسلام من غرفة السيدة زينب ومر على زوجاته ، ثم عاد ليجد تلك المجموعة ما زالت فى مكانها لم تبرحه وما زالت تثرثر فى أحاديث فارغة ، ويقول أنس بن مالك أنه لما عاد ووجدهم قدم رجلا داخل الغرفة وأبقى الأخرى خارجها ، وفى تلك اللحظة نزلت آية الحجاب التى منعت العرب من زيارة بيوت أمهات المؤمنين بدون إذن، ونظمت أسلوب التحدث إليهن ليكون من وراء حجاب أى ساتر (ستارة) .

وحديث أنس بن مالك يدلنا على أن الحجاب (الستار) ضرب بين رجلين هما الرسول ﷺ وأنس ، وليس بين رجل وامرأة » (١) .

ونحن نقول موضحين :

لا خلاف على سبب نزول الآيات ـ كما سبق القول ـ ، ولكن حديث أنس لا يفهم منه أن الحجاب « الستارة » ضرب بين رجلين هما الرسول ﷺ وأنس ، وليس بين رجل وامرأة ، ففى تفسير القرطبى جاء أن أنس ﷺ قال : « فما أدرى أنا أخبرت

(١) إقبال بركة : الحجاب رؤية عصرية ص٤٣ .

النبى ﷺ أن القوم قد خرجوا أو أخبرنى ، قال : فانطلق حتى دخل البيت ، فذهبت أدخل معه فألقى الستر بينى وبينه ونزل الحجاب » (١) .

وأنس يقصد بقوله : « فألقى الستار بينى وبينه » أى منعنى من دخول البيت تنفيذًا لأحكام الآية ، ودليل ذلك أن الرسول ﷺ كان يقابله فى كل مكان بلا حجاب، وهل يعقل عاقل أن الحجاب يضرب بين رجل وآخر ولا يضرب بين رجل وامرأة ؟!!

وسواء كان الحجاب ستارة بين من يغشون البيت أو جدارًا ، فالحكم واجب والمعنى واحد .

وتستكمل الكاتبه أفكارها فتقول : « بعد نزول هذه الآيات أصبح لزاما على المسلمين أن يعاملوا زوجات النبى معاملة مميزة ، وعرفوا أنهن لسن كبقية النساء ، وعرفت زوجات الرسول ذلك أيضًا أنهن قد أمرن بأن يحتجبن عن عامة الناس ، ولا يغادرن بيوتهن (إلا للضرورة) « وقرن فى بيوتكن » ، وصار لزاما على الرجال المسلمين أن يكفوا عن التفكير فى الزواج من أى منهن بعد وفاة النبى ﷺ ، وقد كان بعض الأعراب قد تحدثوا علنا فى ذلك أمام النبى ﷺ ، دون خجل ودون أن يشعروا أنهم يؤذون مشاعره ﴿**وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا**﴾ [الأحزاب : ٥٣] وأدركت زوجات النبى أن الاقتران برسول الله وخاتم الأنبياء ليس كالزواج من أى رجل ، وأن الله تعالى يضاعف عذاب من قد تأتى منهن بفاحشة ، وكذلك يضاعف أجرهن على العمل الصالح : ﴿ **يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا** (٣٠) **وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا**﴾ [الأحزاب : ٣٠ ، ٣١] وبعد وفاة الرسول رفض الإذن لنسائه بالمشاركة فى الجهاد، مع الإذن لعامة النساء « وهو من الخصائص النبوية التى شاء الله سبحانه وتعالى أن يميز بها رسوله وأهل بيته عن سائر الناس ، كرامة له وتعظيما لمقامه ، وارتفاعا بآل البيت عن كل شبهة ، ومن ثم فالاقتداء بهن غير مطلوب ويعنى تطاولا محظورا إلى مقام النبوة» .

---

(١) تفسير القرطبى .

إذن فالنساء المسلمات لسن مطالبات بالاقتداء بنساء النبى ﷺ والدليل على ذلك موجود فى نفس السورة :

﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب : ٣٢ ـ ٣٤] (١)

ولا شك أن هناك مزايا تكريم للرسول ﷺ ونسائه وهى خاصة بهم ، ولكن هناك آيات متعدده توضح أن الله فرض على المسلمات الحجاب أسوة بنساء الرسول دون باقى المزايا من ثواب وعقاب وعدم زواج ـ ومن هذه الآيات :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا ... لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور : ٢٧] .

آيات الاستئذان داخل البيوت :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٨) وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٩) وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور : ٥٨ ـ ٦٠] .

آيات تحديد الأقارب الذين لا يُحتجب عنهم داخل البيوت

﴿ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ

(١) الحجاب رؤية عصرية ص٤٣٠ ، ٤٤ .

أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون ﴾ [النور: ٣١]

معلوم أنه لما أنزلت آيات حجاب نساء الرسول ﷺ [الأحزاب : ٣٢ ـ ٣٤] قال الآباء والأقارب لرسول الله ﷺ ونحن أيضًا نكلمهم من وراء حجاب ؟ فنزلت الآية [الأحزاب :٥٥] ﴿ لا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلا أَبْنَائِهِنَّ وَلا إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلا نِسَائِهِنَّ وَلا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ وعلى ذلك يمكن القول بأن الله فرض آدابًا لحجاب المسلمات داخل البيوت لا تختلف عما فرض على أمهات المؤمنين .

يقول ابن كثير فى تفسير الآية (٣٣) من سورة الأحزاب ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء ﴾ هذه آداب أمر الله تعالى بها نساء النبى ﷺ ونساء الأمة تبع لهن فى ذلك » [١] .

ونرى أن دليل مساواة نساء النبى ﷺ لباقى النساء فى آداب الحجاب قوله تعالى : ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأحزاب:٣٣] ، فهل إقامة الصلاة وآداء الزكاة وطاعة الله ورسوله هى ميزة خاصة لنساء النبى؟!

بالطبع لا ، فكل النساء مأمورات بذلك وعلى ذلك فحقيقة معنى ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء ﴾ هى خاصة بمضاعفة الثواب والعقاب ، والنهى عن الزواج بعد وفاة رسول الله ﷺ وتعليم سُنة رسول الله للمسلمين ، وذلك كله بهدف تزكية وتطهير وإعلاء شأن أمهات المؤمنين.

إن ادعاء الكاتبة بفرض الجهاد على نساء المؤمنين خطأ فاحش فلم يفرض الجهاد أبدًا على النساء ، وكل من جاهدت وخرجت مع الجيوش كن متطوعات ، ولكن الكاتبة تحاول بشتى الطرق إثبات أن القرار فى البيت لنساء الرسول فقط وقد أثبتنا ـ بحمد الله خطأها .

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٤٦٤ .

وتستطرد الكاتبة فى أقوالها فتقول : « وقال بعض المفسرين : فلما نزلت فى نساء النبى ﷺ هذه الآية قالت نساء المسلمين فما نزل فينا شىء ! فنزلت الآية :

﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب :٣٥] .

هذه هى شروط الإيمان الصحيح ، التى تساوى بين النساء والرجال فى كل شىء.

ورغم أن المسلمات ، وغير المسلمات ، كن يرتدين الخمار والجلباب ، وأحيانا النقاب منذ زمن طويل ، فقد اختلف المفسرون حول معانى وشروط أشكال اللباس الذى يحمى جسد المرأة . ففى معنى الجلباب قال البعض « الجلباب كسرداب القميص». وقال آخرون : « رداء تغطى به المرأة ثيابها ، أو ثوب واسع دون الملحفة ، وهو فى كل الأحوال رداء كانت ترتديه النساء بالليل لستر أجسادهن » . وانشغلوا قرونا طويلة بماذا يظهر وماذا يختفى من بدن الحرة وبدن الأمة ، وانقسموا حول المقصود بعبارة « يدنين عليهن من جلابيبهن » فذهب البعض (عن ابن عباس) أن نساء المسلمين أمرن بأن يغطين رؤوسهن ، ووجوههن بالجلباب إلا عينا واحدة ليعلم أنهن حرائر !! ورأى البعض الآخر أنهن يجب أن يغطين جباههن . وقال النسفى : كانت جيوبهن (فتحة الصدر) واسعة تبدو منها صدورهن ، وكن يسدلن الخمر من ورائهن ، فتبقى مكشوفة فأمرن أن يسدلنها من قدامهن » .

كذلك اختلف الفقهاء فى تفسير كلمة الجيوب : « وليضربن بخمرهن على جيوبهن» . فقال البعض: إن موضعها النحر أى أعلى الصدر ، وقال آخرون : بل الصدر لا النحر وقد كنى عن الصدور بالجيوب لأنها تلبس عليها . واختلفوا وتناقضوا حول ماهية الزينة الظاهرة التى يمكن أن تبديها المرأة للغرباء (ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها) . فقال بعضهم إنها الوجه والكفان ، وأضاف ابن مسعود : والثياب (!) ، وقال آخرون (عن ابن عباس) إنها الكحل والسوار والخضاب (الحناء) إلى نصف الذراعين والقرط والخاتم .

وفى رواية أخرى تغطى شعرها وصدرها وترائبها وسوالفها ! وهو قول يناقض القول الأول فهو لا يرغم المرأة على تغطية الوجه والكفين ، وقيل (عن ابن عباس أيضًا) : أن الزينة الظاهرة هى الكحل والخاتم والخدان والخضاب فى الكف . وقال النسفى : إن مواضع الزينة الرأس والأذن والعنق والصدر والعضدان والذراع والساق والقرط والقلادة والوشاح والدملج والأسوار والخلخال . وأفتى بعض الفقهاء، بأن الإماء المؤمنات لهن (وعليهن) أيضًا أن يكشفن عن رؤوسهن وبعض أطرافهن (مثل قدر من الذراع وقدر من أسفل الساق) ، أثناء العمل إعمالا لقاعدة « المشقة تجلب التيسير » ، أو قاعدة « الحاجات تنزل منزلة الضرورات فى إباحة المحظورات » ، بل إن البعض الآخر أفتى بجواز كشف الذراع أثناء الصلاة لأنها من الزينة الظاهرة (كالسوار) . ورغم أن الآيات لا تذكر شيئا عن الشعر فقد قالوا بأن المرأة عليها أن تغطى شعرها لأنه مصدر الفتنة فيها ، بينما من المسموح لها أن تضع الكحل لتظهر سحر عينيها والخضاب (أى الماكياج والمانيكير بلغة العصر) ، وأن تتزين بكل أنواع الإكسسوارات من أقراط وأساور وخواتم . . إلخ ! وقد زعموا أنه تعالى لعن (السلتاء) التى لا تخضب بالحناء (والمرهاء) التى لا تكتحل !! وتلك هى الزينة الظاهرة فى رأى المفسرين القدامى ولا دليل عليها فى كتاب الله !

تلك خلاصة ما اجتهد إليه المفسرون القدامى فى تفسير الآيات الكريمة ، وأغلبها يعود إلى رأى المفسر شخصيا وليس إلى نص آية قرآنية أو حديث صحيح. وقد أجمعوا على أن الغرض من الآيات لم يكن تعبديا أو دينيا ، وإنما اجتماعى صرف ، وهو حماية النساء المسلمات الحرائر من المستهترين من شباب المدينة المنافقين والصعاليك، الذين يلحقون بهن الأذى ، فى الوقت الذى يحتاج فيه النبى إلى تنظيم صفوف المسلمين ومواجهة الأعداء ، إلى جانب تنظيم شؤون الدولة والتمهيد لاستقرارها بالقوانين والمؤسسات الشرعية التى تحمى الأفراد وتحرس الأمن وتعاقب الخارجين على القوانين . ورغم أن مذهب جمهور العلماء أن الأمر بشىء لا يدل على وجوب هذا الشىء ، ولأن قوله تعالى﴿ **ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ** ﴾ [الأحزاب:٥٩] ، مما يدل على أن ذلك لا يدفع الفساد حتما ، وإنما هو أدنى إلى دفعه، ومثل هذا يكون مندوبا لا واجبا»[١].

---

(١) الحجاب رؤية عصرية ص٤٤ ـ ٤٦ .

ونقول فى ردنا على هذه الأفكار باختصار :

١ ـ ادعت الكاتبة أن الجلباب كان ملبسًا ترتديه النساء بالليل لستر أجسادهن ، والواقع أنه كان يرتدى كل وقت ، فكان المسلمون من الفقر بحيث إن المرأة كانت ترتدى زيًا واحدًا ليلاً ونهارًا وربما يشاركها فيه زوجها .

٢ ـ اختلاف الفقهاء والعلماء والمفسرين فى معنى الجلباب والجيب والزينة بأنواعها هى حقيقة مؤكدة لا خلاف عليها ، ومرجع ذلك ليس أهواء العلماء ورأيهم الشخصى ولكن لسعة مفهوم ومعنى الكلمات ، كذلك لوجود أكثر من حديث نبوى صحيح يتناول الأمر الواحد ، وذلك من عوامل السعة والمرونة فى الدين حتى تناسب الشريعة كل زمان ومكان ومجتمع ، وهو أمر نراه فى القوانين الأرضية ، وأيضا فى كافة العلوم ففى الطب هناك أكثر من مدرسة « رأى » لعلاج المرض الواحد ، من يرى التبكير بالجراحة ومن يرى التأخير ، ومن يرى كثرة أنواع الدواء ومن يرى عدم وصف أكثر من دواء معا ، وفى الفن هناك أكثر من مدرسة . . . إلخ .

وللمسلم أن يأخذ بأيسر الآراء أو بأكثرها تشددًا حسب حالة المجتمع ووجهة نظره .

وعلى كل حال أيسر رأى فى حجاب النساء كملبس هو رأى د. يوسف القرضاوى وآخرين حيث يرون كشف الوجه والكفين وأدلتهم من القرآن الكريم :

« الأمر بضرب الخمار على الجيب لا على الوجه .

قوله تعالى فى شأن المؤمنات : ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [النور : ٣١]

فالخمر جمع خمار ، وهو غطاء الرأس ، والجيوب جمع جيب ، وهو فتحه الصدر من القميص ونحوه ، فأمر النساء المؤمنات أن يسدلن ويلقين بخمرهن وأغطية رؤوسهن بحيث تغطى النحور ، والصدور ولا يدعنها مكشوفة كما كان نساء الجاهلية يفعلن .

فلو كان ستر الوجه واجبا ، لصرحت به الآية ، فأمرت بضرب الخمار على الوجوه ، كما صرحت بضربها على الجيوب ، ولهذا قال الإمام ابن حزم بعد ذكر الآية الكريمة : فأمرهن الله تعالى بالضرب بالخمار على الجيوب ، وهذا نص على ستر

العورة والعنق والصدر ، وفيه نص على إباحة كشف الوجه ، ولا يمكن غير ذلك أصلاً » « المحلى : ٣/ ٢٧٩ » (١) .

كما يرى سيادته فى أمر الرجال بغض الأبصار دليل على جواز كشف الوجه فيقول : « أمر الرجال بغض أبصارهم فى القرآن والسنة ، كما فى قوله تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ .... يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠] وقوله ﷺ : « اضمنوا لى ستًا أضمن لكم الجنة . . . وغضوا أبصاركم»(٢) .

وقوله لعلى : « لا تتبع النظرة النظرة ، فإنما لك الأولى وليست لك الآخرة»(٣).

وقوله : « يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه اغض للبصر وأحصن للفرج » (٤) .

فلو كانت الوجوه كلها مستورة ، وكان كل النساء منقبات ، فما وجه الحث على الغض من الأبصار ؟ وماذا عسى أن تراه الأبصار إذا لم تكن الوجوه سافرة يمكن أن تجذب وتفتن ؟ وما معنى أن الزواج أغض للبصر إذا كان البصر لا يرى شيئًا من النساء؟

يؤكد ذلك قوله تعالى لرسوله ﷺ : ﴿ لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُن ﴾ [الأحزاب : ٥٢] فمن أين يعجبه حُسنهن ، إذا لم يكن هناك مجال لرؤية الوجه الذى هو مجمع المحاسن للمرأة باتفاق؟(٥) .

الزينة « التزين » ورأى العلماء فيها :

بافتراض إيماننا بأن أوسع وأيسر ما يسمح بظهوره من المرأة هو الوجه والكفين، فما هو حكم زينة الوجه والكفين « ماكياج ، مانكير وباديكبر » وما ترتديه من

---

(١) الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوى : النقاب للمرأة ص٣٤ ، ٣٥ .

(٢) رواه أحمد وابن حبان والحاكم والبيهقى فى « الشعب » عن عبادة وحسنه

(٣) رواه أحمد وأبو داود والترمذى والحاكم عن بريدة .

(٤) رواه الجماعة عن ابن مسعود .

(٥) الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوى: النقاب للمرأة ص ٣٤ ـ ٣٦ .

ملابس.

يقول الإمام القرطبى فى تفسيره : « الزينة على قسمين : خلقية ومكتسبة ، فالخلقية وجهها فإنه أصل الزينة وجمال الخلقة ومعنى الحيوانية . . . وأما الزينة المكتسبة فهى ما تحاول المرأة فى تحسين خلقتها كالثياب والحلى والكحل والخضاب.

ومن الزينة ظاهر وباطن ، فما ظهر فمباح أبدًا لكل الناس من المحارم والأجانب، وقد ذكرنا رأى العلماء فيه ، وأما ما بطن فلا يحل إبداؤه إلا لمن سماهم الله فى هذه الآية أو حل محلهم » [١] .

ويقول : ابن عثيمين [٢] عن الزينة :

« إن الله تعالى نهى عن إبداء الزينة مطلقًا إلا ما ظهر منها وهى التى لابد أن تظهر كظاهر الثياب ولذلك قال إلا ما ظهر منها لم يقل إلا ما أظهرن منها ثم نهى مرة أخرى عن إبداء الزينة الا لمن استثناهم فدل هذا على أن الزينة الثانية غير الزينة الأولى. فالزينة الأولى هى الزينة الظاهرة التى تظهر لكل أحد ولا يمكن إخفاؤها والزينة الثانية هى الزينة الباطنة التى يتزين بها ولو كانت هذه الزينة جائزة لكل أحد لم يكن للتعميم فى الأولى والاستثناء فى الثانية فائدة معلومة .

ـ أن الله تعالى يرخص بإبداء الزينة الباطنة للتابعين غير أولى الإربة من الرجال وهم الخدم الذين لا شهوة لهم ، وللطفل الصغير الذى لم يبلغ الشهوة ولم يطلع على عورات النساء فدل هذا على أمرين :

أحدهما : إن إبداء الزينة الباطنة لا يحل لأحد من الأجانب إلا لهذين الصنفين.

الثانى : أن علة الحكم ومداره على خوف الفتنة بالمرأة والتعلق بها ولا ريب أن الوجه مجمع الحسن وموضع الفتنة فيكون ستره واجبًا لئلا يفتتن به أولو الإربة من الرجال.

---

(١) تفسير القرطبى .

(٢) الشيخ / محمد بن صالح بن عثيمين : رسالة الحجاب ص٨ . ٩ .

وقد أسهبنا فى عرض رأى فضيلته لأنه يحوى أيضا رأيه فى ضرورة تغطية الوجه والكفين .

قوله تعالى : ﴿ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ [النور : ٣١] .

يعنى لا تضرب المرأة برجلها فيعلم ما تخفيه من الخلاخيل ونحوها مما تتحلى به للرجل فإذا كانت المرأة منهية عن الضرب بالأرجل خوفًا من افتتان الرجل بما يسمع من صوت خلخالها ونحوه فكيف بكشف الوجه .

فأيما أعظم فتنة أن يسمع الرجل خلخالاً بقدم امرأة لا يدرى ما هى وما جمالها لا يدرى أشابة هى أم عجوز ، ولا يدرى أشوهاء هى أم حسناء ، أيما أعظم فتنة هذا أو أن ينظر إلى وجه سافر جميل ممتلئ شبابا ونضارة وحسنًا » .

أما عن التزين بمعنى قص الشعر وصبغه ووصله، وتزيين الوجه من وضع مساحيق وألوان وكحل أو ما فى حكمه وطلاء شفاه وإزالة حواجب وإعادة رسمها وطلاء أظافر وتفليج أسنان ، وإجراء جراحات لتوسيع عيون ، وتعديل شكل الشفتين أو استدارة النهود ، أو غير ذلك فنرى الإجابة شافية فى قوله تعالى : ﴿ وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا (١١٧) لَّعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (١١٨) وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ [النساء :١١٩].

فالآية أوضحت أن الزينة المحرمة هى ما أدت إلى تغيير ما خلق الله ، لأن ذلك يعد اعتراضًا على مشيئة الله الذى أحسن خلق الإنسان فقال : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين : ٤] .

كما قال مباهيا بخلقه على أكمل حُسن فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الإنفطار:٦ ـ ٨] ومعنى أى صورة أى أجمل صورة ومن الآيات يتضح أن كافة عمليات الزينة التى تتم لتغيير أو تعديل شكل أعضاء الجسم ومنها الوجه فهى حرام لأنها تمثل الاعتراض على شكل ما خلقه الله ، ويستوى فما ذلك ما يتم بطريقة غير جراحية وما يتم بعمليات جراحية .

فإزالة شعر الحاجب نهائيًا ورسمه بالقلم بصورة خاصة ، حرام ، وإجراء نتف للحاجب يؤدى إلى تغيير شكله ـ وليس إزلة الشعر الزائد حوله ـ حرامًا ، وإجراء

جراحة تحت الحاجب وفوق العين لإظهار شكل العيون بطريقة خاصة وشكل الحواجب حرام، وعمليات تكبير الصدور أو تصغيرها حرام ، وعمليات نزع الدهون أو اللحوم من أماكن معينة لإظهار أعضاء أخرى أو لتعديل شكلها حرام ، ونزع أجزاء من الخصر لإظهار وإبراز ما تحته وما فوقه ، وعمل جراحات لإظهار استدارة أو إبراز أجزاء حساسة أمامية أو خلفية من الجسد حرام ، وكل ما سبق وما شاكله يعتبر من الزينة الدائمة والمستمرة المغيرة لخلق الله .

أما إذا كانت الجراحات لعلاج عيوب كشفة مشقوقة أو أنف كبير يؤدى إلى مضار صحية أو نفسية فهذا من باب العلاج وهو حلال .

أما بالنسبة للوشم « الرسم على الجسد » فهو حرام ، وبالنسبة للشعر فحرام وصله أى زيادته بأى صورة ، ولكن يجوز قصه ونظافته إن كان لإرضاء الزوج، كما يجوز صبغه ـ على اختلاف بين العلماء .

أما وضع المساحيق وأحمر الشفاه وغير ذلك فهى حلال بشرط أن تكون زينة خاصة للزوج ووضع المانكير على الأظافر حرام لأنه يمنع وصول ماء الوضوء إليها وبالتالى يمنع من صحة الصلاة .

ونسوق الأحاديث النبوية التى تناولت ما أوضحناه :

عن أسماء رضي الله عنها أن امرأة سألت النبى ﷺ : يا رسول الله إن ابنتى أصابتها الحصبة فتمرق شعرها « تقصف وخفت كثافته » وإنى زوجتها ، أفأصل فيه ؟ قال : « لعن الله الواصلة والموصولة » الحديث متفق عليه .

وهنا غضب الله ولعنته شملت « الواصلة » أى التى تقوم بإجراء هذه العملية «الكوافير » ، والموصولة أى التى يوصل شعرها ، ومن باب أولى فالباروكة حرام .. واللعنة على صانعها ولابسها .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ : « لعن الواصلة والمستوصلة ، والواشمة والمستوشمة » متفق عليه .

والواشمة من تقوم برسم أشكال على أجساد النساء كما نرى الموضات الآن ،

صورة على الذراع أو حول العنق . .

والمستوشمة : التى يعمل ذلك فى جسدها .

وعن ابن مسعود ﷺ قال : لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات ، خلق الله » فقالت له امرأة فى ذلك « أى اعترضت عليه ، فقال : ومالى لا ألعن من لعنه الله وهو فى كتاب الله ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** ﴾ [الحشر :٧] الحديث متفق عليه .

والمتفلجة : التى تبرد الأسنان لتصنع مسافة بينهما ، وذلك بهدف التزين ، أما لو كان للعلاج فلا بأس ، والنامصة التى تأخذ من شعر حاجب غيرها ، والمتنمصة التى يُفعل بها ذلك ، والمقصود هو تحريم من يحاول تغيير شكل الحاجب ، أما نزع الشعر حوله دون تغيير شكله فهو حلال لأنه من باب النظافة .

وتستطرد الكاتبة منتقدة نظام الحجاب داخل المنزل فتقول :

« لقد اتخذ بعض الفقهاء تلك الآيات ذريعة للإفتاء بالحجر على النساء ، حرائر وإماء ، وحرمانهن من أبسط الحقوق الإنسانية ، وعزلهن داخل جزء خاص فى البيوت (الحريم) لا يخرجن منه إلا مرتين ، مرة إلى بيت الزوجية ومرة إلى القبر !

وفتاوى قهر المرأة التى تفيض بها مئات الكتب القديمة تتعارض تماما مع الموقف الصحيح للإسلام من المرأة ، والذى تشهد عليه العديد من الآيات القرآنية الكريمة، فكيف يكون تغطية بدن المرأة كلها ، إلا عين واحدة ، اتقاء للفتنة وحتى لا تشيع الفوضى فى المدينة ، بينما فى القرآن الكريم آية تأمر المسلمين ، رجالا ونساء ، بأن «يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم » . فالرجال مأمورون بغض البصر « أى بعدم الحملقة فى النساء » ، وألا يقربوا الفاحشة ، فالله يراقبهم ، ما ظهر منها وما بطن ؛ وخير لهم أن يلتزموا بأمره الواضح الصريح ، وأن يتقوا الله فى النساء المسلمات ﴿**فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**﴾ [النور : ٣٠] .

كذلك أمرت النساء بغض البصر عن الرجال ، و : « يحفظن فروجهن » ، كما نصحن بالتحشم فى الملبس وفى السلوك ، وألا يبالغن فى إبداء زينتهن (الظاهرة) ،

حتى يتقين شر ضعاف النفوس ، من غير الأقارب ، الذين لم يتغلغل الإيمان إلى أعماقهم بحيث يحميهم من شر قلوبهم المريضة (المحرضة على الرذائل) .

كان الغرض من الآية الكريمة تيسير خروج المرأة (وسط الصحراء وفى الظلام) لقضاء حاجتها ، وتسهيل حركتها ، حتى لا يتعرض لها أحد بالأذى ، لكن الفقهاء القدامى أفتوا أن تحتجب نساء المسلمين فى كل مكان وحتى آخر الزمان . ويلى ذلك الإجراء الوقائى الذى نصح به القرآن تحذير شديد للرجال المنافقين والمستهترين الذين يشيعون الفوضى فى المدينة ، إذا لم يرتدعوا ولم يتوقفوا عن ملاحقة النساء وإيذائهن، حلت لعنة الله ويحق للحاكم أن ينفذ عليهم عقابًا صارمًا ، يصل إلى إلقاء القبض عليهم ونفيهم من المدينة أو قتلهم ، وهذا يتضح من الآيات ٦٠ ، ٦١ فى نفس السورة (الأحزاب) :

﴿ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلاَّ قَلِيلاً (٦٠) مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً ﴾ .

لقد عسر المفسرون القدامى على النساء من حيث أراد الله تعالى أن ييسر عليهن ، وقيدوهن من حيث أراد سبحانه وتعالى أن يحررهن . وقد غالوا فى ذلك حتى وصل بعض الحنابلة بعد منتصف القرن السابع الهجرى إلى حد فرض ستر جميع بدن المرأة بما فى ذلك الوجه والكفان والقدمان ، وأن كل شىء منها عورة حتى ظفرها !! ووصل الحنابلة إلى حد القول بأنه إذا انكشف من المرأة شىء سوى وجهها أعادت الصلاة . أما أبو حنيفة فرأى أن قدمى المرأة ليستا عورة عملا بمبدأ « الابتلاء بالإبداء » لأنها تبتلى بإبداء القدم إذا مشت حافية أو منتعلة فربما لا تجد الخف « على أن الاشتهاء لا يحصل بالنظر إلى القدم كما يحصل بالنظر إلى الوجه ، فإذا لم يكن الوجه عورة مع كثرة الاشتهاء فالقدم أولى » .

وواقع الأمر أن الآيات الكريمة لم تذكر أعضاء المرأة التى يجب أن تظهر أو تختفى ولم تصرح بزى محدد يفرض على المؤمنات فى كل زمان ومكان بل تركت ذلك لكل عصر ، تختار فيه المؤمنات وفق إرادتهن الحرة ما يحقق لهن الاحتشام وعدم التبذل واتقاء الفتنة . ويرى بعض المفسرين المحدثين أن « خلاصة ما تتضمنه الآية أنها تسمح

بإظهار قدر من الزينة مع الأمر بستر فتحة الصدر ، وتنهى النساء عن أن يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن . وفى الوقت نفسه سمحت الآيات بإبداء الزينة لاثنتى عشرة فئة من أهل المرأة منها (ما ملكت أيمانهن) من رجال ونساء ».

وقد اختارت النساء العاملات فى وقتنا الراهن كلباس محتشم ارتداء البدل أى البنطلونات تحت الجاكيتات الطويلة نوعا تنسدل على البدن مقتربة من الساق فهل خالفن فى ذلك الشرع لأن البدلة والجاكيت والبنطلونات لم تذكر فى آية أو حديث شريف » [1] .

ونحن نقول : سبق أن أوضحنا الرد على هذا الكلام كما نوضح صدق ما قالته الكاتبة من أن الإسلام لم يفرض زيًا معينًا بمعنى تفصيلة معينة أو موضة معينة بذاتها لملبس النساء ، ولكن اشترط شروطًا شرعية لهذا اللبس والزى ، وسبق إيضاحها ، وما ترتديه اليوم المسلمات من زى محتشم يتكون من بنطلون وجاكيت طويلة تنسدل على البدن وتخفى ما بين الساقين هو أفضل لبس يحقق متطلبات الشرع ، ولا خلاف فى ذلك ، ولكن هل ما زال النساء يفعلن ذلك ؟! لقد ارتفع الآن الجاكت حتى أصبح الوسط عاريًا ، وجُسم ما بين الفخذين حتى أصبح « الفرج » وكأنه عارٍ واضح مجسم، بل تمادت النساء وتم ابتكار قصات تبرز الأعضاء التناسلية للمرأة وتجليها وكأنها تقول انظروا أيها الرجال لمواهبى الخاصة ؟! وتعدى الأمر الأمام إلى الخلف فأصبحت البنطلونات تجسم الإلية وتظهر استدارتها ، ومعنى ذلك بدأت الموضة موافقة للشرع وانتهت الموضة مؤيدة للشيطان .

وتستطرد الكاتبة موضحة فكرها ورأيها فتقول : « وهكذا تناقضت تفسيرات المفسرين القدامى ، وتجاوزت صريح الآيات التى تأمر بغض البصر وعدم المبالغة فى الزينة وتغطية الجيوب ، والقاعدة الفقهية التى أرسوها أن لا حجة مع التناقض ! وليس غريبًا عليهم أن يختلفوا ويتناقضوا فى تلك الآيات ، فقد فعلوا ذلك فى أغلب الأمور الأخرى وانقلبوا إلى مذاهب وشيع وفرق حتى روى عن الإمام على ﷺ أنه قال : «فيا عجبا ومالى لا أعجب من خطأ هذه الفرق على اختلاف حججها فى دينها ،

(١) المرجع السابق ص ٤٦ ـ ٤٨ .

يعملون فى الشبهات ويسيرون فى الشهوات المعروف فيهم ما عرفوا والمنكر ما أنكروا».

إن الإسلام لم يبتدىء ، الخمار ولم يبتكر الجلباب وإنما نظم عملية ارتداء المسلمة لهما لكى يحميها من الإيذاء ، فى وقت كان الناس قريبى عهد بالوثنية ، لم تتعمق فى نفوسهم التقوى والخوف من الله ومن حسابه يوم الدين ، وقد غلبت فيهم ، قبل الإسلام ، أخلاق الجاهلية وانعدم فى زمانهم العلم ، وغابت السلطات التى تحمى المواطنين من بعضهم البعض كالقوانين والشرطة والمحاكم ... إلخ . وقد فسر القدامى آيات الحجاب وفق مفاهيم عصورهم فأضافوا إليها ما لم يُذكر فيها مثل التفرقة بين النساء ، ولا يوجد فى الآيتين ما يدل على التفرقة بين الإماء والحرائر ، بل الخطاب موجه لكل النساء : « قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين .. ».

وجاء فى تفسير القرطبى أن عمر رأى جارية من الأنصار فضربها وكره ما رأى من زينتها، فخرج أهلها فآذوا عمر باللسان : فأنزل الله الآية :

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب : ٥٨]

إن المسلمين بعد أن فرضوا الحجاب على نسائهم لم يعودوا يفرقون بين النساء الشريفات (الحرائر والمحصنات وربات الخدور) وبين الجوارى اللائى أرغمن على العمل فى بيوت المتعة : الحانات ، أو فى حريم الأمراء والأثرياء : القيان ، وأصبحوا ينظرون بشك وريبة إلى كل النساء ، ويتعاملون معهن كما لو كن جميعا عرضة للسقوط والانحراف ، وغير مهيئات للتعفف وحماية أنفسهن من الزلل . وبدلا من أن يسنوا القوانين لتنظيم المجتمع الإسلامى وحمايته من المستهترين والمنافقين ، وضعوا الأقفال على نسائهم وحرموهن من كل الحقوق التى منحها لهن الإسلام ، وحبسوهن طوال أربعة عشر قرنا كاملة داخل الحريم الجاهلى » (١) .

ونحن نردها إلى الحق قائلين :

إن أمير المؤمنين على ﷺ لم يقصد بقوله : « فيا عجبًا ومالى ... » علماء

(١) الحجاب رؤية عصرية ص ٤٨ ، ٤٩ .

الإسلام ولكن كان يقصد المنافقين الذين يسيرون وراء الشهوات ، وليس الذين يأمرون بدرء الشهوات . ومحاولة ربط الخمار والجلباب بأنه عملية تنظيم لرداء المسلمات وسببه أن نساء المسلمين قريبى عهد الوثنية ، ولم تكن هناك سلطات تحمى المجتمع أو وعى دينى يجعلهم يتمسكون بالعفة والعفاف ، هو ادعاء باطل ، فتشريع آداب الزى والزينة هو تشريع عام خالد لكل زمان ومكان ومجتمع حيث لم ينسخه القرآن الكريم أو السنة ، كما أن إيمان المسلمات بطاعة الله ورسوله كانت كاملة ، وكان يوجد نظام قانونى وسلطات تحمى المجتمع ، دستورها القرآن الكريم وسلطتها الرسول ﷺ ، ألم يرجم الزناة ، ويقام الحد على العصاة « السارق ورامى المحصنات » ، لقد كان المجتمع الإسلامى أكمل قانونا وأصدق سلطة عن أى نظام اليوم ؟ ألم يعاقب عمر العصاة والمذنبين بدرته وبسوطه وبتعزيره « السجن » ، وقد سبقه الصديق أبو بكر فقاتل مانعى الزكاة إننا أحوج اليوم للحجاب الكامل عن ذى قبل فعند تفشى الوباء ، يُطلب تحصين سائر الناس .

أما الادعاء بأن الآية ٥٨ من الأحزاب نزلت بسبب ضرب عمر لجارية ، وهو إيحاء بظلم عمر للرعية وأن الآية فيها عتاب للفاروق عمر ، فهذا تدليس ، وأوضح تفسير القرطبى هذه الآية ، يقول القرطبى :

« وقد ميز الله تعالى بين أذاه وأذى رسوله وأذى المؤمنين ، فجعل الأول كفرا ، والثانى كبيرة ، فقال فى أذى المؤمنين ﴿فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٥٨]، وروى أن عمر بن الخطاب قال لأبى بن كعب : قرأت البارحة هذه الآية ففزعت منها: « وذكر الآية » ، والله إنى لأضربهم وأنهرهم ، فقال له أبى : يا أمير المؤمنين لست منهم ، إنما أنت معلم ومقوم ، وقد قيل : إن سبب نزول هذه الآية أن عمر رأى جارية من الأنصار فضربها وكره ما رأى من زينتها فخرج أهلها فآذوا عمر باللسان ، وقيل : نزلت فى على فإن المنافقين كانوا يؤذونه ويكذبون عليه رضي الله عنه »(١) .

إن التفسير يوضح أن الآية نزلت عتابًا لمن آذوا عمر باللسان ، لأنه كأمير للمؤمنين له الحق فى توجيه وتعليم وتقويم الرعية ، ومنهم هذه الجارية ، وهو ما أوضحه أبى

---

(١) تفسير القرطبى .

ابن كعب ، وليس كما تحاول أن تصم عمر بالظلم وأذية الجارية التى لم يعجبه زينتها لعدم مناسبتها لشريعة الله ، هل إذا عاقب أولو الأمر مذنبًا بالسجن أو الضرب يعتبر ذلك أذية ؟ أم هو حق الحاكم والقانون على المحكوم؟!!

لقد ظلمت الكاتبة الإسلام وآدابه حين أوحت بأن الإسلام يبيح عمل الجوارى فى بيوت المتعة ، فالإسلام لم يأمر بذلك ونهى عن ذلك فقال تعالى مشجعًا الزواج بالإماء : ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النساء : ٢٥] .

كما قال تعالى آمرًا بعدم عمل الإماء فى الدعارة: ﴿ وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور : ٣٣]

وجاء فى تفسير القرطبى : « هذه الآية نزلت فى عبد الله بن أبى ، وكانت له جاريتان . . وكان يكرههما على الزنى ويضربهما ابتغاء الأجر وكسب الولد ، فشكتا ذلك إلى رسول الله ﷺ فنزلت الآية فيه وفيمن فعل فعله »(١) .

والآية توضح صراحة وعدم حق السادة فى التجارة بجسد ما يملكون من إماء وللسادة فقط الحق فى جماعهن أسوة بالزوجات « ما ملكت اليمين » .

وهذا ، ولم تحبس النساء أربعة عشر قرنا ، إن نظام الحرية لم ينشأ ويستفحل أمره إلا بعد قرون طويلة من انتشار الإسلام وليس نظامًا أنشأه الإسلام ، وإنما اقتبسوه من عادات وتقاليد أمم أخرى .

---

(١) تفسير القرطبى .

المبحث الثانى

محاولة نقد دعاة التحرر لأحاديث الحجاب ومعناها

كما حاول دعاة التحرر النيل من تفسير المفسرين الأوائل ومن اقتدى بهم فى تفسير آيات القرآن الكريم الخاصة بالحجاب .حاولوا الطعن فى كتب الأحاديث الصحيحة وبعض رواة الأحاديث ، فقد لجؤوا أيضا للادعاء بتناقض أحاديث الحجاب والادعاء بعدم صحتها ، أو إعادة تفسيرها حسب هواهم .

فها هى الكاتبة إقبال بركة تقول : « وفى مسألة الحجاب ينسب إلى عائشة رضى الله عنها حديث يقول : « أن أسماء بنت أبى بكر دخلت على الرسول ﷺ وعليها ثياب رقاق (شفافة) : قال لها : يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا ، وأشار إلى الوجه والكفين » ذكره أبو داود . (فى أوائل القرن الثالث الهجرى) ، وقال عنه : « وهذا مرسل : خالد بن دريك لم يدرك عائشة » . وفضلا عن ذلك لم يرد هذا الحديث فى البخارى ولا مسلم ولا مسند ابن حنبل ولا بقية الصحاح » (١) .

وسبق أن علق على الحديث أ . د يوسف القرضاوى فقال : « والحديث لا تقوم به حُجة وحده ، لما فيه من إرسال وضعف الراوى . . ، ولكن له شاهد من حديث أسماء بنت عميس ، فيتقوى به ، وبجريان عمل النساء عليه فى عهد النبى ﷺ وصحابته ، لهذ حسنه المحدث الألبانى فى كتبه : « حجاب المرأة المسلمة» ، و«الإرواء» ، و« صحيح الجامع الصغير » و « تخريج الحلال والحرام » .

وعلى ذلك فتقوية الحديث بآخر وعمل المسلمون به فى عهد الرسول يقويه ويعضده وإن كان مرسلاً .

كما تقول الكاتبة أيضا : « وهناك حديثان آخران يجيزان الكشف عن نصف الذراع : حديث قتادة لابن جرير الطبرى : قال ﷺ : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله

---

(١) الحجاب رؤية عصرية ص ٥٥ .

واليوم الآخر أن تخرج يدها إلا إلى هنا ، وقبض ﷺ على نصف ذراعه. وحديث ابن جريج عن عائشة : قال ﷺ: « إذا عركت المرأة - أى بلغت الحلم - لم يحل لها أن تظهر إلا وجهها ، وما دون هذا (وقبض على نصف ذراع نفسه) » ، وقد أخذ المالكية بهذه الأحاديث ورفضوا تضعيفها ، إلا أنهم أوردوها كدليل على اعتبار الشعر ونصف الذراع ونصف الساق من العورات المخففة » [١] .

وفى ردنا عن هذين الحديثين لنسوق ما جاء فى تفسير القرطبى عنهما .

قال ابن عطية : ويظهر لى بحكم ألفاظ الآية آن المرأة مأمورة بألا تبدى وأن تجتهد فى الإخفاء لكل ما هو زينة ، ووقع الاستثناء فيما يظهر بحكم ضرورة حركة فيما لابد منه ، أو إصلاح شأن أو غير ذلك ، فـ « ما ظهر منها » على هذا الوجه مما تؤدى إليه الضرورة فى النساء ، فهو المعفو عنه .

ومن ذلك يتضح أن كشف الوجه والكفين حتى نصف الذراع لا يكون إلا لضرورة كالقيام بأعمال المنزل أو غيرها ، أما فى الوضع العادى والمعتاد يكشف الوجه والكفين فقط وهما الأصل ، ولا يوجد تعارض وإنما حكم يناسب كل حالة.

وتستطرد الكاتبة فتقول : « وثمة حديث ثالث عن ابن الأثير أن الرسول ﷺ قال لامرأة متنقبة جاءته تصيح : يا رسول الله النار النار . . فقال لها : « يا أمة الله أسفرى فإن الإسفار من الإسلام والنقاب من الفجور . . » [٢] .

وهذا الحديث لم أجد له أصلاً فى كتب الأحاديث الصحيحة وربما يكون كان قد حدث قبل نزول آيات الحجاب - والله أعلم - ولفظ « النقاب من الفجور » يتعارض مع القرآن الكريم وعمل الصحابة .

والكاتبة تعترض مرة أخرى على حديثى السيدة عائشة فتقول : « والحديثان المنسوبان لعائشة رضي الله عنها من أحاديث الآحاد التى لا يؤخذ بها فى الأمور العقائدية ، أى لا تعتبر فرضا دينيا لأن الفرض الدينى هو ما جاء فى حكم صريح قطعى لا تشابه فيه

---

(١) الحجاب رؤية عصرية ص٥٥ .

(٢) الموضع السابق ص٥٥ .

فى القرآن الكريم أو فى السنة المتواترة ، كما أنهما يتناقضان فأحدهما يجيز كشف الوجه والكفين فقط ، بينما الثانى يحلل كشف نصف الذراع . والحديث الأول جاء فى صيغة الصلاح ، بينما الثانى يحلل ويحرم .

وهناك حديث رابع « لا تقبل صلاة الحائض (المرأة البالغ) إلا بخمار » أخرجه أبو داود وابن حنبل والترمذى وابن ماجه . ويرى البعض أن هذا الحديث يضعف الحديثين السابقين ، فلو أن الأصل أن تضع المرأة غطاء على رأسها عموما ، لما كانت ثمة وصية - ولا مناسبة - لأن يطلب منها وضع خمار على رأسها أثناء الصلاة. فحديث الخمار يفيد أن المرأة لم تكن دائمًا وأصلاً تضعه على رأسها ، كما أن الحديث يوصى بأن تضع خمارا على رأسها (لتغطى شعرها) وقت الصلاة فقط» [1] .

ونحن نقول :

حديثا السيدة عائشة - كما سبق الإيضاح - لا تناقض بينهما ، فكشف الوجه واليدين ونصف الذراع لا يكون إلا لضرورة منها القيام بأعمال تستلزم ذلك وإنما الأصل هو كشف الوجه واليدين فقط [2] .

وحديث : « لا تقبل صلاة المرأة البالغ إلا بخمار - أى تغطية الرأس » لا يتعارض مع حديثى عائشة ، فالأصل وهو وضع غطاء للرأس قائم ، ويمكن للمرأة وهى بمفردها كشف الرأس بلا خمار - عند عدم وجود أجانب عنها - أما فى الصلاة فيجب تغطية الرأس والشعر حتى لو كانت فى مصلاها وبمفردها ، وإلا أعادت الصلاة لعدم صحتها . فتغطية الرأس هنا شرط لصحة الصلاة .

وتوضح الكاتبة ، وصايا الرسول المتعددة بالاهتمام بالملبس فتقول : « وفى كتب الحديث أحاديث كثيرة عن اللباس منها أن رسول الله ﷺ قال « كل ماشئت ، واشرب ما شئت ، والبس ما شئت ، ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة» ، وقال : « أحسنوا لباسكم وأصلحوا رحالكم حتى تكونوا كأنكم شامة فى الناس » ، وقال:

---

(١) الحجاب رؤية عصرية ، ص٥٦ .

(٢) استعرضنا ذلك فى بداية المبحث .

«خير لباس كل زمان ، لباس أهله » و « إن الله يحب من عبده إذا خرج لإخوانه أن يتهيأ له ويتجمل » . وسواء كانت تلك أحاديث صحيحة أو موضوعة فهى تنم عن روح الإسلام الحقيقية التى تجعله بحق دينا لكل زمان ومكان » [1] .

ونحن نقول لها إن روح الإسلام التى تجعله مناسبًا لكل زمان ومكان ، تكمن فى المرونة والسعة فى أحكامه ، ولا تكون بالتخلى كلية عن أحكامه ، فأحكام الحجاب التى تحاول الكاتبة هدمها والادعاء بتناقضها يمكن أن نوضحها فيما يلى :

١ ـ الحد الأعلى والتشدد هو تغطية الرأس والوجه والكفين ما عدا عين أو اثنتان وذلك فى حال الخوف من فتنة وجه المرأة وطغيان جمال العيون ، وإذا كان ذلك يناسب مجتمعًا ألف ذلك وتعود عليه « خير لباس كل زمان لباس أهله » [2] .

٢ ـ الحد الأدنى المتساهل هو إبداء : « إظهار » الوجه والكفين إذا لم يخف الفتنة .

٣ ـ يجوز لضرورة أن تشمل اليد الكف حتى نصف الذراع إذاك كانت هناك حاجة ضرورية ، كأن يستلزم عمل المرأة فى البيت ذلك أو غيره ، بشرط ألا يكون ذلك لإظهار مفاتن أو زينة .

٤ ـ يجوز كشف الرأس إذا كانت المرأة بمفردها ، ولكن لا يجوز فى الصلاة حتى لو كانت تصلى بمفردها فى مصلاها .

٥ ـ لبس الحسن والجيد من الملابس والظهور بالمظهر الحسن الجميل من شعائر الإسلام ولكن كل ذلك فى حدود ما أحل الله ، لا على إطلاقه .

ومن العجيب أن الكاتبة تؤيد بطريقة غير مباشرة كشف الوجه واليدين فتقول :

« ويعارض خليل عبد الكريم عودة النقاب حيث لا سند له من قرآن أو سنة، ويقول : « أتت صحابية إلى الرسول وهى تصيح : يا رسول الله النار النار . فقام

---

(١) الحجاب رؤية عصرية ص٥٦ .

(٢) أوردت الكاتبة أنه حديث نبوى وأوضحت أنه ربما صحيح أو موضوع .

إليها رسول الله ﷺ وقال ما نجواك ؟ فأخبرته بأمرها وهى منتقبة فقال : يا أمة الله أسفرى فإن الإسفار من الإسلام وإن النقاب من الفجور » فالسفور هو الأصل فى الإسلام ، وبعض نساء المسلمين كن يكشفن وجوههن وكانت من بينهن عائشة بنت طلحة حفيدة أبى بكر وبنت أخت كل من عائشة رضى الله عنها وأسماء (ذات النطاقين) .

ويتساءل خليل عبد الكريم : إذاك كانت الحجة هى التمسك بالنصوص دون نظر إلى أسباب نزولها وملابسات نزولها والبيئات التى وجدت فيها والأفراد الذين خاطبتهم والجماعات التى توجهت إليها ، فلماذا إذن لا ينهى السلفيون المحدثون الناس عن استعمال الأدوية التى تباع فى الصيدليات ويأمرونهم بالتداوى بالحجامة والسعوط والرقية والحناء والقسط البحرى والزيت والسنا والسنوت وإلية الشاة الأعرابية ، مع أن هناك نصوصا صريحة آمرة تأمر بالتداوى بها فى حين أن سلامة المجتمعات لا تقل خطورة وأهمية عن سلامة أبدان الأفراد » (١) .

ونحن نرد عليها وعلى خليل عبد الكريم فنقول :

هل أسباب النزول تغيرت الآن والبيئة تغيرت ، إننا تغيرنا فعلاً للأسوأ ، ونحن اليوم فى حاجة ضرورية جدًا ، لأن نعود لأحكام الحجاب المتشددة وليس الميسرة، فالاختلاط الرهيب والفوضى الجنسية المهلكة ، تفشت فى سائر المجتمعات حتى أصبحت بعض الداعيات للتحرر يطالبن بإلغاء مقاييس الشرف والعفة وعذرية البنات ؟! وتفشى الشذوذ الجنسى حتى أن المرأة فقدت بريق حُسنها من كثرة سفورها والمبالغة فى فجورها ، فزهدها الرجال ، وعاشر الرجل الرجل ، ولم تجد المرأة فى كثير من المجتمعات من تعاشره من الرجال ، فعاشرت المرأة امرأة مثلها ؟! فهل نحن فى حاجة إلى الحجاب أم أننا أصبحنا كقوم يصفهم الله تعالى فقال عنهم : ﴿ **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ (١٧) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ** ﴾ [البقرة : ١٧ ، ١٨] .

لقد ضرب الكاتب مثلاً أراد أن يثبت فيه ضرورة التحديث والكف عن مواريث

(١) الحجاب رؤية عصرية ص٩٨ .

الماضى الدينية والصحية ، ولكنه نسى أو تناسى أو جهل أن كل العقاقير الحديثة الكيميائية أى « الأدوية » أساسها العلمى هو المواد الفعالة فى أعشاب الطب النبوى والوصفات العربية الأصلية ، ولذلك فهناك دعوة ضخمة للعودة إلى طب الأعشاب ، حيث سببت الكيماويات الحديثة الكثير من المضار .

وتقول الكاتبة مدعية أن ما وصلنا إليه من رقى يؤدى إلى إلغاء الحجاب فتوضح :

« واليوم ، بعد أن تطورت المجتمعات البشرية ، وسنت القوانين التى تساوى بين المواطنين جميعًا ، واسترد البشر إنسانيتهم وكرامتهم ، وتعلمت المرأة وخرجت إلى الحياة العامة ، وأثبتت جدارتها فى كافة ميادين العمل ، وتفوقت الكثيرات من النساء على الرجال فى المهن التى حجبن عنها طويلا كالطب والهندسة والمحاماة والدبلوماسية والقضاء .. إلخ ، وحصلن على أرقى الجوائز المحلية والعالمية فى العلوم النظرية والعملية والآداب والفنون ، وبعد أن تقلدت النساء أعلى المناصب ووصلن ، بالانتخاب الحر النزيه ، إلى رئاسة الوزراء ورئاسة الجمهورية ، هل يسرى عليهن ما كان يسرى على نساء القرون الماضية ، وتظل النظرة العامة إليهن محصورة فى أجسادهن وحدها .. ؟! هل تستطيع قطعة نسيج أن تحمى شرف المرأة وتجبرها على العفة ... ؟!

متى يقر المجتمع الإسلامى بأن للمرأة عقلا قادرا على حمايتها ، وضميرا يقودها إلى الحق والفضيلة ، نفسًا لوامة تخشى الله فى السر والعلن ، وقد أصبح العلم حصنها والكرامة الإنسانية شعارها !.. متى يجبر الرجال جميعهم على احترام المرأة ومقاومة نفوسهم الضعيفة الأمارة بالسوء !..

ألا يصح بعد أربعة عشر قرنا من نزول الرسالة واستقرار الإسلام وانتشاره فى العالم كله ، أن تخلع المرأة حجاب الخوف والجهل ، وأن يتسلح الجميع ، رجالا ونساء ، برداء التقوى والعفة والاستقامة ! ..

إن التقوى وحدها هى معيار التكريم عند الله سبحانه وتعالى ، وليس الجنس أو النوع أو العرق فى العقيدة الإسلامية التى ساوى فيها الله بين كل البشر : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [الأنعام: ٩٨] .

والله تعالى لا يقيم الناس بمظهرهم الخارجى ، أو صورهم ، ولكن بما تحمله عقولهم وقلوبهم من أفكار ونوايا ، وبأفعالهم : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٩٧] وجزاء العمل الصالح فى آية بينة صريحة : ﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [غافر : ٣٠] و ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت : ٤٦] .

والمفروض على المرأة المؤمنة أن تنأى بنفسها عن الاغراء ، بغض البصر الذى أمر به المسلمون رجالا ونساء ، وعدم التبرج ، وباللباس المحتشم الذى لا يلفت الأنظار وبالاستقامة :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الأحقاف: ١٣]

وفى الحديث الشريف : « إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم » (رواه مسلم) .

إن العفة هى السلاح الحقيقى للمرأة ضد كل المغريات ، خاصة فى عصرنا الحاضر. وهى لا تفرض عليها بزى ، قد ترتديه مذعنة وتخفى تحته باطنا قبيحا ، وإنما تنبع من أعماقها بالتنشئة الصحيحة ، وبتعويدها على التقوى وتربية ضميرها (أى الخوف من الله السميع العليم بكل شىء) .

﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور : ٦٠] .

إن العفة أفضل سلاح للمرأة ، وهى قرار اختيارى نابع من العقل ، ومن الرغبة فى طاعة الخالق عز وجل ، وهى التى يمكن أن تحصنها من الزلل . قال تعالى ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ وقديما قال الشاعر :

إذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى   تقلب عريانا وإن كان كاسيـا

وخير لباس المرء طاعة ربـــــه ولا خير فيمن كان لله عاصيا» [1] .

ونحن تقول لها « باختصار شديد » :

لقد تطورت المجتمعات البشرية للأسوأ ، وسنت القوانين التى تدعى أنها تساوى بين المواطنين جميعًا ، لخدمة الأقوياء ، دون الضعفاء ، فأين هذه القوانين فى حماية العُزَل من الأطفال والنساء والشيوخ فى فلسطين والعراق وأفغانستان والبوسنة والهرسك والشيشان وبالهند ، والصين ، ودول الاتحاد السوفيتى وسائر أنحاء العالم الذى لا يذبح فيه إلا المسلمون .

إن خروج المرأة للعمل بلا داع أوجد فى المجتمعات كلها خللاً وأنشأ مرضًا مميتًا قاتلاً هو بطالة الرجال وعنوسة النساء . . . والحقيقة أن النساء اللائى وصلن لأعلى المناصب كرئيست جمهوريات أو وزيرات ، كلهن إما وصلن من خلال رجل ، أو بجانب رجل أو من وراء رجل مثل أنديرا غاندى ، فشهرتها من شهرة أبيها ، وبناظير بوتو .

أما غيرهن فقد أوصلهن للمكانة الضغوط الأجنبية والاستعمار وهن كثيرات ، وعضوات المجالس النيابية أغلبهن وصلن بطرق ملتوية [2] .

الكاتبة تقول متساءلة ومندهشة : « متى يقر المجتمع الإسلامى بأن للمرأة عقلا . . . » .

ونحن نسألها بصدق : هل أصبحت المرأة اليوم تعلم عن دينها شيئًا ؟! هل نحن اليوم فى مجتمع الفضيلة . . . ؟! هل الإسلام اليوم فى حالة ازدهار وانتشار وانتصار على العقائد والأديان ، وهو القائد لا الخاضع ؟!

إننا نتمنى جميعًا أن نتسلح كما تقول الكاتبة ـ برداء التقوى والعفة والاستقامة ، فالتقوى هى معيار التكريم عند الله فعلا ، ولكن هل وصلنا إلى هذه الدرجة من العلم بالدين والتبحر فى أحكامه والإستقامة على شريعته ؟!

---

(١) المرجع السابق ص٧٧ ، ٧٨ .

(٢) لنا دراسة مستفيضة فى ذلك .

لقد نسيت الكاتبة أن الحجاب وطاعة الله من التقوى فالله يقول : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا**﴾ [الأحقاف:١٣] المتدبر لآيات الحجاب يجد أن اتباع تعاليمه وأحكامه هى من التقوى .

١ - فى سورة النور يقول العلى القدير : ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا** .....﴾ وفى نهايتها يقول : ﴿ **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [النور : ٣١] .

النداء : توبوا إلى الله : أى من لم يفعل ذلك يكون عاصيًا . الوصية : لعلكم تفلحون : توضح أن اتباع الآيات وأحكامها هو من أسباب الفلاح أى الحصول على رضا الله .

٢ - فى سورة النور أيضًا قوله تعالى : ﴿ **وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ**....﴾ وفى نهاية الآية : ﴿ **وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [النور: ٦٠].

وأن يستعففن : طلب ورجاء وشرط من الله لعفة النساء ، حتى القواعد اللاتى لا مطمع جنسى فيهن ، وهذه الأحكام تؤدى إلى الخير « خير لهن » ، ولأهميتها أوضح الله أنه يدرى بتنفيذ هذه الأحكام فيسمعها ويعلم بها .

٣ - فى سورة الأحزاب يقول تبارك وتعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ** ...﴾ ، وفى نهاية الآية : ﴿ **وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ [الأحزاب : ٥٩] هذا التذييل للآية يوضح أنه غفر لهؤلاء عدم الالتزام بهذه التعاليم قبل نزول أحكامها المفصلة فى الآية ، وهذا يوضح أنه لن يغفر لهم عدم اتباع هذه الأحكام بعد نزول الآيات .

فهل نحن اليوم أكثر عفة من نساء الرسول ونساء المؤمنين حتى نلغى أحكام الحجاب؟!

٤ - النص الرابع قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ [النور : ٢١] .

وهنا أيضًا فى آداب الاستئذان أوضح الله الخيرية فى اتباعها ، فهل ترى الكاتبة التخلى عن هذا الأدب ، لأننا أصبحنا أتقياء أنقياء وصرنا ملائكة ؟!!

ونحن نؤيد الكاتبة فيما ذهبت إليه من أن العفة هى السلاح الحقيقى للمرأة ضد كل المغريات . . ولكننا نُوضح لها أن من العفة الحجاب والتمسك بأحكامه ، فلا عفة ولا عفاف إلا بالحجاب ، لأنه من الأسباب القوية للعفة وهو من أسسها الراسخة ، فالعفة لا تنشأ من فراغ،ولكن التنشئة الصحيحة هى أساس العفة والحجاب أصل من أصول هذه التنشئة .

ومن ذلك يتبين لنا عدم فهم دعاة التحرر لمعانى الأحاديث المختلفة عن الحجاب، وفشلهم فى إدراك أحكامها التى لا تنافض بينها ، ولكنه تنوع وفقا لأحوال الناس وعادات المجتمع .

وصدق تعالى حيث قال :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا (١٧٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾

[النساء : ١٧٤، ١٧٥]

الباب الثانى

الختان بين الأديان السماوية
ودعاة التحرر

الفصل الأول : الختان فى الأديان السماوية.

الفصل الثانى : الختان لدى دعاة التحرر.

الفصل الثالث : موقف الأطباء ووزارات الصحة والنقابات الطبية من الختان .

الختان بين الأديان السماوية ودعاة التحرر

توطئة :

يقصد بالختان « الطهارة » قطع الجزء الزائد من جلدة موضعها نهاية رأس العضو التناسلى الذكرى ويسمى الغُرلة .

أو خفض الجزء الزائد من العضو التناسلى للأنثى ويسمى البظر ، فهو فى الذكر إزالة جلدة زائدة ، وفى الأنثى خفض أى قطع زيادة غير مناسبة وليس إزالة كاملة.

إذن الختان يشملَ الذكر والأنثى على السواء ، والحقيقة المؤكدة الثابتة أن ختان الذكور ورد فى الأديان السماوية الثلاث ، أما ختان الإناث فلم يرد إلا فى الإسلام فقط مع اختلاف بين وواضح فى مشروعيته لضعف أحاديثه ولذلك فآراء الفقهاء بالنسبة له ما بين مؤيد ومعارض ومستحسن باعتبار أن الرسول ﷺ على الأقل لم يلغه ولمزاياه الصحية والجنسية والاجتماعية والدينية إذا تمت مزاولته بطريقة صحيحة .

هذا والثابت أن جميع المجتمعات فى سائر أنحاء العالم اعتادت ختان الإناث حتى أصبح سُنة خالدة من تراثها ، ولولا فضائله لما زاوله الجميع « والحقيقة أن ختان الإناث ليس عادة فرعونية أو مصرية قديمة .. بل هى عملية أجريت فى بلاد العالم بما فيها بريطانيا ، وأوربا وأمريكا وجميع القارات »[1] .

أما بالنسبة لدعاة التحرر فلهم آراء أخرى فى الختان وهم يحجبون مزاياه ويضخمون عيوبه .

وفى هذا الباب سنعرض للفصول التالية :

الفصل الأول : الختان فى الأديان السماوية .

الفصل الثانى : الختان لدى دعاة التحرر .

---

(١) د . نوال السعداوى : توأم السلطة والجنس ص ٢٢٢ .

هذا وسنراعى الاستفاضة فى مبحث الختان فى الإسلام للأنثى ـ باعتباره الدين الوحيد الذى اهتم به وسن طريقة مزاولته المثلى .

الفصل الثالث : موقف الأطباء ووزارات [١] الصحة والنقابات الطبية من الختان.

(١) نقصد بالوزارات : وزارة الصحة فى مصر ولكن فى عهود وزراء فى أزمان مختلفة .

الفصل الأول

الختان فى الأديان السماوية

المبحث الأول : الختان فى اليهودية.

المبحث الثانى : الختان فى المسيحية .

المبحث الثالث : الختان فى الإسلام :

أولاً : آراء مؤيدى الختان .

ثانيًا : آراء معارضى الختان .

المبحث الأول

الختان فى اليهودية

أوضحت التوراة الحالية ـ بغض النظر عن صحتها ـ أن ختان الذكور بدأ كشريعة دينية قبل بعثة موسى عليه السلام أى قبل اليهودية كدين . فأول أمر إلهى بالختان كان لأبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام .

أما ختان الإناث فلم يرد به نص نهائيًا فى التوراة . وإن زاوله اليهود كعادة حسنة(١) ، لتهذيب السلوك الجنسى للإناث .

« وختان الذكور فى التوراة « فريضة » وليست سنة ، فلا اختيارية فيها وهى عهد مقدس بين الله وشعبه المختار ، وبدأ هذا العهد بختان أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام الذى ختن نفسه وعمره تسعة وتسعون عامًا « (٩) وعندما كان إبرام فى التاسعة والتسعين من عمره ، ظهر له الرب قائلا : أنا هو القدير سر أمامى وكن كاملا (١٠) هذا هو عهدى الذى بينى وبينك وبين ذريتك من بعدك الذى عليكم أن تحفظوه : أن يختتن كل ذكر منكم (١١) تختتنون رأس قلفة غرلتكم فتكون علامة العهد الذى بينى وبينكم (١٢) تختتنون على مدى أجيالكم كل ذكر فيكم ابن ثمانية أيام سواء كان المولود من ذريتك أم كان ابنا لغريب مشترى بمالك مما ليس من نسلك . . . (١٤) أما الذكر الأغلف الذى لم يختن ، يستأصل من بين قومه لأنه نكث عهدى » [اللاويين ١٧ : ١٠ ـ ١٤] .

والفقرات توضح ما يلى :

* الختان للذكور فقط وليس للإناث .
* الختان عهد أبدى لا يزال بالنسخ أو التعديل لنهاية الأجيال.
* الختان يتم فى اليوم الثامن لميلاد الذكر .

---

(١) انظر كتابنا : المرأة فى اليهودية والمسيحية والإسلام ص ٢٣١ وما بعدها ـ دار الوفاء بالمنصورة.

* الختان يشمل إبراهيم وذريته والخدم والعبيد تحت إمرته .

* من لا يختن يقتل « يستأصل من قومه » .

* والختان عهد خاص بين الله وشعبه .

وعلى ذلك نفذ إبراهيم الختان فى نفس اليوم « (٢٣) وفى ذلك اليوم بعينه أخذ إبراهيم إسماعيل وجميع المولودين فى بيته وكل من اشترى بمال ، كل ذكر من أهل بيته ، وختن لحم غرلتهم كما أمر الرب (٢٤) . . . (٢٥) إما إسماعيل ابنه فقد كان ابن ثلاث عشرة سنة حين خُتن فى لحم غرلته » [اللاويين ١٧ : ٢٣ ـ ٢٥] ومن هنا أصبح الختان شريعة اعتباراً من إبراهيم وابنه إسماعيل كذلك ، فأول من ختن من أبناء إبراهيم إسماعيل ثم ختن إسحاق « (٢١) . . ختن إبراهيم إسحاق ابنه وهو ابن ثمانية أيام حسب ما أمره الله به . . . » [التكوين: ٤ : ٢١] .

وقد استمر اليهود على ذلك حتى عهد موسى ، حتى إن موسى نسى ختان ابن له فكاد الله أن يقتله لولا أن أم الصبى ختنته بنفسها .

« (٢٤) وفى أثناء الطريق ، بالقرب من خان ، التقاه الرب وهم أن يقتله (٢٥) فأخذت صفورة « زوجة موسى » صوانة حجر مسنن وقطعت قلفة ابنها ومست بها قدمى موسى قائلة : حقا إنك عريس دم لى (٢٦) فعفا الرب عنه ، حينئذ قالت : عريس دم من أجل الختان » [الخروج ٤ : ٢٤ ـ ٢٦] .

ومحاولة الإهلاك هذه تمت بينما موسى فى طريقه لفرعون ليأمره بإخراج اليهود من مصر .

فرض الختان على غير اليهود :

بعد الخروج من مصر أمر الله موسى أن يحتفل بهذا اليوم ويجعله عيداً مقدساً لشكر الله ، وقد أمره أيضاً إذا أراد غريب أن يحتفل بهذا العيد ، فلابد أن يختتن.

« (٤٨) وإذا عزم غريب مقيم بينكم أن يحتفل بفصح الرب فليختتن كل ذكر من أهل بيته » [الخروج ١٢ : ٤٨] .

والختان شريعة يهودية لم بنسخها أو تلغها أى قوانين يهودية ، ويزاولها اليهود .

حتى فى أرض الشتات ، ومن لا يختتن لا يعد يهوديًا ، فالختان علامة تكريم لليهود » (١)

(١) المرجع السابق ص٢٣٢ ، ٢٣٣ .

المبحث الثانى

الختان فى المسيحية[1]

« استمر الختان فريضة يهودية سار عليها واعتنقها وآمن بها المسيحيون الأوائل، حتى إن المسيح نفسه اختتن فى اليوم الثامن كأوامر التوراة ، الذى جاء لا لينقضها أى يهدمها أو ينسخها ولكن ليكمل أحكامها :

« ولما بلغ الطفل يومه الثامن وهو اليوم الذى ينبغى فيه ختانه دعى اسمه يسوع. . .» [لوقا ٢ : ٢١] .

وقبل المسيح ختن يوحنا [2] « وفى اليوم الثامن جاؤوا لختان الطفل ، وسموه زكريا على اسم ابيه ، فأجابت أمه وقالت: لا بل يسمى يوحنا » [لوقا ١ : ٥٩ـ٦٠].

فالمسيح رُفع إلى السماء والختان موجود وجميع المسيحيين يختتنون على شريعة موسى ، وقد قام بولس الرسول بنسخ وإلغاء الختان ، والمدهش حقًا أنه نفسه قد ختن ويقول عن نفسه : « إنى من جهة الختان مختون فى اليوم الثامن لمولدى» [فيلبى٣: ٥] وشاركه فى ذلك يعقوب الرسول .

رأى المسيح فى الختان :

أقر المسيح الختان كما جاء فى اليهودية ، بل وبين أنه العمل الوحيد الذى يجوز مزاولته يوم السبت ، وقد استدل على صحة ما قام به من شفاء مريض يوم السبت فقال لليهود : « فإن كان الإنسان يقبل الختان فى السبت ، لئلا ينقض ناموس موسى؛ أفتسخطون علىَّ لأنى شفيت إنسانًا كله فى السبت » [يوحنا ٧ : ٢٣] .

إذن المسيح لم ينسخ أو يلغ فريضة الختان .

بداية نسخ الختان وأسبابه :

آمن الكثير من اليهود بالدين المسيحى ، ولكنهم تمسكوا بشريعة موسى فى الختان

---

(١) المرجع السابق ص٢٣٤ ـ ٢٣٨ .

(٢) يوحنا : النبى يحيى بن زكريا .

« (١) . . . . وجعلوا يعلمون الأخوة أنه إن لم تختتنوا حسب عادة موسى ، لا يمكنكم أن تخلصوا[١] » [أعمال الرسل ١٥ : ١] .

وكان نتيجة ذلك : أن الكثير من غير اليهود الذين لم يؤمنوا بالختان أو يزاولوه بدؤوا ينصرفون عن اعتناق المسيحية ، ومن ثم اجتمع الرسل لحل هذه المشكلة التى طرأت : « فاجتمع الرسل والمشايخ لينظروا فى هذا الأمر . . . . حصلت مباحثة كبيرة» [أعمال الرسل : ١٥ : ٦ ، ٧] .

وفى النهاية قرر يعقوب « لذلك أرى ألا يثقل على الراجعين إلى الله من الأمم بل يرسل إليهم أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام ، والزنا والمخنوق والدم»

[أعمال الرسل ١٥ : ١٩ ، ٢٠]

وعلى ذلك تم الاتفاق على رأى يعقوب الشخصى وبدأ الرسل فى إرسال رسائل إلى الأمم مع مساعديهم لتوضيح هذا التشريع الجديد الناسخ لشريعة موسى قائلين : «لأنه قد رأى الروح القدس ونحن ، ألا نضع عليكم ثقلاً أكثر ، غير هذه الأشياء الواجبة أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام وعن الدم ؛ والمخنوق ، والزنا ، التى إن حفظتم أنفسكم منها فنعما تفعلون ، كونوا معافين » [أعمال الرسل ١٥ : ٢٨ ـ ٣٠] .

إذن كان الهدف من إلغاء الختان تخفيف التكاليف على المؤمنين الجدد وبرأى شخصى ليعقوب ولكنه نسب إلى الروح القدس . وفى ذلك يقول « الأنبا غريغوريوس» [٢] :

« ولهذه المشكلة الخطيرة انعقد المجمع الرسولى فى « سنة ٥١ ، ٥٢ لميلاد المسيح وبحث مشكلة الختان ، وأصدر فيها قراراً حاسمًا » [٣] .

ومنذ ذلك الحين وبدأت دعوة المسيحية لنبذ الختان :

« [٤] وسار تعليم العهد الجديد مع فحوى القرار الذى أصدره المجمع الرسولى

(١) الخلاص : الطهارة وإكمال التقوى .
(٢) الأنباغريغوريوس : أسقف التعليم والثقافة القبطية ، والبحث العلمى الحالى .
(٣) ص ٢٣ الختان فى المسيحية تعليم الأنبا غريغوريوس .
(٤) المرجع السابق ص٢٤ ، ٢٥ .

بوحى الروح القدس ، مبينا بوضوح أنَّ من اهتدوا إلى المسيحية لا يلتزمون بالختان» [أعمال ٢١ : ٢١ ، ٢٨ وغلاطية : ١١] كما أن الذين اختتنوا فى الجسد ليس لهم فى المسيحية امتياز عن الذين لم يختتنوا [غلاطية ٢ : ٧ ـ ٩] إنما المهم أن يكون لهم ختان القلب والروح عن الخطيئة وأن يعملوا بالوصايا الإلهية ، وأن يكون لهم الإيمان العامل بالمحبة ، ولذلك لم يجد القديس تيطس الذى رسم أسقفا لكريت ما يضطره إلى الختان [غلاطية : ٢ : ٣] .

يقول الكتاب المقدس : « أدعى أحد وهو مختون فلا يصر أغلف . أدعى أحد وهو فى الغرلة فلا يختتن . ليس الختان بشىء ، وليست الغرلة بشىء بل حفظ وصايا الله » [١ كورنثوس ٧ : ١٨ ، ١٩] ، « لأنه فى المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئًا ، ولا الغرلة ، بل الإيمان العامل بالمحبة » [غلاطية ٥ : ٦] .

ومما له دلالة قاطعة على تهافت قيمة الختان فى الجسد ، أن يحسب المختون الذى تعدَّى الشريعة بمثابة الأغلف ، والأغلف الذى أطاع الشريعة بمثابة المختون « ولكن إن كنت متعديا للناموس فقد صار ختانك غرلة إذن فإن كان الأغرل يحفظ أحكام الناموس، أفما تُحسب غرلته ختانا ، وتكون الغرلة التى من الطبيعة وهى تكمل الناموس تدينك أنت الذى بالحرف والختان تتعدَّى الناموس ؛ لأن الختان ليس ما كان ظاهرًا فى اللحم ختانًا . . . ، الختان هو ختان القلب بالروح لا بالحرف »

[رومية ٢ : ٢٥ ـ ٢٩]

وإذن فالمختونون بالروح والقلب هم المختونون على الحقيقة . أما المختونون فى الجسد ، فلا يعد ختانهم بشىء « احذروا ذوى القطع ؛ لأنَّ ذوى الختان إنَّما هم نحن العابدين بروح الله المفتخرين بالمسيح يسوع ، الغير المعتمدين على الجسد . فإنه إن ظنَّ له أن يعتمد على الجسد ، فإنى أحق منه بذلك ، أنا الذى قد اختتن فى اليوم الثامن »

[فيلبى ٣ : ٢ ـ ٥]

ولنا أن نتساءل : هل فى شريعة موسى كان الختان يلغى الإيمان القائم على المحبة؟! لقد كان شرطًا من شروط الإيمان التى تؤدى إلى محبة الله وحسن عبادته ، ألم يكن الختان هو عهد دائم بين الله والمؤمنين به ، والذى يكمل به الإيمان، فعندما

فرضه الله على إبراهيم وهو ابن تسعة وتسعين عامًا قال له « أنا هو القدير سر أمامى وكن كاملاً . . . (١٠) هذا هو عهدى الذى بينى وبينك وبين ذريتك من بعدى الذى عليكم أن تحفظوه : أن يختتن كل ذكر منكم . . (١٢) يختتنون على مدى أجيالكم. . » [اللاويين ١٧ : ٩ ، ١٠ ، ١٢] .

ولو صدقنا كلام بولس « فالمختونون بالروح والقلب هم المختونون على الحقيقة» فلم أوجب الله على إبراهيم الختان وهو شيخ كبير ألم يكن إبراهيم مؤمنًا بارًا بالروح والقلب قبل ختانه ؟!

يحاول الأنبا « غريغوريوس » تبرير ذلك فيقول [1] :

« ويعود بنا الكتاب المقدس فى العهد الجديد إلى المعنى الحقيقى للختان كما أراده الله عندما أمر به إبراهيم الخليل ، فقد كان إبراهيم بارًا قبل أن يختتن وإذن لم يكن الختان فى الجسد هو سبب البركة لإبراهيم ، وإنما كان مجرد علامة خارجية على أنه دخل فى عهد مع الله » .

ويسترشد بفقرات من التوراة فيقول [2] : « جاء فى سفر التثنية : فاختتنوا غرلة قلوبكم ، ولا تُصلّبوا رقابكم بعد » [١٠ : ١٦] وقوله: « ويختن الربُّ إلهك قلبك وقلب نسلك ، لكى تُحب الربَّ إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك لتحيا » [٣٠:٦]، وما جاء فى سفر أرميا النبى : « اختتنوا للرب وانزعوا غرلة قلوبكم ، يا رجال يهوذا وسكان أُورشلم ، لئلا يخرج كنار غيظى ، فيحرق وليس من يطفئ بسبب شر أعمالكم» [٤ :٤] وقوله : « ها إنها أيام تأتى يقول الربُّ ، وأعاقب كلَّ مختون وأغلف ، لأنَّ كلَّ الأمم غلف ، وكل آل إسرائيل غلف القلوب » [٩ : ٢٠ ، ٢٦].

ونحن نتفق مع الأنبا غريغوريس فى ضرورة ختان أى طهارة القلوب وأن طهارة الجسد لا تكفى لاكتمال الإيمان ، ولكن الله حسب التوراة شاء أن تكون الطهارة الجسدية شرطًا من شروط اكتمال الطهارة ؛ ولذلك عندما نسى موسى صاحب التوراة

---

(١) الأنباغريغوريس : الختان فى المسيحية ص٢٥ ، ٢٦ ، دار النشر للثقافة القبطية .

(٢) المرجع السابق ص٢٦

وكليم الله وصاحب أول شريعة سماوية « الناموس » ، طهارة ابن له هَمَّ الله أن يقتله لولا أن أمه تدخلت وختنته » (٢٤) وفى أثناء الطريق ، بالقرب من خان ، التقاه الرب وهم أن يقتله (٢٥) فأخذت صفورة « زوجة موسى » صوانة « حجر مسنن » وقطعت قلفة ابنها . . . (٢٦) فعفا الرب عنه » [الخروج ٤ : ٢٤ ـ ٢٦] .

لو لم تكن للختان أهمية دينية عظمى واكتفى بختان القلب ، لما كاد الرب أن يعاقب موسى لنسيانه ختان صبى ؟!!

ويقول الأنبا غريغوريوس عن الختان باللفظ :

والخلاصة أنَّ الختان فى جوهره ومعناه الدينى كما أمر الله به لإبراهيم أولاً ، ولموسى بعد ذلك ، كان علامة ظاهرة على معنى روحى عظيم ، وهو الدخول فى عهد مع الله ، وكان الدم الناتج عن قطع جليدة فى لحم البدن ، رمزًا وإشارة إلى دم المسيح الآتى الذى متى سفك صار الدخول به إلى ملكوت الله وهذا يناله المؤمنون فى المعمودية المقدسة . وبذلك سقطت من الختان فى الجسد أهميته الدينية بعد أن جاء المسيح ، وحلت المعمودية محل الختان وصارت المعمودية هى (ختان المسيح) . أما الختان فى الجسد فقد أصبح فى المسيحية (نظافة) لا (طهارة) ، أمرًا مندوبا إليه لما له من فوائد صحية ، مثله فى ذلك مثل تقليم أظافر اليدين والرجلين حتى لا تتراكم فيها الأوساخ وبالتالى الميكروبات الضارة .

وإذن فالختان للذكور حسن ومفيد ، ولكنه لم يعد شريعة فى الدين المسيحى: بحيث يعاقب الإنسان على تركه .

إذن الختان فى المسيحية اختيارى وليس إجباريا ، وهو من باب النظافة .

المبحث الثالث

الختان فى الإسلام

الختان فى الإسلام له مفهومان ، ختان الذكور وختان الإناث ولا خلاف نهائيا بين الفقهاء على وجوب ختان الذكور ، أما الخلاف الفقهى حول ختان الإناث فهو أمر اتسعت دائرته ما بين مؤيد ومعارض ومرجع ذلك حديث الرسول ﷺ لأم عطية الأنصارية وهى امرأة كانت تختن فى المدينة : « لا تنهكى فإن ذلك أحظى للزوج وأبهى للوجه » والحديث ضعفه مخرجه أبو داود ، وإن حسنه بعضهم ومنهم الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد ، وقد أخرجه عن أنس بن مالك أن النبى ﷺ قال لأم عطية : « إذا خفضت فأشمى ولا تنهكى ،فإنه أسرى للوجه،وأحظى عند الزوج» (١) .

والحقيقة أنه لم ترد بالقرآن الكريم أى آية تأمر بالختان إلا أن هناك أحاديث كثيرة، تؤيد وتعضد وتقوى حديث أم عطية السابق الإشارة إليه ومن ذلك :

حديث أبى هريرة أن الرسول ﷺ قال : « خمس من الفطرة : الختان والاستحداد ونتف الإبط ، وتقليم الأظافر ، وقص الشارب» (٢) والمراد بالفطرة : الدين لقوله تعالى : ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**﴾ [الروم : ٣٠] .

كما أن المراد بالختان هو ختان الذكر والأنثى لقول السيدة عائشة : « إذا جلس بين شعبها الأربع ومس الختان الختان وجب الغسل » (٣) ، وفى رواية : « إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل » (٤) .

هذا وسنعرض فى هذا المبحث :

أولاً : آراء مؤيدى الختان .

ثانيًا : آراء معارضى الختان .

---

(١) انظر كتابنا : المرأة فى اليهودية والمسيحية والإسلام ص ٢٤٠ ـ ٢٤١ .

(٢) الحديث أخرجه البخارى ومسلم . (٣) يقصد الغسل من الجنابة .

(٤) ذكره ابن حجر عند شرح حديث أبى هريرة السابق وعزاه إلى البيهقى .

أولا : آراء مؤيدى الختان

١ ـ رأى شيخ الإسلام : أحمد بن تيمية :

فلقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية « عن المرأة هل تختتن أم لا ؟ فأجاب : الحمد لله نعم تختتن وختانها أن تقطع أعلى الجلدة التى كعرف الديك ، قال رسول الله للخافضة ـ وهى الخاتنة ـ أشمى ولا تنهكى ، فإنه أبهى للوجه ، وأحظى لها عند الزوج . يعنى لا تبالغى فى القطع ، وذلك أن المقصود بختان الرجل تطهره من النجاسة المحتقنة فى القلفة ، والمقصود من ختان المرأة تعديل شهوتها ، فإنها إذا كانت قلفاء كانت مغتلمة شديدة الشهوة ، ولهذا يقال فى المشاتمة يا بن القلفاء ، فإن القلفاء تتطلع إلى الرجال أكثر ، ولهذا يوجد من الفواحش فى نساء التتر ونساء الإفرنج ما لا يوجد فى نساء المسلمين ، وإذا حصلت المبالغة فى الاختتان ، حصل المقصود باعتدال»(١) .

٢ ـ رأى الإمام الأكبر : جاد الحق على جاد الحق (٢) :

يقول فضيلته : « وكان خفاض النساء موجودًا عندهم « العرب » ، يدل عليه حديث البخارى فى قتل حمزة : « خرج سباع فقال : هل من مبارز ؟ فخرج إليه حمزة وقال : « يا سباع يابن أم أنمار مقطعة البظور » .

فلما جاء الإسلام أقر الختان كأحد مواريث ملة إبراهيم حيث قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل : ١٢٣] . وحيث لا يوجد ما يخصص هذا الاتباع وقد صح فى الحديث « خمس من الفطرة : الختان والاستحداد ونتف الإبط وقص الشارب وتقليم الأظافر»(٣). وهو يشمل الذكر

---

(١) سناء المصرى : خلف الحجاب ص٧٩ ومرجعها : فتاوى النساء لابن تيمية .

(٢) شيخ الأزهر السابق ، عن كتاب بيان للناس من الأزهر الشريف ٢/ ٢٦٤ ـ ٢٦٧ مطابع وزارة الأوقاف بمصر .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

والأنثى فيما يشتركان فيه . والفطرة فُسرت بالخلقة كما فسرت بالسنة . . .

والمهم أن العلماء متفقون على مشروعية الختان ، بمعنى أن ليس منهيًا عنه ، لكن ما درجة هذه المشروعية ؟ هناك خلاف بينهم يتلخص فيما يلى :

١ ـ أنه سنة فى حق الرجال والنساء ، وذهب إليه مالك فى رواية عنه، وأبو حنيفة ، وروى عنه أنه واجب وليس بفرض ، كما روى عن مالك أنه فرض ، وقال به بعض أصحاب الشافعى .

ب ـ أنه واجب فى حق الرجال والنساء جميعًا ، وهو مذهب الشافعى وكثير من العلماء ، كما أنه مقتضى ، قول سمنون من المالكية .

جـ ـ أنه واجب فى حق الرجال وسنة فى حق النساء ، وبه قال بعض أصحاب الشافعى ، وهو مذهب أحمد ، وروى عنه الوجوب فيهما .

والاستدلال على كل قول من هذه الأقوال يطول ، وكلها غير مسلمة عند المناقشة، ولهذا قال ابن المنذر : ليس فى الختان خبر يرجع إليه ولا سُنة تتبع ، وقد ذكر الشوكانى هذه الأحاديث فى كتابه « نيل الأوطار » ونقد العلماء لها.

غير أنه بالنسبة لختان المرأة جاءت روايات ضعيفة حكم بعضهم عليها بالحسن فى مجموعها ، منها قوله لمن تقوم بذلك : « أشمى ولا تنهكى فإنه أحسن للوجه وأرضى للزوج » ، والإشمام هو قطع القليل « من البظر » شُبه بإشمام الرائحة ، والنهك هو المبالغة فى القطع ، وجاء هذا الحديث بألفاظ متقاربة فى روايات أخرى .

وبمراعاة هذا الاعتدال فى الخفاض نتجنب آثارًا أو عواقب جعلت بعض الناس ينادون بمنعه ، حتى تمنع هذه الآثار ، ولكن الحق أنه نظافة مع توازن تفيد منه المرأة ويفيد الرجل ، ولا عبرة بما يزعمه البعض من أضرار صحية أو اجتماعية ، فقد مرت مئات السنين والمسلمون يمارسونه دون شكوى .

كما قال فضيلته : ولم ينقل عن أحد من فقهاء المسلمين . . . القول بمنع الختان للرجال أو النساء ، أو عدم جوازه أو إضراره بالأنثى ، إذا هو تم على الوجه الذى علمه الرسول ﷺ لأم حبيبة .

كما أوضح عدم اللجوء لرأى الطب فقط فى هذه المسألة فقال : « . . . إن ختان البنات . . . من فطرة الإسلام ، وطريقته على الوجه الذى بينه رسول الله ﷺ فإنه لا يصح أن يترك توجيهه وتعليمه إلى قول غيره ولو كان طبيبا ، لأن الطب علم والعلم متطور ، تتحرك نظرته ونظرياته دائمًا ، ولذلك نجد أن قول الأطباء فى هذا الأمر مختلف .

وأجلى ـ رحمه الله ـ الآثار الإيجابية للختان فقال : « يهذب كثيرا من إثارة الجنس، ولا سيما فى فترة المراهقة . . ولعل تعبير . . . مكرمة يهدينا إلى أن فيه الصون ، وأنه طريق للعفة ، فوق أنه يقطع تلك الإفرازات الدهنية التى تؤدى إلى التهاب مجرى البول وموضع التناسل ، والتعرض بذلك للأمراض الخبيثة».

كما أشار ـ رحمه الله ـ إلى الآثار السلبية للختان فقال :

« الفتاة التى تُعرض عن الختان تنشأ من صغرها وفى مراهقتها حادة المزاج سيئة الطبع ، وهذا أمر قد يصوره لنا ما صرنا إليه فى عصرنا من تداخل وتزاحم ، بل وتلاحم بين الرجال والنساء فى مجالات الملاصقة والزحام التى لا تخفى على أحد ، فلو لم تقم الفتاة بالاختتان لتعرضت لمثيرات عديدة تؤدى بها ـ مع موجبات أخرى تزخر بها حياة العصر وانكماش الضوابط فيه ـ إلى الانحراف والفساد .

وجاء فى فقه أبى حنيفة : « لو اجتمع أهل مصر « بلد » على ترك الختان قاتلهم الإمام ، لأنه من شعائر الإسلام وخصائصه » .

٣ ـ رأى صلاح عبد المعبود [١] :

أولاً : اتفق الأئمة الأربعة على مشروعية ختان الإناث وعلى أنه من شريعة الإسلام ؛ فقال أبو حنيفة ومالك رحمهما الله باستحبابه للنساء . بل إن الشافعى رحمه الله قال بوجوبه عليهن . وهو رواية عن الإمام أحمد رحمه الله ، والمقصود أن العلماء وإن اختلفوا فى وجوبه، إلا أنهم لم يختلفوا على أنه مشروع فى حق الإناث .

---

(١) مجلة التوحيد جمادى الأولى ١٤٢٤هـ .

ثانيًا : دلت الأحاديث على مشروعية الختان وأنه من شريعة الإسلام :

١ ـ فقد روى الإمام مسلم فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « إذا جلس بين شعبها الأربع ، ومس الختان الختان فقد وجب الغسل » .

٢ ـ روى الإمام أحمد والبيهقى بسند صحيح عن عائشة وعبد الله بن عمرو ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل » .

٣ ـ قال رسول الله ﷺ لأم عطية ـ وكانت تختن النساء فى المدينة : « إذا خفضت فأشمى ولا تنهكى ، فإنه أسرى للوجه ـ أنضر ـ وأحظى للزوج » . رواه الطبرانى وغيره ، وحسنه الهيثمى ، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة برقم (٧٢٢) ، وقال : واعلم أن ختن النساء كان معروفًا عند السلف خلافًا لما يظن من لا علم عنده ، فإليك بعض الآثار فى ذلك ، ومنها : عن أم المهاجر قالت : سُبيتُ وجوارٍ من الروم ، فعرض علينا عثمان الإسلام ، فلم يسلم منا غيرى وغير أخرى ، فقال : « اخفضوهما وطهروهما ، فكنت أخدم عثمان » ، أخرجه البخارى فى الأدب المفرد « ١٢٤٥ » (١) .

وهذا الحديث الأخير يوضح على الأقل أن الإسلام لم يمنع الختان ، وأقره مع إيضاح الكيفية الصحيحة لمباشرته » (٢) .

---

(١) مجلة التوحيد ، جمادى الأولى ١٤٢٤هـ .

(٢) هذه الأحاديث تم الرد عليها من وجهة نظر المعارضين ، انظر رأى د. محمد سليم العوا .

ثانيًا : الآراء المعارضة للختان

١ ـ رأى الدكتور محمد سيد الطنطاوى شيخ الأزهر الحالى :

أرسل إليه الدكتور محمد إبراهيم القط ـ مدير عام الإدارة العامة للثقافة والإعلام الصحى ، يستفتيه فى ختان النساء فكان رد فضيلته :

١ ـ اتفق الفقهاء على أن الختان بالنسبة للذكور من شعائر الإسلام ومن الأحاديث النبوية الشريفة التى اعتمد عليها الفقهاء فى ذلك ، ما رواه الحاكم والبيهقى عن السيدة عائشة رضي الله عنها أن النبى ﷺ ختن الحسن والحسين فى اليوم السابع من ولادتهما ، وأما الختان ـ أو الخفاض ـ بالنسبة للإناث ، فلم يرد بشأنه حديث يحتج به ، وإنما وردت آثار حكم المحققون من العلماء عليها بالضعف . . .

ومنها حديث : « الختان سنة للرجال مكرمة للنساء » وحديث « لا تنهكى فإن ذلك أحظى للمرأة وأحب إلى البعل » ومعنى : « لا تنهكى » لا تبالغى فى استقصاء الختان . وفى رواية « أشمى ولا تنهكى » أى : اقطعى شيئًا يسيرا ومنها حديث « الق عنك شعر الكفر واختتن » . وحديث : « من أسلم فليختتن » .

٢ ـ وقد ذكر هذه الأحاديث جميعها الإمام الشركانى فى كتابه (نيل الأوطار) جـ١ من ص١٣٧ ، ١٤٠ وحكم عليها بالضعف ـ بعد الكلام المفصل فى أسانيدها ـ وذكر قول الإمام ابن المنذر : « ليس فى الختان خبر يرجع إليه ولا سنة تتبع » .

وقال صاحب كتاب عون المعبود شرح سنن أبى داود ١٤ / ١٨٣ وما بعدها ـ بعد أن ذكر ما جاء فى الختان ـ « وحديث ختان المرأة روى من أوجه كثيرة ، وكلها ضعيفة معلولة مخدوشة لا يصح الاحتجاج بها كما عرفت » .

ثم قال : وقال ابن عبد البر فى التمهيد : والذى أجمع عليه المسلمون أن الختان للرجال .

٣ ـ وجاء فى كتاب (الفتاوى ص٣٠٢) لفضيلة المرحوم الشيخ محمود شلتوت تحت عنوان : « ختان الأنثى » قوله : « وقد خرجنا من استعراض المرويات فى مسألة

الختان على أنه ليس فيها ما يصح أن يكون دليلا على (السنة الفقهية) فضلا عن «الوجود الفقهى » وهى النتيجة التى وصل لها بعض العلماء السابقين ، وعبر عنها بقوله: « ليس فى الختان خبر يرجع إليه ولا سنة تتبع » .

٤ ـ وقال فضيلة الشيخ سيد سابق فى كتابه (فقه السنة) ١/ ٣٣ : « أحاديث الأمر بختان المرأة ضعيفة لم يصح منها شىء » .

٥ ـ وكتب فضيلة المرحوم الشيخ محمد عرفة ـ عضو جماعة كبار العلماء ـ بحثًا عن « الختان » بمجلة الأزهر المجلد ٢٤ لسنة ١٩٥٢م ص ١٣٤٢ جاء فيه : « وخفاض المرأة موضوع يبحث فيه العالم الشرعى لبيان حكمه فى الشرع ، ويبحث فيه العالم بوظائف الأعضاء ليبين وظيفة هذا العضو الذى يقع عليه الخفاض ، ويبحث فيه العالم الاجتماعى ليبين آثار الخفاض الاجتماعية ، أهى آثار حسنة أم آثار سيئة » .

وعلم وظائف الأعضاء يرى ، أن هذا العضو حساس ، وأنه معين على إتمام عملية التخصيب ، وأن قطعه وإنهاكه يبعد الشهوة . . .

وبعض علماء الاجتماع يرى أن الخفاض سبب فى انتشار المخدرات فى البلاد التى تزاوله ومنها مصر ، لأن الزوج يجد شهوته أقرب من شهوتها . . . فيستعين ببعض العقاقير التى شاع خطأ أنها تبطى مواتاة الماء من الرجل . . .

ويزيدون فيقولون : « إذا أريد القضاء على آفة استعمال الحشيش والأفيون والمواد المخدرة فينبغى القضاء على أسبابها ، وهو ختان المرأة لتكون طبيعية ، ويكون الرجل طبيعيا . . .

ثم قال فضيلته : فاذا ثبت كل ذلك ، فليس على من لم تختتن من النساء من بأس ، ومن اختتنت فيجب ألا ينهك هذا العضو منها . وإذا منع فى مصر كما منع فى بعض البلاد الإسلامية كتركيا وبلاد المغرب فلا بأس .

٦ ـ والذى نراه بعد أن استعرضنا آراء بعض العلماء القدامى والمحدثين فى مسألة « الختان » أنها سنة أو واجبة بالنسبة للذكور ، لوجود النصوص الصحيحة التى تحض على ذلك .

أما بالنسبة للنساء ، فلا يوجد نص شرعى صحيح يحتج به على ختانهن ، والذى أراه أنه عادة » [١] .

هذا وقد وجدنا نفس الفتوى فى مجله الأزهر ولكن بزيادة هذه الفقرات :

« وما دام الأمر كذلك ، فإنى أرى أن الكلمة الفاصلة فى مسألة ختان الإناث مردها إلى الأطباء فإن قالوا : فى إجرائها ضرر تركناها لأنهم أهل الذكر فى ذلك وإن قالوا غير ذلك فعلى وزارة الصحة فى مصر أن تتخذ كافة الإجراءات القانونية لإجراء هذه العملية بالنسبة للإناث بطريقة يتوفر فيها الستر والعفاف والكرامة الإنسانية ، التى تصون للفتاة أنوثتها السوية ، وبالله التوفيق » [٢] .

وهذه الفتوى أكدها فضيلته فى افتتاح المؤتمر العربى الإفريقى حول « التشريع وختان الإناث » فقال :

« ختان الإناث لم يرد ضمن نص شرعى فى الإسلام . وأن المحققين من العلماء بعضهم أكد أنه لا أصل لها والبعض قال إنها ضعيفة . لذلك فختان الإناث يرجع إلى الأطباء وما يقوله الطب فقد توجد حالة معينة يرى الأطباء أن الختان ضرورى وحالات أخرى يرى الأطباء أن الختان غير مناسب فالمسألة تعود للأطباء » [٣] .

ويلاحظ على هذه الفتوى ما يلى :

١ـ فضيلته ذكر آراء علماء الدين المعارضين للختان ولم يذكر آراء المؤيدين .

٢ ـ أوضحت الفتوى مساوئ ختان الأنثى إذا لم يتم وفقا لتعاليم الرسول ﷺ ، وارتباط ذلك بإدمان المخدرات فى مصر ، وهذه حقيقة لا سبيل لإنكارها ، ولكنها ستزداد حدة إذا لم تختن النساء [٤] .

---

(١) موقف الأطباء من ختان الإناث : آمال عبد الهادى ، سهام عبد السلام ص١٠٩ ، ص١١٠ وهذه الفتوى سنة ١٩٩٤م عندما كان فضيلته مفتى مصر .

(٢) مجلة الأزهر ، جمادى الأولى ١٤١٧هـ ـ سبتمبر وأكتوبر ١٩٩٦م .

(٣) جريدة الوفد ٢٢/٦/٢٠٠٣ بمقال تحت عنوان : سوزان مبارك تؤكد ضرورة التصدى لمشكلة ختان الإناث.

(٤) نقصد بذلك أن عدم ختان النساء سيزيد شهوتهن بصورة طاغية مرعبة مع تزايد الضعف الجنسى للرجال حاليًا وهذا سيؤدى إلى زيادة انتشار المخدرات وأنواع الأدوية المخدرة وغيرها .

٣ ـ لم يُفت فضيلته بإلغاء الختان كليًا ولكنه أوصى بأن يكون للطب القول الفصل فى ضرورة إجراء الختان إذا كانت هناك حاجة صحية تستلزم إجراؤه ، والهدف هو الستر والعفاف والكرامة الإنسانية ، التى تصون للفتاة أنوثتها السوية .

وهذه الفتوى لفضيلته توضح إيمانه العميق بأهمية الختان الدينية والاجتماعية والصحية والأخلاقية ، بالرغم مما يتعرض له فضيلته من ضغوط متنوعة للإفتاء بإلغاء الختان نهائيا .

٤ ـ دعاة التحرر روجوا إعلاميا ـ على غير الحقيقة ـ أن الأزهر قد حسم المسألة فقالت د . نوال السعداوى : « وقد حسمت المعركة السلطة الدينية فى مصر حين أعلن شيخ الأزهر ، أن الختان مسألة طبية من اختصاص الأطباء ، وليست مسألة فقهية»(١) .

كما زكت هذه الفتوى فقالت :

« لاشك أن شيخ الأزهر اليوم الدكتور سيد طنطاوى أكثر تقدمًا من شيخ الأزهر منذ سنين قليلة (الشيخ جاد الحق) الذى أكد أن عادة ختان الإناث واجب إسلامى لمنع الرذيلة والحفاظ على شرف البنت ، وهو رأى غير صحيح دينيًا وعلميًا أيضًا»(٢) .

وقد جانبها الصواب فكلاهما قد أكد أن الختان فيه منع للرذيلة والحفاظ على شرف البنت وهذا الرأى صحيح دينيًا وعلميًا بل وعمليا .

٢ ـ د. محمد سليم العوا (٣) :

لقد بدأ رأيه عن الختان بعنوان رئيسى هو « عادة مرذولة » وملخصه :

« وقد خلا القرآن الكريم من أى نص يتضمن إشارة من قريب أو من بعيد إلى ختان الإناث ، وليس هناك إجماع على حكم شرعى فيه ، ولا قياس يمكن أن يقبل فى شأنه .

أما السنة النبوية فإنها مصدر ظن المشروعية ، لما ورد فى مدوناتها من مرويات

---

(١) د . نوال السعداوى: قضايا المرأة ص١٩٩ .

(٢) المرجع السابق ص٢٠١ .

(٣) د. محمد سليم العوا : الإسلاميون والمرأة ص٥٩ ـ ٧٦ دار الوفاء بالمنصورة .

منسوبة إلى الرسول ﷺ فى هذا الشأن ، والحق أنه ليس فى هذه المرويات دليل واحد صحيح السند يجوز أن يستفاد منه حكم شرعى . . .

والروايات التى فيها ذكر ختان الإناث أشهرها حديث امرأة كانت تسمى : أم عطية، وكانت تقوم بختان الإناث فى المدينة المنورة ؛ وزعموا أن الرسول ﷺ قال لها : « يـ أم عطية ، أشمى ولا تنهكى فإنه أسرى للوجه ، وأحظى عند الزوج » (١) .

وقد عقب أبو داود : . . . وقد روى مرسلاً ، ومحمد بن حسان « راوى الحديث» مجهول وهذا الحديث ضعيف .

قال شمس الحق العظيم آبادى : « وحديث ختان المرأة روى من أوجه كثيرة ، وكلها ضعيفة معلولة مخدوشة لا يصح الاحتجاج بها كما عرفت » (٢) .

والحديث الثانى الذى يوازى فى الشهرة حديث أم عطية ـ هو ما يروى أن النبى ﷺ قال : « الختان سنة للرجال مكرمة للنساء » وقد نص الحافظ العراقى . . على ضعفه أيضًا ، وسبقه إلى تضعيفه الأئمة : البيهقى وابن أبى حاتم وابن عبد البر ،. . جميع طرق روايته تدور على أو تلتقى عند « الحجاج بن أرطاة وهو لا يحتج به لأنه مدلس . . . وعلى ذلك فليس فى هذا النص حجة ؛ لأنه نص ضعيف مداره على راو لا يحتج بروايته .

وفى بعض ما نشر مؤخرا فى مصر حول هذا الموضوع ، ذكر امرأة سموها « أم حبيبة » وذكر حديث لها فى هذا الشأن مع النبى ﷺ ، وهذا الحديث لا يوجد فى كتب السُنة ، وليس هناك ذكر فيها ، ولا فى كتب تراجم الصحابة ، لامرأة بهذا الاسم . . . فكلامهم هذا لا حجة فيه بل لا أصل له .

وقد احتجوا بحديث روى عن عبد الله بن عمر فيه خطاب لنساء الأنصار يأمرهن بالختان ، وهو حديث ضعيف (٣) .

---

(١) رواه أبو داود والحاكم والبيهقى بألفاظ متقاربة ، وكلهم رووه بأسانيد ضعيفة كما بين ذلك الحافظ زين الدين العراقى .

(٢) وافقه على ذلك أكثر من فقيه لم نعرض لرأيهم اختصارًا .

(٣) نيل الأوطار ١/ ١٣٩ حيث يقول المؤلف«الشوكانى»فى إسناد أبى نعيم ـ أحد مخرجيه ـ مندل ابن على وهو ضعيف،وفى إسناد ابن عدى خالد بن عمرو القرشى وهو أضعف من مندل .

وفى السنة الصحيحة عن عائشة رضي الله عنها . . حديث يروى بألفاظ متقاربة تفيد أن : « إذا التقى الختانان ، فقد وجب الغُسل » . . . ولا حجة فى هذا الحديث الصحيح؛ لأن اللفظ هنا جاء من باب تسمية الشيئين أو الشخصين أو الأمرين باسم الأشهر منهما، أو باسم أحدهما على سبيل التغليب ، ومن ذلك : العمران « أبو بكر وعمر»، والقمران « الشمس والقمر » .

وهكذا يتبين : أن السُنة الصحيحة لا حجة فيها على مشروعية ختان الأنثى ، وأن ما يحتج به من أحاديث الختان للإناث كلها ضعيفة لا يستفاد منها حكم شرعى»[1].

هذا وقد رأى الدكتور محمد سليم العوا ، أنه لو فُرض صحة هذه الأحاديث، وقوى بعضها البعض ، واعتد بعض الفقهاء بصحتها ـ فرضا ـ فإنها توضح : . . . التصريح بأن ختان الإناث ليس بسُنة ، وإنما هو فى مرتبة دونها . . . حين جاء ـ الإسلام ـ وبعض العرب يختنون الإناث أراد تهذيب هذه العادة بوصف الكيفية البالغة منتهى الدقة ، الرقيقة غاية الرقة ، بلفظ أشمى ولا تنهكى . . والتوجيه الوارد فى الحديث لا يتضمن أمرا بختان البنات ، وإنما يتضمن تحديد كيفية هذا الختان إن وقع ، وأنها « إشمام » . . . كإشمام الطيب ، يعنى أخذ جزء يسير لا يكاد يحس من الجزء الظاهر من موضع الختان . . . فالمسألة مسألة طبية تحتاج إلى حراح متخصص » [2] .

ويلاحظ على رأيه ما يلى :

١ ـ تم نقد أحاديث الختان على أساس فقهى وعلمى سليم استنادًا إلى آراء العلماء فى ذلك .

٢ ـ أوضح أن الختان ليس بسنة مؤكدة ولكنه فى مرتبة دونها ـ ربما يقصد حكم فقهى مختلف عليه ـ ومع ذلك فقد آمن أن الختان من العادات العربية الموروثة والتى لم يلغها ـ على الأقل ـ الإسلام ، ولكن الرسول ﷺ أمر من تقوم بمزاولته طبيا ،

(١، ٢) د. محمد سليم العوا : الإسلاميون والمرأة ص٥٩ ـ ٧٦ ملخصًا .

بتعديل وتصحيح طريقة الختان ، حتى لا يؤدى إلى المضار الصحية والاجتماعية والإنسانية ، وأيضًا تحقيق مزايا متنوعة .

وعلى ذلك فرأيه مع الختان وليس ضده كما يظن البعض .

وباستعراض مؤيدى الختان ورافضوه يتبين لنا ما يلى :

١ ـ الجميع متفقون على أن الرسول ﷺ لم ينه عن ختان الإناث حيث بعث الرسول ﷺ وكان الختان موجودًا وتم مزاولته أثناء البعثة وبعد وفاة الرسول ﷺ ، ولم يثبت أن صحابيًا أو تابعيًا واحدًا نهى عنه .

٢ ـ الجميع متفقون على ضرورة الختان للإناث لأنه مكرمة وأيضًا لمزاياه الصحية والاجتماعية والجمالية والأخلاقية ، ولكن الشرط الوحيد المحقق لذلك هو اتباع نصائح الرسول وتوجيهاته فى طريقة إجرائه : « أشمى ولا تنهكى » .

٣ ـ لا شك أن للضغوط السياسية وللاتجاهات العالمية والفكرية تأثير شديد فى ميل الفقهاء نحو التأييد أو الرفض طبقا لمقتضيات الحال ، وباعتبار أن الختان غير متفق على وجوبه فقهيا وإن اتفق على ضرورته صحيا وجنسيا واجتماعيا ودينيًا .

وعلى كل حال « يدور حكم الختان بين الوجوب والندب ، والراجح عند جمهور العلماء أنه واجب فى حق الرجال ، ومندوب فى حق النساء ، وأنه لهن مكرمة وحظوة عند أنفسهن وعند أزواجهن» [١] ووجود الختان كعادة اجتماعية أو دينية قبل الإسلام ، لا يقدح فى صحته كسنة نبوية ، فالإسلام أبقى على الكثير من فضائل العادات ومعالى الأخلاق السابقة على وجوده وإن ارتقى بها .

---

(١) انظر الكتاب الأول من هذه الموسوعة : المرأة فى اليهودية والمسيحية والإسلام ص٢٤١.

الفصل الثانى

الختان لدى دعاة التحرر

المبحث الأول : الادعاء أن الختان ليس من أحكام الدين .

المبحث الثانى : الادعاء أن الختان عملية وحشية .

المبحث الثالث : الادعاء أن الختان يضيع حق المرأة فى الاستمتاع الجنسى .

الختان لدى دعاة التحرر

توطئة :

دعاة التحرر ، والداعون إلى منع الختان نهائيا ، قد اتفقوا جميعًا على الادعاء بأن ختان البنات ليس من تعاليم الأديان السماوية الثلاث ، كما أنه إهانة عظمى لكرامة وإنسانية البنت كأنثى لأنه يتم ـ غالبا ـ فى سن صغيرة ودون موافقتها المسبقة على إجرائه والذى يتم بعملية جراحية خطيرة مؤلمة ومعقدة ، تترك آثار صحية وعقدا نفسية تنمو وتتزايد بمرور الزمن ، ولو فرض موافقة البنت الصغيرة على هذه الجراحة ، فهى موافقة باطلة لنقصان الأهلية الكاملة الفكرية والقانونية ولذلك فالختان مصادرة لرأى الفتاة .

والأخطر من ذلك أنه يتضمن اعتداء صارخًا وآثمًا ولا إنسانيًا على أجزاء حساسة من جسد البنت ، هى عنوان اكتمال الأنوثة والسبب الأساسى والمباشر والوحيد لحصولها على متعتها الجنسية ، التى لو لم تتحقق فإنها تؤدى إلى أضرار صحية ونفسية واجتماعية تعانى منها المرأة والرجل والمجتمع .

وأفضل من عبر عن ذلك فى كلمات واضحه بينة ومختصرة السيدة الفاضلة سوزان مبارك : « أكدت السيدة سوزان مبارك فى الكلمة التى ألقتها أمس فى افتتاح المؤتمر العربى ـ الإفريقى حول « التشريع وختان الإناث » أن قضية ختان الإناث قضية اجتماعية شائكة تتسم بالحساسية والخصوصية الشديدة . وقالت إن القضية تمس الصحة النفسية والوجدانية والبدنية للفتاة الصغيرة وتنعكس عليها وعلى توازنها النفسى كإنسان دورها الاجتماعى كأم ومربية شريكة للرجل فى تحمل مسؤوليات العمل والحياة . وأضافت أن إصرارنا على التصدى لهذه المشكلة هو تصميم على مواجهة واحدة من أقسى الممارسات الضارة ضد بناتنا والتزامنا بالعمل من أجل بناء مستقبل كريم لهن فلم يعد مقبولا أن نهدر إنسانية المرأة بإجبارها وهى طفلة على التعرض لهذه القسوة المؤلمة فى موضوع يتم بحكم عادات وتقاليد اجتماعية متوارثة لا تستند لأى مبررات صحية أو اجتماعية سليمة ولا أية أحكام دينية . وأكدت أن المؤتمر للتداول حول التشريعات

والآليات القانونية لمواجهة هذه المشكلة »[1] .

وإننا نتفق مع سيادتها فيما أعلنته حيث إنه حقيقة مؤكدة علميا وعمليا ، إذا تم الختان بطريقة خاطئة عن طريق الإزالة الكاملة لأعضاء التناسل الأنثوية ، وهو مالم يأمر به الدين حيث قال الرسول ﷺ للخاتنة : « أشمى ولا تنهكى » .

ومما سبق يتصح أن دعاوى إلغاء الختان نهائيا تقوم على ثلاثة أسباب رئيسية سنناقشها فى المباحث التالية :

المبحث الأول : دعوى الختان ليس من أحكام الأديان .

المبحث الثانى : دعوى أن الختان عملية وحشية .

المبحث الثالث : دعوى أن الختان يضيع حق المرأة فى الاستمتاع الجنسى .

---

(١) مقال بجريدة الوفد فى ٢٠٠٣/٦/٢٢ تحت عنوان : سوزان مبارك تؤكد ضرورة التصدى لمشكلة ختان الإناث » .

المبحث الأول

الادعاء بأن الختان ليس من أحكام الأديان

المتتبع لفكر دعاة التحرر يراهم يتفقون جميعًا على أن الختان للذكر والأنثى ليسا من أحكام الأديان السماوية ، ولكن ما يهمهم بالطبع هو ختان الإناث .

ويمكن إيضاح وجهة نظرهم هذه فى ثلاثة أسباب رئيسية هى :

أولاً : الختان عادة اجتماعية سبقت الأديان :

تقول د . نوال السعداوى مؤكدة ذلك : «لقد أثبت علم التاريخ والأنثروبولوجى أن هذه العمليات « الختان والإخصاء وغيرها » لا علاقة لها بالمصريين أو العرب أو المسلمين أو اليهود أو المسيحيين أو البوذيين أو غيرهم . إنها ترتبط بنوع النظام الاجتماعى الاقتصادى السائد فى المجتمع وليس نوع البشر أو دينهم أو جنسهم أو عرقهم أو لغتهم .

وهناك من يربطون بين ختان الذكور والدين اليهودى ؛ لأنه ورد فى التوراة . لكن الرق ورد فى التوراة والإنجيل والقرآن ولا يعنى ذلك أن الرق بدأ بهذه الأديان ، بل قد حاربت هذه الأديان ضد الرق وخاصة الدين الإسلامى الذى سعى إلى تحرير الأرقاء والعبيد . وهناك دلائل تاريخية على أن الختان بدأ مع الرق مع نشوء النظام العبودى الذى أدى إلى القتل والحروب وإخضاع الأسرى بوسائل متعددة منها الختان»(١) .

ونحن نشاطرها الرأى فيما ذهبت إليه ، ولكننا نرى أنه لم يرتبط بنوع النظام السائد، ولكنه ارتبط بإيمان كافة المجتمعات بأهميته فى تهذيب ـ وليس إلغاء ـ الشهوة الجنسية للمرأة .

كما تؤكد د . نوال ، سبب نشوء الختان قديما فتقول :

« مثلا ختان الذكور لم يكن فريضة دينية قبل كتاب التوراة نشأت فكرة ختان

(١) د . نوال السعداوى : توأم السلطة والجنس ص٢٢٧ .

الذكور فى المجتمعات البدائية العبودية لأسباب صحية وقائية بحتة ، كانت هذه المجتمعات صحراوية وشبه صحراوية تعانى الجفاف وقلة الماء . بدأت عملية ختان الذكور لمنع التلوث بسبب انعدام وسائل التنظيف أو ندرتها . كانت إجراء طبيا سليما فى تلك المجتمعات الشحيحة المياه ونجحت فى مقاومة الأمراض العضوية أو التناسلية على نحو ما ، والتى كان من شأنها أن تهدد حياة الذكور وتزيد من مخاطر الجراثيم غير المعروفة فى ذلك الوقت .

ولم تصبح عملية ختان الذكور فريضة دينية إلا على يد اليهود خلال الألف الثانية قبل الميلاد »[1] .

وتقول عن الختان فى المسيحية :

« تطورت الطهارة أو عملية التطهير من دنس الولادة بالماء وليس الدم ، وهى خطوة إلى الأمام ، أصبح الطفل المولود يغطس فى الماء ليصبح طاهراً « تسمى عملية التعميد فى المسيحية » ، وهى عملية لم يأخذ بها المسلمون »[2] .

وعن الادعاء بعدم وجود الختان ـ للذكور والإناث ـ فى الإسلام تقول :« بعض الناس يتصورون أن حجاب المرأة مثل عملية الختان فكرة إسلامية لكن دراسة التاريخ تؤكد أنهما لا علاقة لهما بالإسلام »[3] .

« ورغم عدم وجود آية واحدة فى القرآن الكريم تذكر الختان « ختان الذكور أو الإناث » ، إلا أن عادة ختان الذكور انتشرت بين المسلمين ، رغم اختلاف الفقهاء حولها »[4] .

كما تؤكد ـ وهذا خطأ ـ أن الإسلام لم يأمر بطريقة خاصة إنسانية وصحية لختان النساء فتقول :« ليس هناك شكل لختان الإناث أباحه الإسلام . هذه العملية لا علاقة لها بالإسلام بدليل أن أكثر البلاد الإسلامية والعربية لا تمارس هذه العادة ومنها الكويت ..

---

(١) توأم السلطة والجنس ص١٢٤ ، ١٢٥ .

(٢) د . نوال السعداوى : قضايا المرأة والفكر والسياسة ص٢٠٠ .

(٣) د. نوال السعداوى : توأم السلطة والجنس ص١٢٤ .

(٤) د. نوال السعداوى : قضايا المرأة والفكر والسياسة ص٢٠٠ .

والعراق وسوريا ولبنان وتونس والجزائر والمغرب وغيرها »[1] .

ويسير على نفس الدرب : محمد أركون فيقول : « وسيادة الفقه الرجعى القادم من القرون الوسطى هو أمر لا شك فيه حتى يومنا هذا فيما يخص لا قضية المرأة وحدها ، وإنما الاستنارة والعقلانية ومبدأ المواطنة عامة ، ومن ضمنها وفى قلبها قضايا المرأة »[2] .

ونحن نقول ردًا على هذه المزاعم :

لقد ثبت صحة مزاولة الأمم لعادة الختان قبل الديانة اليهودية ، ثم شرعته الديانة اليهودية - بالنسبة للرجال وهذا يوضح موافقة الدين للفطرة السليمة، كما يؤكد وإيمان البشر جميعا مع اختلاف العادات والتقاليد والأديان بالأهمية الصحية والاجتماعية للختان .

وإذا كانت هناك أسباب ومبررات للختان فى الماضى منها الأسباب الخاصة بالنظافة والبيئة ، فما زالت الأسباب موجودة ، فالبيئة اليوم أكثر قذارة من الأمس ، وكثرة أعداد البشر والزحام والتلاصق بين الرجل والرجل والمرأة والرجل فى الشوارع والمواصلات والمكاتب وكل شىء ، إضافة إلى التلوث البيئى الرهيب يجعلنا مازلنا فى حاجة إلى الختان كنظافة .

هذا مع ملاحظة أن كل المجتمعات قد زاولته سواء الزراعية أو البحرية، الباردة والحارة .

والختان كما أوضحنا فى الفصل الأول من هذا الباب بالنسبة للذكور فريضة عند اليهود وسُنة عند المسيحيين ، وسُنة مؤكدة عند المسلمين ، أما بالنسبة للإناث فهو سنة عند المسلمين فقط ، ومع الاختلاف فى فرضيته إلا أن الرسول ﷺ لم ينسخه أو يلغيه على الأقل ، ونحن مأمورون طبقا لأوامر القرآن الكريم أن نتبع سنة الرسول ﷺ ، حتى فيما يأمر به ولم يتضمنه القرآن الكريم لقوله تعالى : ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ**

(١) د. نوال السعداوى : توأم السلطة والجنس ص٢٥ .

(٢) فريدة النقاش : حدائق النساء ص٤٩ .

وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [الحشر : ٧] ، كما قال تعالى : ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء : ٨٠] .

كما قال جل وعلا : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١] ، ويقول العلى القدير موضحًا صحة تشريعات رسوله بالأمر والنهى وتقرير ما بعث فوجده ولم يلغه « سنة تقريرية» فقال تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا﴾ [الجاثية :١٨] .

ونقول لـ « محمد أركون » : إن الفكر القادم لنا من قرون التنوير الحقيقية وليس من القرون الوسطي ، هو الفكر الصحيح ، الذى ضحى علماؤه بكل غالٍ ونفيس ليفسروا ويوضحوا ويجلوا لنا أحكام الدين .

كما نود أن نوضح له أن تعبير القرون الوسطى أو القرون المظلمة لم يخص الإسلام أبدًا ، ولكنه يطلق على فترة جهل أوربا ومحاربتها للدين ، والتى كان الإسلام فيها فى أوج عظمته الفكرية والعلمية والدينية ، فعصور جهل أوربا هى عصور تنوير الإسلام .

ثانيا : تسلل الختان للأديان بواسطة السلطات السياسية والدينية

طالما آمن دعاة التحرر بأن الختان للذكر والأنثى ليس من الدين ، فلابد من إثبات كيف دخل الأديان وحياة كل المجتمعات ، تقول د . نوال : « أما عملية ختان الذكور فهى تتعلق بالسلطة السياسية والدينية الحاكمة فى الدولة ، والتى تجسدت فى العصر العبودى فى الإله المعبود ، نقرأ فى كتاب التوراة إن الاستيلاء على الأرض الموعودة قد تم تحت شعار الأرض مقابل ختان الذكور ، جاء ذلك على شكل العهد بين بنى إسرائيل وربهم فى السموات . . . تتغير الشعارات التى يرفعها بنو إسرائيل تحت اسم الرب من الأرض مقابل الختان « إلى الأرض مقابل السلام ، إلى الأرض مقابل الأمن، ولا نعرف ما هو الشعار الجديد الذى يطلق غداً » (١) .

كما تقول عن تسلل فكرة الختان لليهودية : « هذه الآراء لم تغير من العادة الموروثة منذ الفراعنة ، منذ أصبحت إراقة الدم رمز الخضوع والولاء للإله فرعون ، بدلاً من تقديم القرابين . كان الأثرياء يقدمون للإله فرعون ذبائح من أجساد حيواناتهم،لكن الفقراء أو العبيد لم يملكوا الماشية وكانوا يقدمون قطعة من أجسادهم صغيرة مع قليل من الدم ، دمهم ، وفى التوراة آيات كثيرة عن سرور الإله حين كان يشم رائحة الدم ، أو الشواء (خاصة الضأن) فوق المحرقة : من هنا جاء مفهوم الطهارة بإراقة الدم ، فى التوارة لا تطهر المرأة بعد الحيض أو المخاض (الولادة) إلا بعد أن تذبح فرخًا للإله تطهر به من نجاسة دمها ، وإن ولدت أنثى تكون نجاستها مضاعفة وتذبح فرخين » (٢) .

ونحن نشاطر د . نوال الرأى فى تأثر الديانة اليهودية بعادات وتقاليد وبعض شرائع وأحكام الأمم التى عاش اليهود فيها وأن التوراة قد خرجت ودخلها الكثير مما لم ينزل من كلام الله وأيضا أحكامه ووصاياه ، وأن التوراة الحالية ليست الموحى بها

---

(١) د . نوال السعداوى : توأم السلطة والجنس ص١٣ ، ١٤ .

(٢) قضايا المرأة : ص ٢٠٠ .

من السماء وقد أوضح الله ذلك فى كثير من الآيات القرآنية منها : ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ** ﴾ [البقرة : ٧٩] .

إلا اننا نرى أن تقديم القرابين من الأنعام والخيرات كان شريعة يهودية إلهية ، حيث يوضح لنا القرآن الكريم أنه فى بداية البشرية قدم ابنى آدم هابيل وقابيل قرابين لله وكانت علامة قبول القربان حينذاك أن تأكل النار القربان المقبول : ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ** ﴾ [المائدة : ٢٧] .

ويقول المفسرون : « فنزلت نار فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل »[١] أما تقديم القرابين من البشر أو أجزاء منهم فكان يزاول فى العقائد الوثنية ولم يزاوله اليهود مطلقا ، بل نهت التوراة عنه فجاء بسفر اللاويين : « أى إنسان منهم أو من الغرباء المقيمين بينهم قرب للصنم حولك أحد أبنائه ، فإنه يقتل إذ يرجمه شعب الأرض بالحجارة » [اللاويين ٢٠/ ٢] .

ويلاحظ أن شمول هذا الأمر للغرباء فيه الدلالة على عدم تأثر اليهود بآداب الأمم[٢] .

أما عن ختان الرجال فى المسيحية فقد ألغى بواسطة الآباء بعد رفع المسيح ولكنه ترك اختياريا ، ولم يلغه سر التعميد ، الذى كان يزاول قبل بعثه المسيح « عليه السلام » .

---

(١) الحافظ ابن كثير : قصص الأنبياء ص٦٣ دار اليقين الطبعة الأولى ١٩٩٢م .

(٢) جاء بالتوراة أن الملك يفتاح الجلعادى نذر أن يذبح أول من يلقاه من أهله إذا انتصر على أعدائه، فكان أول من قابله ابنته الوحيدة ، فاضطر لتنفيذ نذره . . [سفر القضاة : الاصحاح ١١] ، ولم يقدم ابنته على سبيل القربان ، بل تنفيذًا للنذر .

ثالثا : الختان ظهر نتيجة للعبودية وقهر الأنثى

يدعى دعاة التحرر وإلغاء الختان نهائيا بأن الختان كان نتيجة طبيعية لنشوء النظام الطبقى اللا إنسانى ، وعن ذلك تقول د . نوال السعداوى :

« إن وثائق التاريخ الحديث وعلم الإنسان (الأنثروبولوجى) قد أوضحت أن هذه العادة نشأت مع نشوء النظام العبودى شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، ولا علاقة لها باللون أو الدين أو الجنس أو العرق .

إن هذا النظام العبودى (أو ما يسمى اليوم بالنظام الطبقى الأبوى) قد بدأ هذه العملية لأسباب اقتصادية واجتماعية ونفسية ، بعد أن انقسم المجتمع الى أسياد وعبيد، واندرجت النساء تحت خانة العبيد مع الماشية والمقتنيات الأخرى . وقد اكتشف هذا المجتمع البدائى المتخلف أن ختان المرأة لا يسلبها عضوا جسديا فقط وإنما يسلبها أيضا القوة النفسية اللازمة للدفاع عن كونها إنسانا وليس عبدا » [١] .

كما تؤكد ذلك قائلة :

« أصبح من حق الدولة أن تقطع أعضاءها الجنسية بالقوة والعنف تحت اسم العفة والأخلاق ، أدرك الأب البدائى أن أبوته غير مؤكدة طالما هو يشك فى سلوك زوجته، وقد أراد أن يقطع الشك باليقين عن طريق قطع أعضاء المرأة الجنسية ، دخلت هذه العملية الوحشية فى التاريخ تحت اسم ختان الإناث ، وهى محاولة السلطة للتحكم فى أجساد النساء ، أو سلوكهن الجنسى ، بحيث يتأكد الرجل من أبوته للأطفال أو على الأقل تقل شكوكه وتخوفه من أن يرث أمواله أطفال رجال آخرين»[٢].

وهذه الادعاءات خالية من الحق عارية من الحقيقة ، فليس لما أسمته د. نوال : النظام الطبقى الأبوى ، علاقة ما بالختان ، حيث كان يزاول للرجال والنساء على السواء وتساوى فيه الحاكم والمحكوم ، السيد والعبد ، الغنى والفقير ، والملاحظ أن

---

(١) د . نوال السعداوى : توأم السلطة والجنس ص ٢٢٢ .

(١) توأم السلطة والجنس ص١٣ .

أول تشريع للختان فى كتاب مقدس كان فى التوراة وكان الأمر الإلهى لذكر وليس لأنثى ، حيث أمر الله نبيه إبراهيم بالختان« كما سبق الإيضاح » ، وكان إبراهيم عليه السلام من الأغنياء » .

إن الحقائق العلمية المؤكدة والتى أثبتها الواقع وبرهنت على صحتها التجربة أن الختان إذا تم بصورة سليمة كوصية الرسول ﷺ فلن يؤدى ذلك إلى قطع أجزاء الإحساس لدى الأنثى ، ولكنه سيؤدى إلى تقويمها وتهذيبها وتجميلها لتصل لدرجة الكمال « الإشباع الجنسى » مع زوجها ، مما يؤدى إلى درء مخاطر جنسية واجتماعية وأخلاقية متعددة ومعلوم أن السلطة السياسية لم تأمر بالختان فى أى عصر من العصور، حتى يدعى البعض أنه تآمر سياسى أو طبقى على المرأة .

والحقيقة المؤكدة أن الدعوى لتحرر المرأة ولنبذ الختان دائمًا ترتبط بالضغوط السياسية والاقتصادية والعسكرية لدول الاستعمار مع تغيير الأسماء ، فبدأت حديثا منذ ما يزيد عن مائة عام مع الاستعمار الإنجليزى للوطن العربى والإسلامى ، وتعالت صيحاتها الآن مع الاستعمار الأمريكى الجديد الذى بدأ بالاستعمار الثقافى والفكرى والزراعى والسياسى وانتهى اليوم ببداية الاستعمار الأمريكى العسكرى بأفغانستان ثم العراق وسيليها إيران فسوريا فمصر ، فاليمن والصومال ، إضافة إلى الاستعمار الهادئ الناعم لدول الخليج كلها (١) .

إن الضغوط العالمية السياسية والعسكرية للدعوة لتحرر المرأة لا تهدف إلى إعلاء المرأة حقيقة ولكن لفجورها بعد سفورها وإلى طغيانها الجنسى فى وقت تضعف فيه القوى الجنسية للرجال !!!

(١) انظر كتابنا : الإرهاب فى اليهودية والمسيحية والإسلام والسياسات المعاصرة ـ دار الوفاء بالمنصورة طبعة ٢٠٠٢م .

المبحث الثانى

الادعاء بأن الختان جراحة وحشية

إن محاولة إظهار عملية الختان ـ خاصة للأنثى ـ وكأنها ذبح كائن حى هى من الأوتار الحساسة التى يعزف عليها دعاة التحرر ، وقد قامت إحدى المحطات الفضائية الأجنبية بتصوير حالة ختان لطفلة مصرية ، تعمدت المحطة إجراءها بصورة بشعة وتصويرها بالفيديو بصورة أكثر بشاعة ، أثرًا كبيرا فى إشاعة أن الختان عنف وإرهاب دموى ضد البنات . ولو قامت هذه المحطة بتصوير ختان لذكر يهودى لحوكم المسؤولين فيها باعتبارهم معادين للسامية ، ولا شك أن إجراء الختان على يد غير متخصص فيه من المضار الكثير .

وقد عبرت عن هذا الإحساس السيدة الفاضلة : سوزان مبارك حيث قالت فى مؤتمر عالمى حول « ختان الإناث » : « وداعا لدموع البنات » (١) ، وهذه الدموع مؤكدة إذا لم تعد البنت نفسيا للختان أو إذا تم بعيدًا عن تعاليم الإسلام .

هذا وقد رأت فريدة النقاش أن الختان هو شكل من أشكال العنف فقالت: « فإن العنف الذى يقع على المرأة هو أوسع وأكثر تشعبا من مجرد الضرب . . . أظهر هذه الأشكال . . التشويه الجسدى بالختان » (٢) .

وتقول د . نوال السعداوى : « هناك فارق كبير بين ختان الإناث والذكور من الناحية البيولوجية أو الجسدية ، إلا أن الأثر النفسى للعمليات الجراحية فى الطفولة المبكرة قد يتشابه أحيانًا » (٣) .

وهى بلا شك تقصد أن آلام الأنثى الجسدية والنفسية عند الختان أكثر مما يعانيه الرجل ، كما قد يؤدى إلى برودة النساء جنسيًا إذا تم بطريقة خاطئة ، وعلى ذلك

---

(١) جريدة أخبار اليوم ٢٨ يونيو سنة ٢٠٠٣م .

(٢) فريدة النقاش : حدائق النساء .

(٣) د . نوال السعداوى : توأم السلطه والجنس ص٢٢٧ .

فدعاة تحرر المرأة والداعون لإلغاء الختان يرون أنه عملية جراحية مؤلمة تسبب آلامًا للإناث قد تصل لدرجة الوحشية .

والواقع أنها ليست عملية وحشية أو خطيرة إذا قام بها متخصص سواء طبيب أو غيره ، وهى كجراحة أسهل من خلع ضرس ، وقد عهدناها لا تستغرق سوى دقائق معدودة ، وهى لا تمثل أى اعتداء على الأنثى وكرامتها وإنسانيتها لأنها لمصلحتها ، كما أنها لا تمثل مصادرة لرأيها وحريتها فى الاختيار ، لأن هذا من حقوق أولياء الأمور، وهل يؤخذ برأى الصغيرة فى دخولها الحضانة أو المدرسة ؟!

وليس للختان كجراحة مضار نفسية تؤثر على البنت ، لأن الختان دائمًا يتم وسط مباهج الفرح والسرور ، وقد ارتبط بالمناسبات الدينية والاجتماعية السعيدة ، كالمولد النبوى ، الاحتفال بالهجرة النبوية المباركة ، والأعياد الإسلامية كعيد الفطر والأضحى، كما كانت له احتفالات مبهجة وطقوس مفرحة خاصة ، تشمل كافة طوائف المجتمع ، فالصبى يركب الحصان ويرتدى الجلباب الأبيض والعقال ، ويزف ويغنى له ، والبنت تقام لها الولائم ويغشى منزلها الأهل والأصدقاء والجيران ، مهنئين داعين بالتوفيق ، محملين بالهدايا ، باذلين الأموال « النقوط » ، فالختان ظاهرة اجتماعية عظيمة ، ومظاهر تكريم الولد والبنت تجعلهما كأنهما فى عُرس ولكن فى الصغر ، وكان الأطفال ينتظرون هذه الفرحة وهذا الاحتفال ، وقد اختتن من أمهاتنا وأخواتنا وجداتنا الملايين ولم يصبن بأى عقد نفسية ، بل كن يتباهين بذكرى يوم ختانهن كذكرى سعيدة محببة .

ومن أجمل ما قرأته عن الختان ما قالته : زكية أحمد حجازى [١] : « وأذكر أننى فى الستينات أحضرت حكيمة مختصة إلى منزلى لدادة رضيعى بعد إلحاح متواصل من أمها . . . وتم ختان الصبية بعد الرش بالبنج فى صورة كريمة ولم يكن موجودًا غير ثلاثتنا . . . ثم احتفلنا معها بمائدة حافلة باللحوم والحلوى وكانت فرحة سعيدة . . . وسطع شبابها بعد ذلك وتعلمت القراءة والكتابة ثم زفت إلى بيتها مع عريسها آمنة مطمئنة فى حياة سعيدة مستقرة . . .

---

(١) زكية أحمد حجازى : المرأة والزواج وحقوق الشباب : الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ولا يمكننى أن أنسى يوما فى الماضى البعيد زرت فيه ضريح حفيدة الرسول ﷺ السيدة زينب رضي الله عنها بالذكرى المباركة لمولدها الشريف ، ومن بين الاحتفالات الشعبية الفنية الكثيرة فى حيها بالقاهرة مع حلبات الذكر واستعراضات الحواة ومراجيح الأطفال وألعاب النيشان سمعت مناديا ينادى بصوت جهورى : « الطهارة مهارة والبنات لها ستارة » . . . ومع اقترابى فوجئت بمن اختطف طفلى من يدى ليدخل به إلى خيمة الطهور ولم يتركه إلا بعد تأكيدى لطهوره قبل ذلك ، ورأيت ستارة الإناث فى مكان يراعى حرمة الأنثى حقا . . .

أما الحكايات المفتعلة عن هتك العرض بالعلانية فى الختان ، فهذا يستحيل حدوثه فى الأوضاع العادية للبنات بالأسر المصرية كلها ، فى الريف وفى الحضر وفى الصعيد وفى النوبة وفى الصحراء ، لأن كل الأمهات وكل الآباء يحرصون على صون مشاعر فلذات الأكباد فى هذه الناحية الحساسة لدى الجنسين ، وحرمة الأنثى لها قدسيتها عند الجميع » (١) .

وعكس ما توضحه : زكية أحمد حجازى من احتفالات وإعداد نفسى للختان تقول د . سامية الساعاتى موضحة الختان كجريمة دموية مروعة وتصف الكاتبة « نوال السعداوى » خبرة الختان بقولها : « كنت فى السادسة من عمرى نائمة فى سريرى الدافئ أحلم أحلام الطفولة الوردية . . . حينما أحسست بتلك اليد الباردة الخشنة الكبيرة ذات الأظافر القذرة السوداء . . . تمتد وتمسكنى .ويد أخرى مشابهة لليد السابقة خشنة وكبيرة تسد فمى . . وتطبق عليه بكل قوة لتمنعنى من الصراخ . . . وحملونى إلى الحمام . . لا أدرى كم كان عددهم ، ولا أذكر ماذا كان شكل وجوههم . . كل ما أدركته فى ذلك الوقت تلك القبضة الحديدة التى أمسكت رأسى وذراعى وساقى حتى أصبحت عاجزة عن المقاومة أو الحركة ، وملمس بلاط الحمام البارد تحت جسدى العارى ، وأصوات مجهولة وهمسات يتخللها صوت اصطكاك شىء معدنى ذكرنى باصطكاك سكين الجزار حين كان يسنه أمامنا قبل ذبح خروف العيد . . . أحسست أن هذا الشىء يقترب منى من فخذى ، أدركت فى هذه اللحظة أن فخذى قد فتحا عن آخرهما . . أحسست بالشىء المعدنى يسقط بحدة وقوة من بين فخذى يقطع

(١) زكية أحمد حجازى : المرأة والزواج وحقوق الشباب ص١٨٦ ، ١٨٧ .

من بين فخذى جزءًا من جسدى .

صرخت من الألم رغم الكمامة فوق فمى ، فالألم لم يكن ألما ، وإنما هى نار سرت فى جسدى كله ، وبركة حمراء من دمى تحوطنى فوق بلاط الحمام ، لم أعرف، ما الذى قطعوه منى . . .

وحملونى إلى السرير . . . ورأيتهم يمسكون أختى التى كانت تصغرنى بعامين بالطريقة نفسها فصرخت . . وأنا أقول لهم : لا ، لا ، ورأيت وجه أختى من بين أيديهم الخشنة الكبيرة ، كان شاحبًا أبيض كوجوه الموتى . . . وكأنما أدركنا معًا تلك اللحظة المأساة ، مأساة أننا خلقنا من ذلك الجنس ، جنس الإناث الذى يحدد مصيرنا البائس ويسوقنا بيد حديدية باردة إلى حيث يستأصل من جسدنا بعض الأجزاء»[1] .

ولنا عدة ملاحظات على ما ذكرته د . نوال عن ختانها هى وأختها :

١ ـ أليس من المستغرب والمدهش أن تتذكر تلك التفاصيل الدقيقة ولها من العمر ست سنوات ؟!!

٢ ـ من المعروف وكما قالت هى أن والدها ـ رحمه الله ـ كان عالمًا أزهريا ووالدتها « رحمها الله » كانت فرنسية الثقافة ، فهل لم يستطيعا أن يعدا ابنتيهما للختان نفسيًا كما يفعل الغوغاء من عامة المجتمع ؟!

٣ ـ قد نرى ـ حسب رأينا ـ الكثير من المبالغة فى سيناريو عملية الختان ، كيف تتم على أرض الحمام ؟! هل يؤدى الختان إلى بركة دم ؟!

لقد حاولت تشبيه جراحة الختان بعملية الذبح فى المذبح ، فالخاتن يسن أدواته وكأنه جزار !! وعلى مسمع من الضحية .

إن دعاة تحرر المرأة من الغرب والشرق يغضون الطرف ـ أكثرهم ـ عن انتهاك حرمات المسلمات فى مشارق الأرض ومغاربها ، والتى عمت بلواها كل القارات وسائر الدول ، والتى تشمل انتهاك الأعراض والاغتصاب وهو إراقة دماء وكذلك ذبح المسلمات سواء بعد الاغتصاب أو قبله وهو أيضا إهراق لدماء ، إضافة لترمل الزوجات

---

(١) علم اجتماع المرأة ص ٢٢٦ .

وتيتم الأبناء ، وتثكيل الأمهات « فقد الأبناء » ، بقتل الأزواج والآباء والأبناء ، وكل ذلك هو العنف ذاته والدموية الإرهابية المقيتة فى أقذر أساليبها وأحقر معانيها .

ومع ذلك فهم لا يرون العنف ضد المرأة إلا فى عدة مظاهر أولها الختان لأنه يتم فى الصغر ، وهم يدعون أنه جراحة غير إنسانية ، وكأنها بتر يد أو ساق ، وهى بتر جزء زائد ، وإذا تمت بصورة سليمة فهى أيسر من خلع ضرس ، ولكنها المبالغة لإظهار الحق باطلاً ، والعدل ظلمًا .

فها هو د . خالد منتصر يقول عن الختان :

« ختان البنات هذا الطقس الدموى الذى نحتفل فيه بذبح فتياتنا ، غالبا ما يغلفه الأهل فى ورقة سيلوفان رقيقة ملونة لتقديمه وتبريره لهذه الفتاة المذبوحة ، هذه الورقة إما أن تكون على شكل فروض دينية أو ضرورات اجتماعية أو أعراف وعادات سلوكية، وعندما تبدأ البنت فى فك ورقة السيلوفان لتبتلع الحلوى المسمومة سرعان ما تكتشف حجم الخديعة التى صنعها الأهل ، وعمق الفخ الذى أوقعوها فيه ، وأن المسألة ما هى إلا مجرد عقد نفسية ومتاعب سيكولوجية يعانى منها المجتمع قبل الأهل، ويغرق فيها الأهل قبل البنت ، ويمهد الطريق للبنت لكى ترث كل هذه العقد والمتاعب يتم هذا بقلب بارد وحس متبلد ، وكأننا فى شبكة مافيا غامضة لا تعرف خيط بدايتها من خيط نهايتها » (١) .

والحقيقة أن أسلوب د . خالد منتصر اللغوى ممتاز ولا أخفى إعجابى به ، ولو امتهن الشعر لكان شاعرًا مجيدًا ، فقد صور الختان على أنه عقد نفسية ، واجتماعية وجنسية وغول فظيع رهيب يمص دماء كل من يلقاه ، ولم يعرض أبدًا لأى من مزاياه، ولم يفرق بين الختان لضرورة وكعملية صحية لابد منها فى كثير من الأحيان ، والتى يطلق عليها « تجميل » ، وهى ما أمر به الإسلام ، وبين الختان كبتر لأعضاء تناسلية للمرأة بلا داع وهى فى هذه الحالة كما قال «حلوى مسمومة تلف فى ورق سيلوفان».

إن الختان فى الإسلام حلوى مفيدة تلف فى ورقة العفة والشرف والكبرياء. وهى حلوى يسعد بها كلا الزوجين وليست ضياعًا لشهوة النساء .

(١) د . خالد منتصر : الختان والعنف ضد المرأة ص٦١ ، ٦٢ مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٣.

المبحث الثالث

الادعاء بأن الختان يضيع حق المرأة فى الاستمتاع الجنسى

لا شك أن هذا الادعاء يصبح واقعا لا سبيل لإنكاره إذا تم الختان بصورة غير إسلاميه وطبية ، فليس كل البنات ينبغى ختانهن ، والرأى فى ذلك يرجع للطب الذى أثبت صدق قول الرسول ﷺ : للخاتنة « أشمى ولا تنهكى » أى لا تزيلى إلا اليسير الذى لا يؤدى إلى الإضرار بالفتاة كأنثى لها حق الاستمتاع الجنسى مع زوجها، وكذلك يؤدى إلى ضبط الشهوة عند وجوب ذلك .

وتقول د . نوال السعداوى : « لم يكن لى أيضا أن أسهب فى العلاقة بين الختان الجسدى والنفسى واكتفيت بالقول أن قطع عضو من جسد المرأة يسلبها القوة النفسية للدفاع عن كونها إنسانا وليس عبدا . هذه حقيقة بديهية يعرفها الجميع فما بال طبيبة مثلى درست على مدى أربعين عاما العلاقة بين الأمراض الجسمية والنفسية ويطلق عليها النفسجسمية ولى دراسات منشورة عن المشاكل النفسية التى يتعرض لها الأطفال الإناث والذكور بسبب عمليات الختان » [1] .

ونحن لا نشك فى صحة أقوالها طالما لم تراع السُنة وآراء الطب فى الختان .

ومما لا شك فيه أيضا أن الختان ـ غير السليم ـ قد يؤدى إلى مشاكل نفسية، قد يعانى منها بعض الأطفال ، والنادر جدًا منهم ذكورًا وإناثًا قد يلازمهم حتى البلوغ والزواج ، ولو كان لهذه المشاكل النفسية تأثير يذكر وبصورة واضحة ، لما زاولته كافة الأمم وعلى مدار التاريخ ، وقد تحدث هذه الأمور لنسبة ضئيلة من الذكور والإناث، إذا لم يقم بالختان خبير مختص ، ولم يُعد لها المختون نفسيا ، ولم يتم بالطريقة الشرعية الإسلامية ، ومعلوم أن بعض الأطفال قد يصابون بعقد نفسية لخلع الأسنان أو بسبب تناول دواء غير مستساغ أو من جراء أخذ حقنة من جاهل بالطب ولم نسمع أن مليارات النساء على مر العصور قد تعقدن نفسيًا بسبب الختان .

---

(١) د . نوال السعداوى : توأم السلطة والجنس ص ٢٢٢ .

وعن أضرار ختان المرأة الجنسية تقول د . نوال السعداوى : « ولا شك أن عملية استئصال البظر جراحيًا تبدو أكثر وحشية من عملية الاستئصال النفسية ، إلا أن النتيجة واحدة من حيث إلغاء وظيفة البظر ، فيصبح وجوده مثل عدم وجوده ، بل أحيانا ما تكون العملية النفسية أشد خطورة ، لأنها تخدع المرأة وتوهمها بأنها كاملة الأعضاء ، فى حين أنها ليست كذلك من الناحيه العملية ، أو توهمها بأنها حرة وهى ليست حرة وأنها سعيدة وهى ليست سعيدة » (١) .

وتقول مدعية أن ختان الأنثى ظلم لها لعدم استطاعتها الإحساس بالمتعة الجنسية، وأيضا حتى تكون أداة فعالة لمتعة الرجل فقط الذى لا يهمه سوى متعته فقط :

« هذا العضو الأنثوى لابد أن يقطع بعملية الختان ، ولا يهم أن تمارس المرأة الجنس مع زوجها بل المهم فقط أن تلد له أطفاله ، لا يهم أن تشعر المرأة بالسعادة كالرجل فى العلاقة الزوجية بل المهم أن تشعر بالسعادة النابعة من الأمومة » (٢) .

وتؤكد الفكرة سناء المصرى فتقول : « وعلى الرغم من أن العلم الحديث قد بين الأضرار الناتجة من ختان الإناث ، وأكد أنها عملية تعنى تحويل المرأة إلى إنسانة مخصية مما يؤثر على تكوينها النفسى والعصبى والفسيولوجى ، إلا أن الجماعات الإسلامية لا زالت تطالب بإجراء تلك العملية حتى تظل النساء مجرد أوعية لرغبات الرجال الجنسية ، فتكرس بذلك للثنائية الكلاسيكية حيث المرأة تثير الرجل وهو يفرغ شهوته فيها ، ولذلك فهى ملعونة لأنها مثيرة ، وملعونة لأنها مرغوبة ، وملعونة لعنة لا نهاية لها إذا فكرت فى التمرد وكسر مبدأ الطاعة » (٣) .

هذا ويوضح الشيخ محمد عرفة آثار الختان الاجتماعية الضارة فيقول:

« وعلم وظائف الأعضاء يرى ، أن هذا العضو حساس ، وأنه معين على إتمام عملية التخصيب ، أن قطعه وإنهاكه يبعد الشهوة .

وبعض علماء الاجتماع يرى أن الخفاض سبب فى انتشار المخدرات فى البلاد التى

---

(١) د . نوال السعداوى : قضايا المرأة ص١٧٤ .

(٢) المرجع السابق ص٥٥ .

(٣) سناء المصرى : خلف الحجاب ص٧٩ .

تزاوله ومنها مصر ، لأن الزوج يجد شهوته أقرب من شهوتها . . فيستعين ببعض العقاقير التى شاع خطأ أنها تبطئ موافاة الماء من الرجل .

ويزيدون فيقولون : « إذا أريد القضاء على آفة استعمال الحشيش والأفيون والمواد المخدرة ، فينبغى القضاء على أسبابها ، وهو ختان المرأة لتكون طبيعية، ويكون الرجل طبيعيا » . . .

ثم قال فضيلته : فإذا ثبت كل ذلك ، فليس على من لم تختتن من النساء من بأس ، ومن اختتنت فيجب ألا ينهك هذا العضو منها . وإذا مُنِع فى مصر كما منع فى بعض البلاد الإسلامية كتركيا وبلاد المغرب فلا بأس » (١) .

وكما سبق الإيضاح قد يتحقق مضار الختان السابق الإشارة إليها إذا لم يتم بصورة شرعية إسلامية سليمة ، ويجب إيضاح حقيقة هامة انفرد بها الدين الإسلامى عما عداه من أديان أو عقائد وهو الاهتمام الكامل بحق المرأة فى الاستمتاع العاطفى والجنسى مع زوجها ، فى إطار ما أحل الله ، ووصايا الرسول ﷺ بحسن المعاشرة بصفة عامة ، وكمال اللقاءات الجنسية الزوجية بصفة خاصة هى خير دليل على ذلك ، فها هو ينصح الصحابة بأهمية الإعداد النفسى لجماع المرأة فيقول : « لا يقعن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة ، وليكن بينهما رسول ، قيل : وما الرسول يا رسول الله؟ قال : « القبلة والكلام » .

وها هو ينصح صحابيًا جليلاً فيقول له : « . . . هلا بكرًا تلاعبها وتلاعبك» وهو ﷺ يقصد ضرورة المداعبة والغزل والتهيئة النفسية والجسدية والعاطفية قبل الجماع، أما الوصية العظمى والتى قد لا يعلمها الكثير من الأزواج فهى النصيحة الغالية التى تؤدى إلى الإشباع العاطفى والجنسى وتحقق سعادة المرأة الزوجية فهى « إذا جامع أحدكم أهله فليصدقها . . . ثم إذا قضى حاجته قبل أن تقضى حاجتها فلا يعجلها حتى تقضى حاجتها » .

---

(١) فضيلته كان عضوًا بجماعة كبار العلماء بالأزهر الشريف ، مجلة الأزهر المجلد ٢٤ لسنة ١٩٥٢م ص١٢٤٤ .

هذا ولم يحرم الإسلام الاستمتاع المتبادل بين الزوجين بأى طريقة من طرق الجماع التى قد تساعد على إشباع رغبتهما المتبادلة فقال تعالى : ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة : ٢٢٣] ولعل فى قوله تعالى : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة :١٨٧] التعبير الكامل عن ضرورة تبادل الأحاسيس الجنسية واهتمام كل من الزوجين تحقيق رغبة الآخر ، والسعى لرضائه وقضاء حاجته ، فالمرأة ليست وعاءً لقضاء حاجة الرجل الجنسية فقط ، ولكنه هو أيضًا السبيل الوحيد لقضاء حاجتها الجنسية وهذا هو السكن والمودة والرحمة .

وكعادة دعاة التحرر والمطالبين بإلغاء الختان فإن الجميع يذكر مساوئ وعيوب الختان ـ إذا تم بطريقة غير شرعية ـ لا يتعرض نهائيا بذكر مزاياه التى لا تنكر ، إذا تم بصورة سليمة شرعية وطبية ومنها :

١ ـ حماية المرأة من طغيان الرغبة الجنسية ، ومن ثم احتمال عدم التحكم فى الشهوة مما قد ينتج عنه الزلل والوقوع فى الخطيئة فيسود وجه الحرة [(١)] .

٢ ـ كذلك فإن الاعتدال الجنسى للمرأة يجعلها سهلة التفاعل العاطفى والمعبر عنه بتبادل الأحاسيس الجنسية الممتعة مع الزوج ، دون إفراط بالمطالبة بتعدد اللقاءات كما وكيفًا ـ فى حالة التى لم تختن ـ ، أو بتفريط لعدم الرغبة فى الجماع حيث لا يحقق سعادة وهناء وقضاء حاجة الزوجة ـ فى حالة إزالة أعضائها الجنسية ، وهو ما عبر عنه الرسول ﷺ « أحظى عند الزوج » .

وقد أثبتت التجارب أن المرأة المختونة أبهى وجهًا ، وأحسن رائحة ، فبعض الطوائف والنساء اللاتى لا يختن يلاحظ لهن رائحة غير طيبة .

وتقول زكية أحمد حجازى عن ذلك :

« لقد كانوا قديما يحكون عن أن الأنثى لا تتمتع بالنضارة والصحة ووردية الوجه ونعوسة النظرة والانخراط إلى الجمال الطبيعى الناضج إلا بعد الختان . . . ولعل السر فى كثرة استعمال بعض البنات لمساحيق التجميل الظاهرة والمتخفية حاليا يرجع إلى

---

(١) انظر كتابنا : المرأة فى اليهودية والمسيحية والإسلام ص٢٤١ .

حرمانهن من ألوان الصحة الطبيعية التى ينعمن بها بعد الختان كما أكد الأجداد فى الأيام الخوالى . . .

إن جو مصر بحرارته التى تلهب المشاعر ، يحبذ العفة التى يكتمل تاجها فوق جبين الأنثى بلمسة خفيفة من الختان غير الجائر حتى لا تتشابه بالذكر الصبى من الأولاد ، وأعرف وضعا حدث منذ أكثر من ثلاثين عاما فى أسرة راقية أصر فيه العريس على ختان عروسه طبيا بعد أيام من الزفاف ، والسر يعرفه المختصون الفاهمون للحالات التى يتحتم فيها الختان للأنثى خضوعا لتركيبتها العضوية التى تختلف عن غيرها فى الأوضاع الطبيعية عموما » (١) .

ويقول د . محمد عبد الباقى محمد فهمى » (٢) :

« بعد هدوء عاصفة طهارة البنات وما أثير حولها أنتهز هذه الفرصة لإلقاء بعض الضوء على طهارة الأولاد ، فلئن كانت طهارة البنات قد أثارت هذه القدر من الجدل والفائدة منها غير معروفة والأمر بإجرائها أثيرت حوله كثير من الشكوك فإنه على العكس من ذلك نجد أن طهارة الأولاد هى أقدم جراحة عرفتها البشرية وأول من أجريت له إبراهيم أبو الأنبياء عليه السلام ، وقد أجريت للسيد المسيح عليه السلام وتوجد عشر كنائس على مستوى العالم تدعى كل منها أنها تمتلك هذه القطعة الصغيرة من الجلد التى أزيلت من المسيح عليه السلام . . . وقد أمر بها الإسلام فى نصوص قطعية صحيحة ، والفائدة منها أكيدة ومتعددة ولا أدل على ذلك من هذه المقالة التى قرأتها قريبا فى مجلة طبية ، ذلك أن طهارة الأولاد كانت تجرى لكل الأولاد تقريبا فى الولايات المتحدة الأمريكية حتى أعلنت الأكاديمية الأمريكية لطب الأطفال أنه ليس هناك أى داع طبى لإجراء طهارة الأولاد » (٣) .

---

(١) زكية أحمد حجازى : المرأة والزواج وحقوق الشباب ص١٨٦ ـ ١٩٠ .

(٢) سيادته : أخصائى الجراحة بمستشفى المطرية التعليمى .

(٣) إن إلغاء الختان بهذه الطريقة يوضح أنه اتجاه عالمى يراد منه شيوع الفاحشة ، وقد أوضحت د نوال السعداوى هذا الاتجاه فقالت : « الجمعيات الطبية وغيرها من المنظمات غير الحكومية ـ تعمل جاهدة ـ لاستصدار قرار من الكونجرس يحرم إجراء عمليات الختان للذكور والإناث فى المستشفيات الأمريكية » توأم السلطة والجنس ص٢٢٧ .

ومن بعدها لوحظ ارتفاع نسبة حدوث التهابات المسالك البولية فى الأولاد الذين لم تجر لهم عملية الطهارة مما دفع الكثيرين من أطباء جراحة الأطفال لإجراء البحوث عن هذه القطعة الصغيرة التى تزال فى الطهارة والتى ثبت أنها تحتوى على ٣٠٠ مليون خلية و ١٠٠ غدة عرقية وأعصاب طولها ١٢ قدما وشرايين وأوردة طولها ٣ أقدام ، ولقد ثبت أن هناك نوعا خطيرا من البكتيريا وهو أكثر الأنواع تسببا فى حدوث التهابات المسالك البولية ومن أصعبها علاجا ينمو بسهولة على قطعة الجلد الزائدة هذه ولكنه لا يستطيع البقاء حول فتحة البول بدونها . . . وما زالت الأبحاث مستمرة حول هذا الموضوع ، فسبحان من خلق هذه القطعة الصغيرة لحكمة لا يعلمها إلا هو ونحاول حاليا البحث عنها ، ثم أمر بإزالتها لحكمة اتضح لنا بعض منها » (١) .

وتعلق زكية أحمد حجازى قائلة : « فعسانا نجد العبرة التى تفيدنا من هذا البحث الثمين . . . وأنظر فى صمت يملؤه التعجب المرير حينما أرى بعض الفتيات المراهقات بالمدارس الإعدادية والثانوية يسرن فى الشارع والأصوات العالية الصبيانية تصدر فى غير حياء ولا تحفظ بأحاديث تافهة يعافها الاتزان ، وأستعيد ذكرياتى عن بنات الختان فى الزمان الماضى بحيائهن وهدوئهن ورقتهن وجمالهن الطبيعى المتورد فألتمس اللطف من الله . . . » (٢) .

وأختم برأى لدكتور نفسانى قال للدكتورة نوال السعداوى : « إن المرأة الطبيعية هى المرأة التى تعشق الخضوع والسلبية والختان ، أما المرأة التى تخرج على قانون الطاعة لزوجها فهى امرأة ناشز أو نشاز » (٣) .

وزيادة فى الدقة ونظرًا لأهميه الختان فإننا سنعرض آراء الأطباء و وزارة الصحة والنقابات وغيرهم فى الفصل التالى .

---

(١) جريدة الأهرام ٢٩/ ١١/ ١٩٩٤م .

(٢) المرأة والزواج وحقوق الشباب ص١٨٦-١٩٠ .

(٣) د. نوال السعداوى : توأم السلطة والجنس ص٥٦ .

الفصل الثالث

موقف الأطباء ووزارات الصحة والنقابات الطبية من الختان

المبحث الأول :موقف الأطباء من الختان .

المبحث الثاني : موقف وزارة الصحة بمصر من الختان .

المبحث الثالث : موقف نقابة الأطباء بمصر من الختان .

موقف الأطباء ووزارات الصحة والنقابات الطبية من الختان

توطئة :

عرضنا فى الفصل الأول للختان فى الأديان السماوية ، وأوضحنا أن الاتفاق على ختان الذكور لا خلاف فيه ، أما ختان الإناث فهو من تعاليم الإسلام وإن اختلف فى أحاديثه وبالتالى فى حكمه ما بين مؤيد ومعارض وفى جميع الأحوال ، فالختان كان على عهد الرسول ﷺ ولم يمنعه وبالتالى فهو سُنة تقريرية .

أما فى الفصل الثانى فأوضحنا إصرار دعاة التحرر على المطالبة بمنع الختان وأفكارهم عن ذلك وتم الرد عليها .

وفى هذا الفصل إن شاء الله ـ سنعرض لآراء الأطباء الذين يزاولون المهنة وكذلك الختان فى قرارات وزارات الصحة المتعاقبة لنرى مدى ثبات موقفهم من الختان أم أنه يتغير بتغير آراء دعاة التحرر والضغوط المتنوعة عليهم ، وأخيرا رأى نقابة الأطباء فى مصر عن الختان وعلى ذلك سنعرض لما يلى :

المبحث الأول : موقف الأطباء من الختان .

المبحث الثانى : موقف وزارات الصحة [1] من الختان فى مصر .

المبحث الثالث : موقف نقابة الأطباء من الختان فى مصر .

---

(١) نقصد بذلك وزارة الصحة فى مصر ولكن فى عهود لوزراء فى فترات زمنية مختلفة.

المبحث الأول

موقف الأطباء من ختان الإناث [1]

تم إجراء أكثر من دراسة جادة وأبحاث متعددة فى هذا الشأن ، ومن ذلك قيام باحثتين باستطلاع رأى عدد ٤٧٣ طبيبًا عن ضرورة إجراء الختان من وجهة نظرهم وكانت الإجابة :

الاتجاه	العدد	النسبة
غير ضرورى إطلاقًا	٢٣٢	٤٩٪
ضرورى لنسبة قليلة من النساء	١٥٠	٣١,٧٪
ضرورى لنسبة كبيرة من النساء	٤١	٨,٧ ٪
ضرورى لجميع النساء	٤٥	٩,٣ ٪
لم يحدد موقفًا .	٦	١,٣ ٪
الإجمالى	٤٧٣	١٠٠٪

وبتحليل هذا الجدول يتبين :

حوالى نصف الأطباء يرون أن الختان لا ضرورة له ٤٩٪ حوالى ثلث الأطباء يرون أن الختان ضرورى لنسبة ضئيلة من النساء ٣١,٧ ٪ أما من يرون أنه ضرورى لنسبة كبيرة من النساء ولجميع النساء فنسبتهم ١٨٪ .

ومن ذلك يتضح بجلاء أن كل النساء لسن فى حاجة للختان من الناحية الطبية ، وأن المؤيد لختان كل النساء ٩,٣٪ من الأطباء ، وهى نسبة ضئيلة .

ويوضح هذا الإحصاء الهام أنه لا ختان إلا لضرورة صحية ، وليس لإزالة وبتر

(١) هذه الدراسة عن كتاب « موقف الأطباء من ختان الإناث » لكل من : آمال عبد الهادى ، سهام عبد السلام ، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان .

أعضاء المرأة التناسلية ولكن لتهذيبها وتجميلها عند الحاجة والضرورة الطبية ، وقد أوضح د . منير فوزى ذلك فقال : « الختان لثلاثة فقط من كل عشر بنات» (١) .

كما تم استطلاع رأى عدد ٢٧٠ طبيبًا فى العلاقة بين الختان والتأثير الجنسى على المرأة « موقف علم الجنس من ختان الإناث » ويبين الجدول التالى آراء الأطباء :

موقف علم الجنس	يرفض		يقبل بشروط		يقبل دون شروط	
النوع	عدد	٪	عدد	٪	عدد	٪
ضد الختان	١٣٧	٥٧,٦٪	٣	١٣,٦٪	١	١٠٪
مؤيد لنسبة قليلة	٧٤	٣١ ٪	١٦	٧٢,٧٪	٣	٣٠٪
مؤيدون للختان	٢٧	١١,٣٪	٣	١٣,٦٪	٦	٦٠٪
إجمالى	٢٣٨	١٠٠٪	٢٢	١٠٠٪	١٠	١٠٠٪
إجمالى الإجابات	٢٧٠					

وبدراسة الجدول يتبين ما يلى :

أكثر من نصف الأطباء ٥٧,٦ ٪ ضد الختان لأسباب منها : أن الختان فيه وحشية وأضرار نفسية وفسيولوجية على المرأة ، وأنه إعدام حسى كامل . . . وأن علم الجنس يرفض الختان لأنه يطيل الفترة اللازمة للاستثارة ويؤخر الوصول للإشباع ، وبذلك يحدث الإشباع للذكر قبل الأنثى » .

مؤيدو الختان بشروط ونسبتهم ٧٢,٧٪ ، حسب قول معدى الدراسة « فلم يحدد معظمهم هذه الشروط وإن شرح بعضهم أن هذه الحالات قليلة جدًا ، وحددها بأنها تضخم البظر ، كما وردت تعليقات أخرى لدى مؤيدى الختان ، مثل أن الكتب الأجنبية تعارض الختان لاهتمامها بالرغبة الجنسية ، . . . . وقد قال لى أحد الأطباء أنه من درس لى علم الجنس كان يرى عدم ختان المرأة ، ولكن لم يكن يُخَطِئ من

(١) مقال أ . د. منير محمد فوزى أستاذ أمراض النساء والتوليد بطب عين شمس نشر بجريدة الأخبار ١٤/ ١٠/ ١٩٩٤ المرجع السابق ص ١٢٩ .

يفعله»(١) .

كما تناولت الدراسة أمرًا هاما وجوهريًا وهو العلاقة بين الختان والعلاقة الزوجية « يقصد الاستمتاع الجنسى المتبادل » والجدول التالى يوضح هذه العلاقة .

	نعم يؤثر		يؤثر أحيانا		لا يؤثر	
الاتجاه	عدد	٪	عدد	٪	عدد	٪١٠٠
ضد الختان	٢٠٠	٪٥٣,٨	٢	٪٢٢,٢	٩	٪١٧
لنسبة قليلة	١١٧	٪٣١,٥	٦	٪٦٦,٧	١٩	٪٣٥,٨
مؤيدو الختان	٥٥	٪١٤,٧	١	٪١١,١	٢٥	٪٤٧,٢
إجمالى	٣٧٢	٪١٠٠	٩	٪١٠٠	٥٣	٪١٠٠
إجمالي الإجابات	**٤٣٤**					

والجدول السابق يجلى حقائق مؤكدة علميا وعمليًا منها :

- أكثر من نصف الأطباء المتزوجين ضد الختان ٥٣,٨٪ والسبب فى ذلك « يقلل الاستمتاع بالحياة الجنسية للزوجين وبالتالى المشاكل التى قد تصل إلى الطلاق ، أو شكوى مزمنة من مشكلات الجهاز التناسلى بسبب ما سببه الختان من التهابات أو برود جنسى يؤدى بالزوج إلى المشاكل ، أو عدم إشباع الزوجة والإحساس بتوترها يؤدى إلى عدم إحساس الزوج بإنشاء علاقة كاملة ، أو مخاوف وعدم استجابة سريعة فى ممارسة الجنس . . . يقلل من استمتاع المرأة ويحرمها من حق طبيعى خلقه الله لها ويخوفها من عملية طبيعية ، لأنه يقلل الرغبة الجنسية للمرأة ، وتصبح هناك مشاكل بسبب ذلك ، تكون المرأة فى حالة برود وعدم استجابة مع زوجها ، أو ينعكس عليها بعلاقة جنسية رديئة » (١) .

أما آراء من يرون عدم تأثير الختان على الحياة الزوجية فتقول عنهم الدراسة :

فى المقابل نجد أعلى نسبة ممن لا يرون للختان تأثيرا على الحياة الجنسية للمرأة بين

---

(١) المرجع السابق ص٧٣ .

مؤيدى الختان . بينهم أيضا أعلى نسبة ممن يرون للختان تأثيرا إيجابيا . وتتمثل الإيجابيات ، كما توضحها تعليقاتهم ، فى تفادى المشاكل لأن « عدم الختان يثير مشاكل بين الزوجين لعدم الإحساس بالنظافة والرائحة الكريهة أثناء العملية الجنسية»، أو للوقاية من العادة السرية » لو لم تختن البنت لكانت عرضة لممارسة العادة السرية ، وكانت سببا فى فشلها فى حياتها الزوجية » ، أو لمواجهة الرغبات الجنسية « الزائدة » للنساء و « يهدئ من الإثارة الزائدة والشغف بهذ الرغبة » أو « يجعلها تسير فى الطريق الطبيعى المرسوم لها من جهة الخالق ولا تأخذ وضعا أكبر من حجمها الطبيعى» أو « لا يجعل الزوجة فى حالة هياج مستمر وبالتالى يعطى فرصة لتنظيم العلاقة بين الطرفين».

أما من يرون للختان تأثيرا مشروطا على حياة الزوجين ، فيضمون أكبر نسبة ممن يرونه ضروريا لنسبة قليلة من الإناث . وتوضح تعليقاتهم أن التأثير السلبى للختان يحدث عندما يقوم غير الأطباء بعملية الختان . « قد يسبب حدوث تشوهات بأعضاء التناسل وبرودا جنسيا أحيانا لو حدث انتهاك للمرأة عند عملية الختان خصوصا إذا حدثت بواسطة داية أو حلاق » أو « إذا لم يتم بواسطة دكتور فاهم » .

من هذه الإجابات يتضح وجود ارتباط بين الميل لمعارضة الختان ، وإدراك تأثيره السلبى على حياة الزوجين وعلى المرأة من حيث أنه يحرمها من حقها فى الاستمتاع بحياتها الجنسية ، وبين تأييد الختان والميل لرؤية أثر « إيجابى » له من حيث أنه يعيد تشكيل جسد المرأة (النظافة والتجميل) أو سلوكها الاجتماعى (الحد من نزعاتها الجنسية) لتتماشى مع قيم المجتمع »[1] .

ويمكننا القول : أنه إذا أتبعت وصايا الرسول ﷺ فى كيفية إجراء عملية الختان ، بحيث لا تؤدى إلى تشويه الأعضاء التناسلية للمرأة ولكن إلى تقويمها وتجميلها فسوف تتحقق سعاده كل من الزوجين وتحقيق مزايا الختان الصحية والجنسية والقضاء على مخاطر الختان وأضراره المحتملة اذا لم يتم بصورة شرعية وطبية سليمة وهذا الرأى أيده أكثر من طبيب عالم متخصص ومن هؤلاء : د . رشدى عمار : « هناك دواع طبية لإجراء الختان : « بعض درجات عمليات الطهارة قد تجرى لدواع طبية مثل

---

(١) المرجع السابق ص٧٤ .

حالات كبر حجم البظر فى البنت أو تضخم الشفرتين ، وفى هذه الحالات يقوم الطبيب باستئصال ما يراه لازما من البظر أو الشفرتين ، وبعض مزايا الختان المحتملة، تقليل العادة السرية بين البنات .

ويقول د. كريم : فيما يتعلق بختان الإناث بدرجاته المختلفة ينبغى استئصاله : «البظر » لما له من تأثيرات سيئة على صحة الطفلة ، وعلى الحياة الجنسية للأنثى ، ولكنه مقرر فى حالات قليلة منها : حالات الضيق phimosis ، وترهل غلفة البظر، وأوضح أن مقصود الختان هو الغلفة فقط skinof the hood only ، والختان السليم يفى بالواجب الدينى لختان السُنة » .

المبحث الثانى

موقف وزارة الصحة من الختان فى مصر

ختان الإناث عادة وسُنة عالمية آمنت بأهميتها كافة أمم وشعوب العالم بغض النظر عن دياناتها وعقائدها ، ولو لم تثبت التجربة الفعلية وما يترتب عليها من خبرات مكتسبة مزاياه ـ إن تم بصورة سليمة ـ لماتت هذه العادة وفنيت هذه السنة ، دون حاجة لسن قوانين وضعية تحت ضغوط عالمية من منظمات الأمم المتحدة ومؤتمراتها « تآمراتها» تحت مسميات عدة ، تبدو للأسماع لطيفة ، وللعقول مقنعة ، وللقلوب قريبة ، ومن هذه المسميات « الصحة الإنجابية » ، حرية المرأة فى جسدها ، إلغاء كافه أشكال التمييز ضد المرأة ، المساواة التامة بين الرجل والمرأة ، والواقع أن المقصود بكل هذه الدعاوى والمسميات ، التشجيع على الفسق والفجور وشيوع الجنس المحرم واعتياد الشذوذ الجنسى ، فلا إلى عادة حميدة تدعو ، ولا إلى خلق قويم تروج ، ولا إلى دين قويم تهدى .

هذا وقد كان لوزارة الصحة فى مصر آراء وتوجهات متعددة بشأن الختان كان لتأثير ضغوط الأمم المتحدة ومنظماتها ، والإعلام الغربى والعربى المساند لدعوات وادعاءات تحرر المرأة ، والقوانين الغربية الغريبة المستوردة ، والجمعيات الأهلية ، أثرا كبيرا فى هذه القرارات فيما يختص بالختان .

ويمكن إيجاز أهم قرارات وزارة الصحة فى مصر فيما يلى :

ـ قرار وزير الصحة رقم ٧٤ فى ١٨ / ٧ / ١٩٥٩م.

أصدر الوزير قرارًا بمنع ختان الإناث فى المستشفيات العامة وهذا القرار تم بناء على توصيات لجنة انتهى تقريرها إلى ما يلى [١] :

أ ـ يحرم بتاتا على غير الأطباء القيام بعملية الختان .

ب ـ الختان بالطريقة المتبعة الآن له ضرر صحى ونفسى على الإناث سواء قبل

---

(١) موقف الأطباء من الختان ، ص١٢٢ مع اختصار بند « ب » لأنه نتيجه للبند أ .

الزواج أو بعده ، ونظرًا لأن الفقهاء استنادًا إلى بعض الأحاديث الصحيحة قد اختلفوا فى أن خفاض الإناث واجب أو سُنة ، ومنهم من ذهب إلى أنه مكرمة ، إلا أنهم اتفقوا جميعًا على أنه من شعائر الإسلام والشريعة الإسلامية التى تنهى عن الاستئصال الكلى [١] .

ويلاحظ من القرار وتوصيات اللجنة :

١ ـ هناك اعتراف بأن الختان من الشريعة الإسلامية .

٢ ـ مزاولة الختان للأطباء فقط حتى تسنت لهم مزاولته وفقا لما أوصى به الرسول ﷺ وهو الإشمام . . أى إزالة اليسير من العضو الذى يكفل له حسُن القيام بوظيفته الجنسية دون إفراط أو تفريط ، فلا تكون المرأة شديدة الشهوة جامحة الإحساس ، أو عديمة الشهوة والإحساس .

ـ قرار وزير الصحة د. على عبد الفتاح فى سنة ١٩٩٤ [٢] :

١ ـ منع إجراء عملية الختان لغير الأطباء وفى غير الأماكن المجهزة لذلك بالمستشفيات العامة ـ المركزية ، وتنفيذ قانون مزاولة المهن الطبية . . . إلخ .

٢ ـ أن تقوم كل مستشفى تعليمى أو عام أو مركزى بتحديد يومين أسبوعيا لإجراء عملية ختان الذكور ويوم آخر لاستقبال الأسر الراغبين فى ختان الإناث . . . . يتم فى كل مستشفى تشكيل لجنة لاستقبال أولياء الأمور الذين يبدون الرغبة فى ذلك . . . ومشرفة اجتماعية . . . وأحد رجال الوعظ والإرشاد ، تقوم هذه اللجنة بإيضاح الأضرار الصحية والنفسية الناجمة عن إجراء هذه العملية وموقف الدين منها ، ومراجعة الأسرة أكثر من مرة قبل إجرائها ، وعدم التسرع فى الاستجابة لهذه الرغبة قبل اتخاذ كافة السُبل للإقناع ، الأمر الذى يساعد على الحد تدريجيًا من انتشار هذه الظاهرة تمهيدًا للقضاء عليها .

وهذا القرار كان نتيجة لتوصية لجنة أمر بتشكيلها وزير الصحة وكان مما توصلت إليه اللجنة اختصارًا ما يلى :

---

(١) فى الأصل : الجزئى ولكنها خطأ مطبعى .

(٢) المرجع السابق ص١٠٤ .

أولاً : ختان الإناث لا أصل له من الدين وهو عادة موروثة .

ثانيًا : أجمع الأطباء على خطورة هذه العملية جسديا ونفسيا واجتماعيا .

ثالثا : الاستعانة بوسائل الإعلام وغيرها لمقاومة ومحاربة هذه العادة .

رابعًا : تحريم مزاولة عمليات الختان لغير الأطباء ومعاقبة غيرهم قانونا إذا زاولوها .

خامسًا : عمل خطة طويلة المدى تشترك فيها الجهات الحكومية والأهلية والدينية لتوعية الأسر لعدم ختان بناتهم (١) .

ويلاحظ على القرار وتوصيات اللجنة ما يلى :

١ ـ إنكار الختان كشعيرة من شعائر الدين الإسلامى . وهذا رأى د . محمد سيد طنطاوى المفتى حينذاك وأحد أعضاء اللجنة ، ويلاحظ أن شيخ الأزهر « جاد الحق على جاد الحق » لم يكن من أعضاء اللجنة : حيث إنه يرى أن الختان له أصل تشريعى ورد بالسنة المطهرة .

٢ ـ لم يتعرض القرار واللجنة للأصول الجراحية السليمة لأداء الختان وفقا لوصايا الرسول ﷺ والكفيلة بدرء مضار الختان وتحقيق مزايا إضافية ، وتم التركيز على مضار الختان فقط .

٣ ـ كما يلاحظ أيضًا تناقض هذا القرار وتوصيات اللجنة مع القرار والتوصيات لوزير الصحة السابق والصادرة برقم ٧٤ فى ١٨/٧/١٩٥٩ . وأن هذا القرار والتوصيات هى خطوة أولى لبداية تحريم الختان خاصة بعد توصيات مؤتمر القاهرة للسكان سنة ١٩٩٤ ، والمتزامن مع إذاعة شبكة « سى إن إن » الأمريكية لعملية ختان أنثى مصرية تم تصويرها بطريقة بشعة «عن تعمد» بهدف إثارة الرأى العام العالمى ومنظمات حقوق المرأة، وإحراج مصر حكومة وشعبًا وقد أفلحوا ـ للأسف ـ فى ذلك .

ـ قرار وزير الصحة د. إسماعيل سلام رقم ٢٦١ لسنة ١٩٩٦ :

مادة : (١) : يحظر إجراء عمليات الختان للإناث سواء بالمستشفيات أو العيادات العامة أو الخاصة ، ولا يسمح بإجرائها إلا فى الحالات المرضية فقط ، والتى يقرها رئيس قسم أمراض النساء والولادة بالمستشفى وبناء على اقتراح الطبيب المعالج .

---

(١) المرجع السابق ص١٠٥، ١٠٦ .

- ويعتبر قيام غير الأطباء بإجراء هذه العملية مخالفا للقوانين . . . ويلاحظ على القرار ما يلى :

١ ـ صادر حق الأسر فى ختان بناتهم ، كما صادر حق الأطباء فى مزاولة المهنة سواء فى المستشفيات الحكومية ـ إلا بشروط ـ أو فى العيادات الخاصة .

٢ ـ القرار أوضح أن المقصود ليس الختان ولكن الجراحة التجميلية المُسببة لأعراض مرضية .

٣ ـ القرار يعنى فى حقيقتة إلغاء الختان نهائيا . وإن كانت صيغته دبلوماسية .

أدى القرار إلى :

أ ـ رفع بعض الأطباء قضايا أمام القضاء الإدارى لوقف العمل بقرار الوزير ، لأنه يُعَرض صحة النساء المصريات للخطر ، إذا أجريت لهن عمليات الختان بغير الأطباء وفى المستشفيات العامة والخاصة ، كما أنه يقيد الأطباء فى ممارسة مهنتهم ، وقد حكم القضاء الإدارى بإلغاء القرار .

ب ـ لجأت الحكومة إلى المحكمة الإدارية العليا التى رفضت حكم أول درجة وأصدرت فى ١٩٩٧/١٢/٢٩ حكمها التاريخى والنهائى بتأييد قرار د. إسماعيل سلام، وكان مما نص عليه الحكم : « . . . وبهذا الحكم أصبح من المحظور على الجميع إجراء عمليات الختان للإناث ، حتى لو ثبت موافقة الأنثى أو أولياء أمورها على ذلك ، إلا لو كانت هناك ضرورة طبية لإجراء هذه العملية ، بناء على قرار سابق من مدير قسم أمراض النساء بإحدى المستشفيات ، وإلا تعرض المخالفون للعقوبات الجنائية والتأديبية والإدارية .

ولا يخفى على أحد أن شرط موافقة مدير قسم أمراض النساء على إجراء الختان هدفه هو عدم تيسير إجراء هذه العملية ، كما يمكن بالتوصيات السرية ، إصدار تعليمات لرؤساء الأقسام بعدم الموافقة على الختان .

وقد أدى هذا القرار الأخير بإلغاء الختان رسميا فى مصر .

المبحث الثالث

موقف نقابة الأطباء من الختان فى مصر

ختان الإناث أمر يهتم به الأطباء من الناحية الدينية كمسلمين أولاً ، ثم من الناحية الطبية كمزاولين للمهنة ، هذا وقد اجتمعت نقابة الأطباء سنة ١٩٩٤ لإبداء الرأى فى مسألة الختان ، وذلك بحضور خمسة عشر خبيراً ، منهم عشرة من كبار الأطباء الأخصائيين فى علم الجراحة واثنان من علماء الأزهر ، واثنان من علماء الاجتماع ، وخبير إعلام وجاء بيان النقابة كما يلى :

ندوة نقابة الأطباء

حول ختان الإناث

بحضور السادة الأساتذة الدكاترة :

١ ـ أ.د. حمدى السيد	نقيب الأطباء
٢ ـ أ.د. سالم نجم	وكيل مجلس النقابة ـ ورئيس لجنة آداب المهنة .
٣ ـ أ . د .محمد حسن الحفناوى	أستاذ الأمراض الجلدية والتناسلية (عين شمس) .
٤ ـ أ . د .على شهوان	أستاذ أمراض النساء والتوليد (عين شمس) .
٥ ـ أ.د. رؤوف سلامة	أستاذ الجراحة العامة (جامعة الأزهر) .
٦ ـ أ . د . عبد القادر حجازى	استشارى الجراحة (وزارة الصحة) .
٧ ـ أ . د . محمود كريم	أستاذ أمراض النساء (عين شمس) .
٨ ـ أ.د.إسماعيل الدفتار	أستاذ علوم الحديث (جامعة الأزهر) .
٩ ـ أ .د. عبد الحى الفرماوى	الأستاذ بجامعة الأزهر .
١٠ ـ أ.د. صلاح عبد المتعال	أستاذ علم الاجتماع مركز البحوث الجنائية.
١١ ـ أ.د. عزيزة حسين	رئيسة جمعية تنظيم الأسرة بالقاهرة .

١٢ ـ الأستاذة. بهيرة مختار الأهرام

١٣ ـ دكتور. أشرف عبد الغفار عضو مجلس نقابة الأطباء .

١٤ ـ أ. د. آمال الطيب أستاذ علم الإجتماع الجامعة الأمريكية .

١٥ ـ أ. د. شامل عطية استشارى باطنة ـ وزارة الصحة .

كما حضر عدد كبير من مراسلى الصحف والأطباء والضيوف ولقد تمت المناقشة فى جو علمى رسمين على مدى ثلاث ساعات واتخذت التوصيات الآتية بالإجماع .

١ ـ إباحة ختان الإناث بالشروط التالية :

أ ـ أن تتم هذه العملية بعد سن البلوغ (بناء على طلب الأنثى وولى أمرها) حيث تظهر وتكتمل الأعضاء التناسلية الخارجية للأنثى ـ ولا تجرى على الأطفال .

ب ـ أن ينطبق على هذه العملية ما ينطبق على غيرها من العمليات الجراحية من حيث التخدير وتخفيف الآلام والمتابعة بعد العملية وأن تجرى فى مستشفيات مجهزة وبأجور رمزية حتى تتمكن الفقيرات من إجراء العملية .

جـ ـ أن تراعى الأصول الجراحية الفنية والمهنية والأصول الفقهية بحيث تتم تسوية الزائد بالمعتدل دون إنهاك أو تشويه أو المساس بالشفرتين أو البظر إلا بقدر وتقدير كل حالة على حدة .

٢ ـ رفض تجريم ختان الإناث بقانون .

٣ ـ مناشدة رجال الإعلام والمثقفين وكل من يشارك بالتوعية أن يراعوا مبدأ «فاسألوا أهل الذكر والاختصاص » فى الأمور الطبية والفقهية وغيرها ، وأن تتم توعية المواطنين بالضوابط التعليمية والأخلاقية بعيدا عن الإثارة والتجهيل .

٤ ـ مناشدة المسؤولين فى الدولة وعلماء الإسلام والقائمين على شؤون الدعوة الإسلامية أو يوجد واجهة الإفتاء الجماعى خدمة للدين والدنيا وتجنبا للإثارة والبلبلة .

٥ ـ لقد افتعلت قضية ختان الإناث وتضخمت وأنه آن الأوان أن توقف هذه الضجة والندوة تناشد الجميع بالتوقف الفورى عن الخوض فى هذا الموضوع .

٦ - أن الأمة المصرية تنتمى إلى الحضارة العربية والإسلامية والبعد الإنسانى وهى ذات قيم ومبادئ ومثل وهوية خاصة مستقلة يجب أن تفخر بها وتدافع عنها بل وتبشر بها بين أمم العالم .

٧ - دعم التعاون العلمى والثقافى والفكرى بين الجمعيات الأهلية والدوائر الرسمية لما فيه خير للوطن والمواطنين .

٨ - إجراء المزيد من الأبحاث الميدانية والعلمية حول أبعاد ختان الإناث .

٩ - ترجمة وقائع الندوة وتوصياتها إلى اللغات الأجنبية وإذاعتها على المستوى العالمى .

١٠ - تأكيد الموافقة على القرار الوزارى رقم ٧٤ لسنة ١٩٥٩فى ١٤/٦/١٩٥٩م عن ختان الإناث وملخصه :

أ - يحرم بتاتًا على غير الأطباء القيام بعملية الختان وأن يكون الختان جزئيًا لا كليا لمن أراد .

ب - منع عملية الختان بوحدات وزارة الصحة لأسباب صحية واجتماعية ونفسية.

جـ - غير مصرح للدايات المرخصات بالقيام بأى عمل جراحى ومنها ختان الإناث.

د - أن الختان من شعائر الإسلام والشريعة الإسلامية تنهى عن الاستئصال الكلى. . انتهى قرار رقم ٧٤/١٩٥٩م .

صدر بتاريخ ٢٥/ ١٠/ ١٩٩٤م.

ويلاحظ أن هذا البيان قد تمسك بالختان وفقا لأحكام الشريعة الإسلامية والضوابط الصحية الهامة التى أوضحها الرسول ﷺ : فى كيفية إجراء هذه الجراحة بحيث لا تؤدى إلى ضرر جنسى أو نفسى أو صحى أو اجتماعى أو دينى بالمرأة ، فكان الرسول ﷺ هو المعلم والمربى والمرشد للأطباء فى مزاولة عملية الختان بطريقة جراحية صحية صحيحة .

موقف المنظمات الدولية من الختان

ترجمة بيان الاتحاد الدولى لأطباء النساء التوليد ١٩٩٤

عهد وافقت عليه الجمعية العمومية للاتحاد العالمى لأمراض النساء والولادة عن

« التشويه الجسدى للإناث » (١)

مونتريال ـ كندا ـ عام ١٩٩٤

الجمعية العمومية للاتحاد العالمى لأمراض النساء والولادة :

* آخذة فى الاعتبار أن التشويه الجسدى للإناث (ختان الإناث) هو ممارسة متوارثة ما زالت سائدة فى أكثر من ثلاثين دولة فى إفريقيا وآسيا والشرق الأوسط.

* قلقة من النتائج الصحية والنفسية الخطيرة التى تنشأ عن هذه الممارسة إذ أنها تجرى على فتيات لا يمكن أن يعطوا موافقة على إجرائها مبنية على العلم والمعرفة بما يترتب على إجرائها .

* تعلم أنه بناء على ذلك فإن ختان الإناث مخالف لحقوق الإنسان .

* تتذكر إقرار الجمعية العمومية لمنظمة الصحة العالمية لعام ١٩٩٤ بالترحيب بالإعلان السياسى الذى بعثت به حكومات الدول التى تجرى بها عمليات ختان الإناث إلى الأمين العام للأمم المتحدة .

تدعو الجمعيات الأعضاء إلى :

١ ـ أن تحث حكوماتها على إزالة كل أشكال التفرقة ضد النساء إذ لم تكن قد فعلت ذلك .

٢ ـ أن تحث حكوماتها إلى اتخاذ الإجراءات القانونية وغيرها من الوسائل التى تجعل ممارسة ختان الإناث غير مقبولا من الناحية الاجتماعية لكل فئات المجتمع .

٣ ـ أن تتكاتف مع الهيئات القومية والمنظمات الحكومية للدعوة إلى مساندة

(١) موقف الأطباء من ختان الإناث ص١١٤ .

الجهود التى تهدف إلى منع إجراء ختان الإناث .

٤ ـ توصى الأطباء أخصائى أمراض النساء والولادة أن :

أ ـ يوضحوا لرجال الدين والمشرعين وصانعى القرار ، الأضرار التى تنشأ على المدى القصير والمدى الطويل نتيجة لممارسة ختان الإناث .

ب ـ يمدوا أفراد الفريق الصحى والقادة المحليين والمدرسين بالمعلومات عن هذه الممارسة الضارة .

جـ ـ يساندوا الرجال والنساء الذين يودون استئصال هذه الممارسة من عائلاتهم أو من مجتمعهم .

د ـ المساعدة فى إجراء الأبحاث التى تسجل مدى انتشار هذه الظاهرة ونتائجها الضارة.

٥ ـ معارضة أى محاوله لتقنين هذه الممارسة من الناحية الطبية أو السماح بإجرائها تحت أى ظرف فى المؤسسات الصحية أو بواسطة أفراد الفريق الصحى .

موقف منظمة الصحة من تطبيب ختان الإناث

لقد نصحت منظمة الصحة باستمرار بكل وضوح أنه لا ينبغى على أى من العاملين فى مهنة الصحة أن يمارس التشويه الجنسى للإناث فى أى شكل من أشكاله فى أى مكان ، بما فى ذلك المستشفيات ومنافذ وزارة الصحة . وتؤيد منظمة الصحة العالمية توصيات المؤتمرات الدولية والإقليمية التى أوضحت أن الحكومات ينبغى عليها تبنى سياسات وطنية واضحة فيما يتعلق بمنع التشويه الجنسى للإناث ، وتكثيف البرامج التعليمية لإعلام الرأى العام نساء ورجالا حول أضرار الختان (١) .

وهكذا نرى أن الختان تم إلغاؤه رسميا وقانونيا من مصر وأكثر الدول العربية ليس لأنه يتعارض مع أحكام الإسلام ، ولكن استجابة لدعاة التحرر المؤيدين بقرارات عالمية تتحدث عن حقوق الإنسان التى تهددها نفس المنظمات والدول المسيطرة عليها وكلها غربية فى كل مكان فى العالم الإسلامى من مشرقه لمغربه وآخره العراق . وسوف ندفع فاتورة هذه الدعاوى من عرضنا وشرفنا وكرامتنا .

---

(١) المرجع السابق ص١١٥ .

الباب الثالث

معنى ومفهوم العرض والشرف فى الأديان السماوية وعند دعاة التحرر

معنى ومفهوم العرض والشرف فى الأديان السماوية وعند دعاة التحرر

توطئة:

الأصل أن مفهوم المحافظة على العرض والشرف وما يرتبط بهما من آداب سامية وأخلاق رفيعة وعادات قويمة ، هو محافظة الأنثى على عفافها وعذريتها إن كانت عذراء وعلى فرجها إن كانت زوجة أو سبق لها الزواج وكذلك الأمر للرجل ، مع أنه لا غشاء بكارة له ، فأول الفضائل الإنسانية هى حفظ النفس من التردى فى الرذيلة من زنا أو لواط أو سحاق أو غيره ، وبالتالى حفظ الأنساب .

وهذا المعنى والمفهوم نشأ من خلق آدم وحواء واستمر لليوم ، ولن يختفى غدًا أو بعد غد ، وهو قائم إلى يوم القيامة ، تؤمن به كافة المجتمعات الإنسانية مهما تنوع دينها أو عقيدتها أو فكرها ، ولكنه ككافة المتغيرات الأخلاقية يزيد ويتسع باتباع الأديان والتمسك بالأخلاق الفاضلة ، والعادات الاجتماعية والإنسانية الموروثة لمن لا دين له يعصمه أو شريعة تحكمه ، وفى هذا الباب سنعرض لما يلى :

الفصل الأول : معنى ومفهوم العرض والشرف فى الأديان السماوية .

الفصل الثانى : معنى ومفهوم العرض والشرف لدى دعاة التحرر .

الفصل الثالث : ضرورة العودة إلى مقاييس العفة والعذرية والشرف .

الفصل الأول

معنى ومفهوم العرض والشرف

فى الأديان السماوية

المبحث الأول : معنى ومفهوم العرض والشرف فى التوراة والديانة اليهودية .

المبحث الثانى : معنى ومفهوم العرض والشرف فى الإنجيل والديانة المسيحية .

المبحث الثالث : معنى ومفهوم العرض والشرف فى القرآن والديانة الإسلامية .

معنى ومفهوم العرض والشرف فى الأديان السماوية

توطئة :

إن من الحقائق الثابتة والراسخة رسوخ الجبال الشم ، والمؤكدة حسن تنظيم الله لكونه ، والتى تسمو فوق كل ارتفاع ، وترتفع فوق كل خلق قويم ، وأدب رفيع ، اتفاق الأديان السماوية الثلاث على ضرورة المحافظة على العرض والتمسك بالشرف باعتبار ذلك أساس الفضيلة ، التى هى أصل إعمار الأرض . هذا وقد أمرت الأديان بذلك وحثت عليه ، ومنحت المطيع الثواب فى الدنيا والآخرة ، وأوجبت على المسىء الخزى فى الدنيا والعقاب « القصاص » .

وقد ساوت الأديان بين الذكر والأنثى فى ذلك بلا تفرقة .

وفى هذا الفصل سنعرض للمباحث التالية :

المبحث الأول : معنى ومفهوم العرض والشرف فى التوراة والديانة اليهودية .

المبحث الثانى : معنى ومفهوم العرض والشرف فى الإنجيل والديانة المسيحية .

المبحث الثالث : معنى ومفهوم العرض والشرف فى القرآن والديانة الإسلامية .

مع إيضاح ثواب المطيع وجزاء العاصى فى كل دين .

المبحث الأول

معنى ومفهوم العرض والشرف فى التوراة والديانة اليهودية

فى الواقع إن المحافظة على العرض والتمسك بالشرف كأصول ثابتة وراسخة لباقى الفضائل الإنسانية ، نشأ مع بداية خلق الإنسان الأول آدم وحواء ، وعلى ذلك فهذه الأخلاق ليست طارئة على الإنسان بل هى منه خلقت معه ، وسما بها ، فقد جاء بالتوراة ، أن الله أعز وأكرم آدم وحواء بأن خلقهما بلا ملابس ومع ذلك فقد منع أعينهما من إبصار عوراتهما ، « وكان كلاهما عريانيين ، آدم وامرأته وهما لا يخجلان» [التكوين ٢ : ٢٥] .

هذا ولم تكشف العورة إلا بعد المعصية « فأخذت » حواء من ثمرها والشجرة المحرم أكل ثمرها « وأكلت ، وأعطت رجلها أيضا معها فأكل ، فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانين » [التكوين ٣ : ٦ ، ٧] ولذلك كانت وصايا التوراة بالعفة والفضيلة متعددة .

أولاً : الأمر بعفة وعفاف النساء :

« لا يكن من بنات إسرائيل ولا من أبناء إســرائيل زانيات ومأبونو معـــابد» (١).
[التثنية ٢٣ : ١٧]

« لا تدنس ابنتك فبذلها للفجور ، لئلا تزنى الأرض وتمتلئ بالرذيلة » [اللاويين ١٩ : ٢٩] .

وقد حذرت التوراة النساء من عرض أنفسهن لإغراء وإغواء الرجال فقال النبى «أشعياء » محذراً عاقبة ذلك :

« (١١) يقول الرب : لأن بنات صهيون متغطرسات ، يمشين بأعناق مشرئبة

---

(١) مأبونو المعابد : من يتردد على المعابد للزنى بمقابل مادى ، حيث كانت تخصص نساء لذلك، يعتبرن أنفسهن قديسات ، وهذا نظام وثنى هدفه تمويل المعابد بالمال .

متغزلات بعيونهن ، متخطرات فى سيرهن ، مجلجلات بخلاخيل أقدامهن (١٧) سيصيبهن الرب بالصلع ، ويعرى عوراتهن » [أشعياء ٣ : ١٦ ـ ١٧] .

ومن آداب التمسك بالعرض والشرف ، عدم تشبه النساء بالرجال والعكس «يحظر على المرأة ارتداء ثياب الرجل ... لأن كل من يفعل ذلك يصبح مكروها لدى الرب إلهكم » [التثنية ٢٢ : ٥] .

وقد اعتبرت التوراة المرأة التى تعرض نفسها على الغير جاهلة :« (١٣) المرأة الجاهلة صخابة حمقاء ولا تدرى شيئا (١٤) فتقعد عند بيتها على كرسى فى أعالى المدينة (١٥) لتنادى عابرى السبيل (١٦) من هو جاهل فليمل هنا ... »
[الأمثال ٩ :١٣ ـ ١٦]

كما وصفتها بالخارجة عن طاعة ربها ، المهلكة للرجال :

« (١٧) التاركة أليف صباها والناسية عهد إلهها (١٨) لأن بيتها يسوخ إلى الموت وسبلها إلى الأخيلة [1] (١٩) كل من دخل إليها لا يرجع » [الأمثال :٢] .

ووصفت التوراة المرأة الزانية فقالت :

« (٢٣) الزانية هوة عميقة ، والأجنبية حفرة ضيقة (٢٨) وهى أيضا كلص تكمن وتزيد الغادرين بين الناس » [الأمثال : ٢٣] .

كما وصفت التى تزنى وتدعى أنها لم تقترف إثمًا « ذنبًا » « كذلك طريق الزانية، أكلت ومسحت فمها وقالت : « ما عملت إثمًا » [الأمثال : ٣٠ : ٢٠] .

ووصفت التوراة الزوجة الصالحة المحافظة على عرضها وشرفها فقالت :

« (١٠) امرأة فاضلة من يجدها لأن ثمنها يفوق اللآلئ (١١) بها يثق قلب زوجها فلا يحتاج لغنيمة (١٢) تصنع له خيرا لا شرًا كل أيام حياتها » [الأمثال : ٣١] .

كما جاء بها أيضا : « المرأة الفاضلة تاج لبعلها أما المخزية فكنخر فى عظامه»

---

(١) يسوخ إلى الموت : يؤدى إلى الهلاك فى الدنيا والآخرة ، سُبلها إلى الأخيلة: طريقها إلى الزوال فمتعتها زائلة باطلة .

[الأمثال: ١٢ : ٤] وقد زكت التوراة تقوى المرأة وأعلتها عن الجمال والحسن ، فجاء بها : « الحسن غش والجمال باطل ، أما المرأة المتقية الرب فإنها تُمدح » [الأمثال٣١ : ٣٠]

ثانيا : الأمر بعفة وحفظ شرف الرجال :

ترى التوراة فى تشبه الرجال بالنساء رذيلة: « يحظر على الرجال ارتداء ملابس النساء . . . لأن من يفعل ذلك يصبح مكروها لدى الرب إلهكم » [التثنية ٢٢ : ٥].

وجاء عن تحذير الرجال من فتنة النساء : « الزانى بامرأة هو عديم العقل ، المهلك نفسه هو يفعله » [الأمثال ٦ :٣٢] .

ليحفظك من المرأة الأجنبية من الغريبة الملقَة (١) بكلامها » [مثال : ٧/ ٥] .

« وإذا امرأة استقبلته فى زى زانية ، وخبيثة القلب » [الأمثال ٧ : ١٠] .

« فم الأجنبيان هوة عميقة ممقوق الرب « من يكرهه الله » يسقط فيها » [الأمثال٢٢ : ١٤]

وكذلك (٢) احفظ وصاياى لتحيا وشريعتى لحدقة عينيك (٥) لتحفظك من المرأة الأجنبية من الغريبة الملقة بكلامها » [الأمثال ٧ : ٢ ، ٥] .

وقد أمرت التوراة بضبط الرجل لجماح نفسه الأمارة بالسوء فجاء بها :

« مدينة منهدمـــة بلا ســـور الرجل الذى ليس لـــه سلطان عـــلى روحـــه » [الأمثال: ٢٥ـ٢٨]

جزاء المفرط فى عرضه وشرفه :

ساوت التوراة فى عقاب الزناة بين الرجال والنساء وشددت عقاب الرجل المغتصب أى الذى يكره المرأة على الزنا فجاء بها .

« إذا ضبطتم رجلاً مضطجعًا مع امرأة متزوجة تقتلونهما كليهما فتنزعون الشر من وسطكم »(٢) [التثنية ٢٢ : ٢٢] .

---

(١) الملقة بكلامها : التى تغرى وتغوى بمعسول الكلام .

(٢) مضطجع أى يزنى زنا كاملاً ، والتوراة لم تفرق بين الزانى والزانية المحصنين عن غيرهم.

ومعنى ذلك عدم اعتراف التوراة بحق الزنا بالتراضى لأطرافه .

الزنى بامرأة مخطوبة لآخر :

« (٢٣) وإذا التقى رجل بفتاة مخطوبة لرجل آخر فى المدينة وضاجعها (٢٤) فأخرجوهما كليهما إلى ساحة بوابة تلك المدينة ، وارجموهما بالحجارة حتى يموتا، لأن الفتاة لم تستغث وهى فى المدينة ، والرجل لأنه اعتدى على خطيبة الرجل الآخر ، فتستأصلون الشر من وسطكم » [التثنية ٢٢ : ٢٣ ـ ٢٤] .

الزنى بالأمة المخطوبة :

« إذا اضطجع رجل مع امرأة اضطجاع زرع وهى أمة مخطوبة لرجل ، ولم تفد فداء ولا أعطيت حريتها ،فليكن تأديب،لا يقتلا لأنها لم تعتق» [اللاووين ١٩ : ٢٠].

أما عقاب المغتصب :

« ولكن إذا وجد الرجل الفتاة المخطوبة فى الحقل فأمسكها الرجل واضطجع معها يموت الرجل الذى اضطجع معها وحده ، وأما الفتاة فلا تفعل بها شيئًا » [التثنية٢٢:٢٥، ٢٦]

وقد أوضحت التوراة عدم بركة أولاد الزنا فجاء بها : « أما أولاد الزنا فلا يبلغون أشدهم وذرية المضجع الأثيم تنقرض » [الحكمة ٣ : ١٦] .

« والمولودون من المضجع الأثيم يشهدون بفاحشة والديهم عند استنطاق حالهم » [الحكمة ٤ : ٦]

وهكذا يتبين لنا أن التوراة أمرت الرجال والنساء بالعفة والمحافظة على الشرف وأوجبت عقابًا للمفرط فيهما خاصا قد يصل إلى الموت ، ولم تعترف بالزنى بالتراضى وحرية الرجل أو المرأة فى جسده .

المبحث الثانى

معنى ومفهوم العرض والشرف فى الإنجيل والديانة المسيحية

لا يختلف هذا المفهوم عن التوراة ، فالمسيحية دين يدعو إلى الأخلاق الكريمة، لدرجة أن بعض أحكامه بلغت من الدعوة للروحانية حدًا صَعِبَ على المسيحيين اتباعها. كأحكام النظرة لشهوة الطلاق ، والزواج الثانى والثالث للأرملة وغير ذلك ، فجاء بالإنجيل « (٢٧) وسمعتم أنه قيل : لا تزن ! (٢٨) أما أنا فأقول لكم كل من ينظر إلى امرأة بقصد أن يشتهيها ، فقد زنى بها فى قلبه ! فإن كانت عينك اليمنى فخانتك ، فاقلعها وارمها ، فخير لك أن تفقد عضوا من أعضائك ولا يطرح جسدك كله فى جهنم » [متى ٥ : ٢٧ ، ٢٨] .

« من نظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها قلبه » [متى ٥ : ٢٨] .

والفقرات السابقة توضح الأمر للرجال بحفظ وغض البصر ، لأنه أول أسباب التمسك بالعفة والشرف .

وكانت وصايا الإنجيل والرُسل للنساء بالحشمة والوقار والتمسك بالفضيلة متعددة منها وصية بطرس « على المرأة ألا تعتمد الزينة الخارجية لإظهار جمالها ، بضفر الشعر التحلى بالذهب ، ولبس الثياب الفاخرة (٤) وإنما تعتمد الزينة الداخلية ، ليكون قلبها متزينا بروح الوداعة والهدوء ، هذه هى الزينة التى لا تفنى ، وهى غالية الثمن فى نظر الله» [١ بطرس ٣ : ٣ ـ ٦] .

وجاء عن بولس « كما أريد أيضا أن تظهر النساء بمظهر لائق محشوم اللباس ، متزينات بالحياء والرزانة ، غير متحليات بالجدائل والذهب واللآلئ والحلل الغالية الثمن (١٠) بل بما يليق بنساء يعترفن علنا بأنهن يعشن فى تقوى الله » [١تيموتاوس٢ : ٩ـ١١] .

هذا وقد استنكرت المسيحية أن يزاول أى مسيحى أو مسيحية ما من شأنه أن يؤدى إلى الزنى أو الزنى ذاته فقال بولس :

« (١٤) الجسد ليس للزنا بل للرب ، والرب للجسد . . . (١٥) ألستم تعلمون أن أجسادكم هى أعضاء المسيح ؟ أفآخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية ؟ حاشا ! (١٦) أم لستم تعلمون أن من التصق بزانية هو جسد واحد ؟ لأنه يقول : « يكون الاثنا جسدًا واحدا (١٧) وأما من التصق بالرب فهو روح واحد (١٨) اهربوا من الزنا . . . الذى يزنى يخطئ إلى جسده » [١ كورنثوس ٦ : ١٤ ـ ١٨] .

إذن الزنا فى المفهوم المسيحى إهانة للرب نفسه ، وهذا لا ينبغى ، كما يؤكد ذلك فيقول : « مجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله»[اكورنثوس٦ : ٢٠].

جزاء المفرطين فى العرض والشرف والزنا :

يقول بولس الرسول فى وصاياه : « أم لستم تعلمون أن الظالمين لا يرثون ملكوت الله ؟ لا تضلوا : لا زناة ولا عبدة أوثان ولا فاسقون ، ولا مأبونون ولا مضاجعوا ذكور » [اكورنثوس ٦ : ٩] .

وبالنسبة لعقاب الزناة : فهو كما جاء فى التوراة ، وإن لم يقم المسيح بإقامة الحد على زانية يوحنا الإصحاح ٨ فمرجع ذلك ليس إلغاء أو نسخ حد الزنا ، ولكن لتأكد المسيح من توبتها . وهكذا يتبين أن المسيحية اعتبرت الزنا بكافة أصنافه واللواط إهانة للرب نفسه . ولم تعترف بحق كل إنسان فى جسده يفعل به ما يشاء « أى الزنى بالتراضى» .

المبحث الثالث

معنى مفهوم العرض والشرف فى القرآن والديانة الإسلامية

لا يختلف هذا المعنى والمفهوم عما جاء بالتوراة والإنجيل ، فمسؤولية المحافظة على العرض والشرف والأمر بهما مشتركة يتساوى فيها الرجال والنساء والجزاء أيضا متساو فها هو الحق تبارك وتعالى يأمر الجنسين بحفظ النفس من النظرة الحرام فيقول: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُون . وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُن﴾ [النور: ٣٠ ـ ٣١] .

هذا وقد جعل الإسلام المحافظة على العرض والعفة والشرف شرطًا من شروط الإسلام وصحة الإيمان وسببا لمغفرة الله والفوز برضاه وجنته فقال تعالى : ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيماً ﴾ [الأحزاب: ٣٥] .

كما أوجب على النساء المحافظة على شرفهن وعفتهن وعرضهن فقال تعالى : ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ [النساء : ٣٤] .

يقول السيد محمد رشيد رضا فى تفسير الآية :

« قال الثورى وقتادة حافظات للغيب يحفظن فى غيبة الأزواج ما يجب حفظه من النفس والمال ، وروى ابن جرير والبيهقى من حديث أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : «خير النساء التى إذا نظرت إليها سرتك ، وإذا أمرتها أطاعتك ، وإذا غبت عنها حفظتك فى مالك ونفسها » . وقرأ ﷺ الآية . .

وقال الأستاذ الإمام ـ « يقصد جمال الدين الأفغانى » : الغيب هو ما يستحيا من إظهاره ، أى حافظات لكل ما هو خاص بأمور الزوجية الخاصة بين الزوجين ، فلا

يطلع أحد منهن على شيء مما هو خاص بالزوج » (١) .

هذا وقد حذرنا الله من مجرد محاولة تجربه الحُب والغرام ، بالنظرة بشهوة أو اللمس والهمس والتقبيل ودواعى ومقدمات الزنى فقال جل من قائل ﴿ وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾ [الإسراء : ٣٢] .

عقاب الزنى بأنواعه فى الإسلام :

يقول السيد سابق رحمه الله :

« يرى كثير من الفقهاء أن تقرير عقوبة الزنا كانت متدرجة كما حدث فى تحريم الخمر . فكانت فى أول الأمر الإيذاء بالتوبيخ والتعنيف لقوله تعالى : ﴿ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا ﴾ [النساء:١٦] ، ثم تدرج الحكم إلى الحبس فى البيوت ، يقول تعالى : ﴿ وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً ﴾ [النساء : ١٥] .

ثم استقر الأمر وجعل الله السبيل ، فجعل عقوبة الزانى البكر مائة جلدة ، ورجم الثيب حتى الموت لقول رسول الله ﷺ من حديث عبادة بن الصامت أن رسول ﷺ قال : « خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا ، البكر بالبكر جلد مائة ونفى سنة، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم (٢) » (٣) والحديث نسخ ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور : ٢] ويرى فضيلته رحمه الله أن :

١ ـ الآية الكريمة : ﴿وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً ﴾ [النساء: ١٥] خاصة بالسحاق وهو إتيان المرأة للمرأة أى الاستمتاع المتبادل بين امرأتين .

---

(١) السيد محمد رشيد رضا : حقوق النساء فى الإسلام ج ١ ، ص٦١ ـ هدية مجلة الأزهر لشهر جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ .

(٢) رواه مسلم وأبو داود والترمذى .

(٣) فقه السنة جـ ٢ ص٣٩٩ .

٢ ـ الآية الكريمة : ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾ [النساء : ١٦] فهى فى اللواط « أى إتيان الذكر الذكر ، ومعنى فإن تابا أى قبل إيذائهما بإقامة الحد عليهما » (١) .

والملاحظ أن الإسلام كان أكثر عدالة من التوراة حيث فرق بين الزانى المحصن «أى الذى سبق له الزواج وإقامة حياة جنسية » ، والغير محصن « الذى لم يسبق له الزواج» فالمحصن قد جرب اللذة الجنسية ويفترض أنه أكثر تحكمًا فى شهوته عن لم يجربها، فجعل عقاب المحصن الموت وهو أشد من الجلد ، وعلى ذلك فقد اتفقت الأديان كلها على ضرورة العفة وعقاب المسىء .

(١) إننا نؤيده فى هذا باعتبار أن اللاتى تدل على امرأتين ، واللذان تدل على مذكرين ، كما أن من الممكن عدم إقامة الحد إذا لم يبلغ المجتمع عن الجريمة « والله أعلم » .

الفصل الثانى

معنى ومفهوم العرض والشرف لدي دعاة التحرر

المبحث الأول : الادعاء أن المحافظة على العرض للنساء دون الرجال ظلم .

المبحث الثانى : الادعاء أن المحافظة على العذرية والتمسك بالعفة والطهارة لم تعد مقياسًا للأخلاق .

معنى ومفهوم العرض والشرف عند دعاة التحرر

يمكن القول والتأكيد أن دعاة تحرر المرأة كلهم علمانيون لا يؤمنون بأهمية الأديان وضرورة اتباع أحكامها المنظمة لشؤون البشر بصفة عامة والمرأة بصفة خاصة ، وحيث أن كافة الأديان السماوية ـ كما سبق الإيضاح ـ لا تدعو إلى التحرر بالصورة الماجنة الفاجرة التى يريدها الدعاة للمرأة ، فإنهم تارة يتعرضون للأديان بالنقد والتجريح إما صراحة أو بأسلوب ملتو غير مباشر ، كأن يدعوا أن الأديان لم تعد تناسب العصر والناس ، أو بمحاولة زرع مفاهيم جديدة والدعوة إليها دون تعرض للأديان ، وهذا هو الأسلوب الأكثر اتباعًا إذا كان التعرض للأديان سيضطرهم لنقد اليهودية والمسيحية ، فالمدافعون عنهما ليسوا بالقلة أو بالضعف الذى لا يخشى عقباه ، أما المدافعون عن الإسلام فأصبحوا كغثاء السيل لا قيمة لهم ، ودعاه التحرر يدعون ما يلى:

المبحث الأول : أن المحافظة على العرض للنساء دون الرجال ظلم .

المبحث الثانى : أن المحافظة على العذرية والتمسك بالعفة والطهارة لم تعد مقياسًا للأخلاق .

المبحث الأول

الادعاء بأن المحافظة على العرض للنساء دون الرجال ظلم

ينتقد دعاة التحرر نظرة المجتمع القاصرة والخاطئة التى ترى أن العرض والشرف مرتبط بالمرأة دون الرجل فتقول د . نوال السعداوى :

« حق الرجل فى الحب أو خداع العذراوات ، تنهى الواحدة منهن حياتها بيدها خوفا من الفضيحة ، فالشرف هو حق الرجال ، وإذا كان هو الجانى ، والمرأة بلا شرف وإن كانت هى الضحية .

لا تكاد تخلو حياة امرأة من مأساة واحدة على الأقل ، تستسلم أغلب النساء للقضاء والقدر ، يكمن الألم فى صدورهن حتى الموت ، أو يستعجلن الموت بعود كبريت أو زجاجة سم سريع أو بطىء ، ..... تدفع النسوة من دمهن ثمن العار ، لأن الرجل وإن اغتصب المرأة لا يصيبه العار مثلها ، فالشرف للرجل وإن خان ، ودم الرجل إن سال له ثأر وله فدية ، ولكن دم المرأة لا فدية له ولا ثأر »[1] .

وتقول د . سامية الساعاتى : « فبينما يتوقع المجتمع التقليدى أن يقوم الذكر بالأعمال والمهام والأنشطة التى تجلب « الشرف » للجماعة ... يحرص هذا المجتمع نفسه على تجنيب الأنثى من أن تجلب « العار» على جماعتها القرابية بخضوعها، واستجابتها لعواطفها ، ونزعاتها الطبيعية ، وبخاصة النزعات الجنسية .

فالأنثى فى عرفهم أساس قيام إغراءات الشيطان وإغوائه التى تجلب الدمار ليس لها وحدها ، ولكن للجماعة القرابية ككل .

إذ بينما تحتل الأنثى مكانة ثانوية ، بل وهامشية بالنسبة للذكر ، فيما يتعلق بنظرة المجتمع للجنسين ، والتفضيل بينهما ، فإن سُمعة الجماعة القرابية يتوقف على سلوك الأنثى ومراعاتها للمبادئ الأخلاقية ، أكثر مما يتوقف على سلوك الذكر. . فالأنثى هى « عرض الجماعة فالعرض مرتبط بسلوك الأنثى ، وخاصه سلوكها الجنسى بينما الشرف

---

(١) د . نوال السعداوى : توأم السلطة والجنس ص٢٣ ، ٢٥ .

مرتبط بالقيم الذكورية وبسلوك الذكر وإنجازاته .

وقد يفقد الذكر « شرفه » نتيجة لسلوكه غير السوى ، ثم يسترد ذلك الشرف ومعه مكانته فى المجتمع ، إذا حَسنَ سيرته . . . أى الشرف يمكن استرداده . . . وليس الأمر كذلك فيما يتعلق بالعِرض ، فهو قابل للضياع ، غير قابل للاسترداد. . . فمن أجل ذلك كانت تنشئة الأنثى منذ الصغر ، تهتم بإعدادها للزواج لأنه الوسيلة الفعالة والمأمونة للمحافظة على عرضها وعرض العائلة ووقايتها من الانحراف. . . »[1].

ومما لا شك فيه أن هذه نظرة اجتماعية وليست حقيقة دينية فكافة الأديان السماوية ـ كما سبق الإيضاح ـ ساوت بين الجنسين فى الأمر بحماية العرض والتمسك بالعفة والشرف، كما تساوى الجنسان فى العقاب والقصاص للتفريط فى العرض والبعد عن آداب العفة وأصول الشرف .

ومرجع تلك النظرة الاجتماعية لأسباب عدة :

١ ـ البعد عن تعاليم الأديان السماوية ، وعدم تنفيذ أحكامها ، وهذا يبدو جليا فى المملكة العربية السعودية التى ما زالت تطبق الحدود للزنا وتقيمها على المرأة والرجل سواء بسواء وبعدالة ، ومن ثم فما زال هناك مفهوم العرض والعفة يشمل الرجال والنساء بلا تفرقة .

٢ ـ الإيمان الاجتماعى أن المرأة لابد وأن تكون طرفًا مشاركًا فى الزنا خاصة إذا كان بالتراضى ، سواء غرر بها أو سعت هى إليه ، وأنها تستطيع بما أوتيت من تحذيرات وتعاليم منذ نعومة الأظافر أن تتغلب على شهوتها ، وتدافع عن شرفها ، ولا تنساق وراء معسول الكلام ، براق الوعود فهما الطريق إلى ضياع العرض .

٣ ـ أثبتت التجربة وأوضح الواقع أن الآثار التى تعانى منها المرأة نتيجة للتفريط فى عرضها يفوق ما يعانيه الرجل من ذلك ، والواقع أنه لا توجد نسبة بين الأمرين.

فالمرأة إن كانت عذراء فضحت نفسها وفرطت فى بكارتها ، بهتك هذا الغشاء

---

(١) د. سامية الساعاتى : علم اجتماع المرأة ص ٣٠٠ ، ٣٠١ .

الذى لم يخلقه الله سُدى ، وإنما لحكمة هى ضرورة المحافظة عليه ولا يفض إلا بحقه.

كما قد يؤدى زنى المرأة بكرًا كانت أو ثيبًا لمشاكل الحمل والإجهاض أو الولادة وإلقاء ثمرة العلاقة المحرمة فى مهب الريح فى الطرقات أو على أبواب المساجد .

٣ ـ بالرغم من مشاركة الرجل للمرأة فى الزنى إلا أنه يتهرب من الزواج بها لاهتزاز الثقة بها ، حيث يترسب فى فكره ويتملك وجدانه أنها كما فرطت فى نفسها معه يمكن أن تكرر ذلك مع آخرين .

٤ ـ لا ينظر المجتمع للرجل كثير العلاقات الجنسية غير المشروعة بنفس نظرته للمرأة ، فالرجل فى نظر المجتمع ـ لا الدين ـ كامل الرجوله فعلاً ، أما المرأة فهى عاهرة .

٥ ـ الواقع أن الأنثى هى التى تجرِّئ الرجل على التودد إليها ، فهى تغويه وتغريه ووسائلها فى ذلك متعددة من إغراء العيون الساحرة حتى الكعوب الدائرة ، ومن الصوت الرخيم المائع حتى موسيقى الخلاخيل وأنغام الكعوب والأحذية » على الأرض، ومعلوم أن المرأة لو اشتهت رجلاً فلن يفلت منها أبدًا ، أما الرجل فليس كل ما يشتهيه يناله ، فمسؤولية المرأة عن التفريط فى عرضها وشرفها تفوق الرجل بكثير.

وعلى كل حال فإن الأضعف الذى يعلم ضعفه يجب أن يتسلح بكل ما يستطيع الدفاع به عن عرضه .

ولذلك فتربية البنت على الفضيلة هى محور اهتمام كل الأسر السوية ، فتفريط البنت أو المرأة فى شرفها هو داء يصيب كل أفراد أسرتها وأسرة والدتها بل يتعدى ضرره للجيران ، لأنه دليل على أن الأسرة لم تستطع أن تحسن تربية بناتها على الفضيلة وحسن الخلق وتقول د . سامية الساعاتى موضحة كيفية إعداد الفتاة اجتماعيا للمحافظة على عرضها :

العرض والمحافظة على الشرف فى المعتقد الشعبى :

« إن قيمة العرض والمحافظة على الشرف هى التى تتحكم فى كثير من أساليب

سلوك الناس وعادتهم المتبعة فى معاملة الأنثى منذ طفولتها المبكرة ، وفى جميع مراحل تنشئتها الاجتماعية .

فهذه القيمة هى المسؤولة مثلا عن عادات تخويف الأنثى من القفز واللعب العنيف، حتى لا يتمزق غشاء بكارتها . . . وتفهم البنت الصغيرة تفهيمًا جيدًا ، أنها لو كبرت . . واكتشفوا ليلة « دخلتها » على عريسها ، أن غشاء بكارتها قد مزق فإنهم سيقتلونها . . وفى هذا من غير شك ضبط كبير لسلوكها فى أثناء اللعب .

كذلك نجد أن قيمة العرض هى التى تدفع الأهالى إلى فصل الأنثى عن الذكر منذ سن مبكرة فى اللعب وفى النوم ، كما تدفعهم أيضا إلى تحذيرها من الاختلاط بالذكور فهم يؤمنون بالمثل القائل : « إيش أحر النسا ، قال بعد الرجال عنهم » وهم أيضا يخوفون الأنثى من الخلوة بالذكر لأن الخلوة به تزيد من احتمال ضعفها أمامه وتفريطها فى عرضها . وهذا أمر إذا حدث « قتلوها » ، أو « ضربوها بالنار » وتتشرب الفتيات هذه الأفكار تشربًا لدرجة أنها تتناولها بالحديث مع رفيقاتها فى أثناء اللعب والسمر. . . فيتبادلن التحذير والنصح بخصوص هذا الأمر .

والحب قبل الزواج يعد أمر مستهجنًا ومذمومًا ، وهى تؤدى إلى قيام المشاكل بين الأسر ، وإلى وصم الفتاة برذيلة « العشق » التى لا تجر إلا إلى الشر والوبال . . وتفكك أوصال العلاقات بين الأسر .

فالعشق قبل الزواج فى المعتقد الشعبى لا يؤدى إلى السعادة بل كثيرًا ما يلهب الغريزة الجنسية عند الشباب فيفقدون سيطرتهم على أنفسهم .

إن قيمة العرض فى المعتقد الشعبى هو المحور الذى يرتكز عليه شرف الأسرة أو العائلة بأكملها ، وبخاصة رجالها . . ولذلك كثيرا ما نسمعهم . . يوجهون للإناث وأولياء أمورهن أدعية معينة تدور كلها حول ستر العرض . . إذا يقولون للفتاة : « الله يستر عرضك » ويقولون للرجل : « الله يستر ولاياك » . أو « الله لا يفضح لك عرض» أو « الله لا يفضح لك ولية » (١) .

ويا ليتنا نؤمن بهذه المعتقدات ونعود إلى التمسك بها فقد كانت هى أساس حماية النساء من عبث الرجال وأغلبها أساسه هو تعاليم الدين

(١) د . سامية الساعاتى ، علم اجتماع المرأة ص٢٢٥

المبحث الثانى

الادعاء بأن المحافظة على العذرية والتمسك بالعفة والطهارة لم تعد مقياسا للأخلاق الرفيعة

إن الهدف الرئيس لدعاة تحرر المرأة هو العمل الدؤوب المستمر المنظم ، لتعرية المرأة من ملابسها باسم الموضة والتحرر ، ثم من شرفها وعفتها وطهارتها باسم حرية المرأة فى جسدها ، وأثناء تحقيق ذلك يتم فصل المرأة عن دينها وعن خلقها ، فتصبح النساء كالحيوانات ـ نأسف للتعبير ولا نتمنى تحققه ـ المتدنية التى تسمح لكل راغب فى إتيانها، حتى لو كان فى عرض الشارع .

وتقول د. نوال السعداوى داعية إلى تخلى النساء عن عفتهن وشرفهن وكرامتهن: « وقد سقطت قيمة العذرية كمقياس للأخلاق فى معظم بلاد العالم شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا ، لأن الأخلاق الصحيحة تتعلق بسلوك الإنسان اليومى فى العمل والبيت والشارع والمجتمع ، إنها تتعلق بالصدق والشجاعة وعدم النفاق ، تتعلق بالأمانة وعدم السرقة . . إلخ . ولا يمكن أن تتعلق القيم الأخلاقية بصفات تشريحية أو بيولوجية يولد بها البشر أو لا يولدون بها .

بعض الناس يتخوفون من سقوط قيمة العذرة كمقياس لأخلاق البنت قبل الزواج. لكن اتضح لنا أن هذه القيمة ليست مقياسًا بأى حال من الأحوال ويمكن التحايل عليها بسهولة .

إن الأخلاق القوية للبنات والأولاد تربط بالتربية السليمة منذ الطفولة : بالإحساس بالحرية والعدل والثقة بالنفس . إننا نولد ونعيش طفولة خائفة مذعورة مكبوتة أساسها الكذب وإخفاء الحقائق ، والإيمان بقيم سطحية مثل العذرية ، واحتقار اسم الأم وتمجيد اسم الأب واعتباره الاسم الوحيد الذى يعطى للطفل الشرعية والشرف» (١) .

---

(١) د. نوال السعداوى : قضايا المرأة ص٢١٠ .

أليست هذه من علامات الساعة ، « العذرية قيمة سطحية » كما تدعى د. نوال ، ولم تعد مقياسًا لطهارة البنت قبل الزواج !! وأصبحت الأخلاق الصحيحة من صدق وأمانة وتعامل يومى هى مقياس صحة سلوك الإنسان !! إن الله حين خلق النساء بغشاء بكارة وربما لا يوجد عند الحيوانات مثله لم يخلقه عبثًا، ولكن خلقه كأمانة عظمى يجب على الفتاة حفظها حتى تؤدى إلى زوجها كما أمر الله ، إنه خاتم عزة وكرامة وشرف وعفة اختص به الله البنات وأعزهن به ، وجعل فى فضه حلالاً ليلة العمر . والإسلام لم يأمر بالتحايل الجنسى ومباشرة العلاقات الجنسية ثم رتق هذا الغشاء وتسترد قائلة :

« وقد آن الأوان لمناقشة هذه القيمة الأخلاقية من أساسها ؛ لأن دم العذرية ليس مقياسًا للأخلاق أو الشرف فى معظم الحالات ، والأفضل للمجتمع أن يصلح مفهوم الأخلاق عن أن يصلح أغشية البنات بالمشرط الجراحى .

وقد أوضحت حقائق الطب أن ثلاثين فى المائة من البنات يولدن طبيعيًا بدون غشاء أو بغشاء مطاط لا ينزف قطرة دم واحدة ليلة الزفاف ، وقد اشتغلت طبيبة فى الأرياف وعرفت كيف تدربت الدايات على تزييف دم العذرية بشتى الوسائل، تتفوق الدايات المدربات فى هذا المجال على مشرط الجراح الذى يفشل فى معظم الحالات، بل قد يسبب الضرر للفتاة أو زوجها فى المستقبل .

فلماذا إذن يتمسك المجتمع بهذا المقياس الواهى والسطحى للأخلاق والشرف ؟! هل لأنه يعفى الرجال من المسئولية الأخلاقية ذاتها التى يطالب بها البنات ؟! وهل يمكن اعتبار الرجل غير مسؤول عن سلوكه الجنسى لمجرد أنه ولد بدون غشاء ؟» (١) .

ونحن نقول :

ليس دم العذرية هو مقياس الشرف فى الحالات التى ذكرتها الدكتورة نوال فالغشاء المطاط أو الولادة بدون غشاء أمر يمكن لطبيب عادل أن يوضحه والفتاة تعتبر رغم عدم نزول الدم عذراء ، وكل المجتمع يعلم هذه الحالات الخاصة.

---

(١) د.نوال السعداوى : قضايا المرأة ص٢٠٩ .

أما بالنسبة للمسؤولية عن السلوك الجنسى فإن الرجل والمرأة يتساويان فيها أمام الله، فإن زنيا برضا نالا العقاب بالتساوى وهو الرجم أو الجلد حسب الأحوال ، أما فى حالة الاغتصاب فإن الرجل هو الذى يجلد وليست المرأة (١) .

إن تساؤل د. نوال الذى يبدو وكأنه فى براءة هو دعوة للفجور العلنى فكيف تدعى أن المحافظة على العذرية مقياس واهٍ سطحى ؟! إن الله عندما وصف فضليات النساء وصفهن « المحصنات » فجعل حفاظ المرأة على فرجها وعدم استباحته لكل غاد أو رائح ، سواء عذراء أو غير عذراء هو محافظة على حصن إذا نال منه الغير كانت الهزيمة النفسية والخلقية والدينية ، وعندما مَجدَ السيدة العذراء مريم قال : ﴿ **الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا** ﴾ [التحريم: ١٢] ، إن مولد الرجل بلا غشاء بكارة لا يعفيه من المسؤولية عن سلوكه الجنسى اجتماعيا وإنسانيا ودينيا ولكننا بعدنا عن أحكام الدين، فتردينا من حفرة مهلكة الى أخرى أكبر عمقا وأشد تهلكة .

وها هى فريدة النقاش ترى أن محافظة المرأة على عفتها وفضيلتها ورعاية أسرتها هى قمع للذات فتقول :

« لا تبدأ المرأة مشوار تحررها من موقع ثانوى دائمًا فحسب ، لأن عوامل اجتماعية ـ اقتصادية ـ ثقافية وسيكولوجية تؤدى بها إلى ذلك ، وإنما لأنها تنهض فى كثير من الأحيان بمهمة قمع نفسها ، فإذا كان المجتمع الطبقى الأبوى يحيل مهمة ضبط النساء إلى الأسرة ، فإن المرأة تتولى بنفسها مصادرة نفسها ، وقمع الذات هو واحد من أقسى وأشد أنواع القمع الثقافى والروحى ، الذى هو رافد من روافد الثقافات المعوقة شأنها شأن الأيدلوجيات الذكورية ، ويرتبط قمع الذات بمفهوم سائد يخص علاقة المرأة بأسرتها وبالمجتمع ككل ، هذا المفهوم هو التضحية بالنفس من أجل الجماعة الصغيرة ليكبر الأولاد ويرضى الزوج ، ومن أجل الجماعة الكبيرة حتى تحافظ على تماسكها وصورتها » (٢) .

---

(١) ستتكلم عن ذلك بإسهاب عند الكلام عن الاغتصاب .

(٢) حدائق النساء فى نقد الأصولية ص٨١ .

وإننا لنود أن يلاحظ القارئ أن الكاتبة لم تنتقد وتهجو مفهوم الشرف مباشرة كما فعلت د . نوال السعداوى ولكنها غلفت فكرها بغلاف لامع يأخذ الأبصار حتى يُصرف عن المعنى الحقيقى الذى تريده ، فهى تقول « مهمة قمع النفس » ، وتدعى أنها تنشأ عن ضغوط من المجتمع الأبوى الطبقى [1] .

إن الكاتبة ترى فى تحكم المرأة فى عواطفها وجسدها ومحاولة تمسكها بالفضيلة والعفة هى « قمع للذات » . ثم تهجو النساء لموافقتهم على ذلك وتعتبر ذلك «مصادرة للنفس » وتصف ذلك بأنه أشد أنواع القمع « الثقافى والروحى » أى أنها تهجو الدين باعتباره المصدر الثقافى والدينى الذى يدعو إلى الفضيلة . وترى فى ذلك تضحية بالنفس فى سبيل الأسرة والمجتمع .

لقد ضاعت مفاهيم الفضيلة مع ارتفاع أصوات دعاة التحرر التى تحولت إلى صراخ هستيرى ، كلما علا صوته كلما تصاعدت بلاياه وبلواه .

---

(١) تقصد قيادة الرجل للأسرة فدعاة التحرر يرون فى ذلك نظامًا استبداديًا يقوم به الذكور باعتبارهم طبقة أعلى مكانة عن النساء حسب ظنهم.

الفصل الثالث

ضرورة العودة إلى مقاييس العفة والعذرية والشرف

المبحث الأول :ضرورة التمسك بتعاليم الأديان الخلقية .

المبحث الثاني : العودة إلى الأديان وهجر ما يناقضها من قوانين أو فكر .

ضرورة العودة إلى مقاييس العفة العذرية والشرف

توطئة :

الواقع المرير الذى نراه ونسمعه ونحسه ونستنشقه مع نسمات الهواء أن تحرر المرأة فى الغرب والشرق أدى إلى نتائج اجتماعية واقتصادية وجنسية ودينية كلها سلبية ، خاليه من المزايا ، إلا اليسير الذى لا يستر هذه السلبيات أو يجعل الجميع ينادون باستكمال دعاوى التحرر ، ومع ذلك ونتيجة لسيطرة وسائل الإعلام والإعلان على العقول، وسيطرة الفكر الغربى « اللادينى » المستورد ، والذى يسيطر عليه للأسف شواذ العالم فكريا وجنسيا ، فما زال مسلسل المطالبة بحقوق جديدة للمرأة هو فى واقع الأمر يمثل المطالبة ببلايا ومصائب للمرأة وليس بمزايا مستمرًا .

وهنا تبرز مشكلة كيف يقنع دعاة التحرر النساء والرجال والمجتمعات بمنح بلايا جديدة ومصائب للمرأة، وقد أثبت الواقع أن ما وصلنا إليه اليوم لا يشجع أى عاقل على ذلك .

وكان الحل الأمثل هو إسقاط مقاييس العفة والفضيلة والشرف من حياة النساء وبالتالى المجتمعات ، فطالما تلك المقاييس موجودة ، فما زال هناك عائق صعب اجتيازه للوصول بالمرأة إلى ما يريد دعاة التحرر ، ومن هنا أباح دعاة التحرر السفور أولاً ثم الفجور ثانيا ثم الزنا بأنواعه وأخيرًا الشذوذ الجنسى بشتى صوره وأشكاله المعروفة من القديم والمبتدعة فى الحديث .

وفى الحقيقة فإن مطالب دعاة التحرر كلها تؤدى إلى ضياع الشرف والعفة والعذرية للرجال والنساء على السواء .

فما زالوا يطالبون بالاختلاط فى الصِغر والكبر بين البنات والصبيان ثم بين البالغين والبالغات من الرجال والنساء .

وهذه البلايا [١] التى أنتجها التحرر حتى الآن وسيفرز غيرها غدًا إن لم يعِ العالم

---

(١) انظر كتابنا : تحرير المرأة بين الأديان السماوية ودعاة التحرر ، مكتبة الوفاء بالمنصورة ٢٠٠٤م وهو يتكلم عن مساوئ تحرير المرأة فى هذا العصر .

المتحضر واجبه نحو قمعها وقتلها فى مهدها فسوف تتفاقم مشاكل التحرر ، وسيصبح الإيدز والأمراض الجنسية وباء فتاكًا يصيب كل الشعوب ، وسيسود الشذوذ الجنسى كل المجتمعات ، وسيصبح أطفال الشوارع « اللقطاء » هم الغالبية العظمى من أفراد المجتمع ، وستسود العنوسة وبالتالى ضياع العلاقات الإنسانية والاجتماعية والجنسية الكريمة من سائر الأسرة التى ستصبح أفرادًا فقط، ومن ثم يهتم الإنسان برعاية الحيوان ويلازمه فى منزله كأنه ابن أو زوج أو أخ أو أخت أو جدة أو جد أو حتى صديق حميم ، فيكد الإنسان ويشقى لإعالة حيوان ، ويقتل ويحتل الدول ـ كما تفعل أمريكا الآن ـ ليُطْعَم إنسانًا بائسًا وحيوانًا مكرمًا ، فيضع مفهوم الإنسانية الرحيمة ، ويحل محله مفهوم الإنسانية الحيوانية الغادرة .

قد يتعجب القارئ من آرائى هذه ، ولكن إذا علم أن ما ينفق فى أوربا وأمريكا والعالم المتحضر على الحيوان الأليف ـ الذى يربى فى البيوت ـ من كلاب وقطط وفئران وحتى ثعابين أليفة لو أنفق على جياع البشر فى نفس هذه البلاد وفى بلاد آسيا وإفريقيا لتغير حال الإنسان ، وتطورت الإنسانية تطوراً اجتماعيًا وإنسانيًا وخلقيا ودينيا لم تصل إليه البشرية من قبل ، ولكن وا أسفاه أكرمنا الحيوان وأهنا الإنسان ، أنفقنا على الحيوان وحرمنا الإنسان ، منحنا الحيوان المحبة والسكن والمودة والرحمة ، وأعطينا الإنسان الكراهية والتشرد والحقد والبغضاء ، دُفِنَ المسلمون فى مقابر جماعية فى كل أنحاء الأرض حتى فى بلاد عَبَدَةَ الأبقار ، ويكرم الحيوان بالدفن معززًا مكرمًا فى مقابر فاخرة فى أمريكا وبلاد الغرب الذى يدعى تحضره ، ونلقى جثث من ماتوا جياعًا أو بالأوبئة ـ فى آسيا وإفريقيا فى الأنهار فلا يغطيهم تراب .

ومن أسباب ذلك هجران المرأة بيتها واستباحة فرجها ، وهروب السكن والمودة والرحمة من حياة الإنسان وما سبق إيضاحه من بلايا والذى يعد قطرة من ماء محيط يوضح لنا ضرورة العودة إلى العفة والعذرية والشرف والذى سنوضحه فى المباحث التالية :

المبحث الأول : ضرورة التمسك بتعاليم الأديان الأخلاقية .

المبحث الثانى : العودة للأديان وهجر ما يناهضها من قوانين وفكر .

المبحث الثالث : إعادة آداب الحجاب كما جاءت بالأديان .

أولاً : عودة المرأة إلى الحجاب وهجر السفور .

ثانيا : آداب عمل المرأة خارج بيتها للضرورة .

ثالثا : آداب الاختلاط .

المبحث الأول

ضرورة التمسك بتعاليم الأديان الأخلاقية والعودة لأحكامها

تنادى كل الأديان السماوية والتى تمثل أعلى درجات الأخلاق السامية . مع اختلاف درجاتها ـ بضرورة إعمار الإنسان للأرض ولن يتم الإعمار السليم إلا من خلال عبادة الله بالقيام بفرائضه التعبدية ، واتباع أوامره الأخلاقية المنظمة لسائر شؤون حياته ، فإن أطاع الإنسان سَعِدَ فى الدنيا والآخرة وجزاه الله خيراً ، وإن عصى عوقب فى الدنيا وباء بالخسران فى الآخرة .

وجاء بالتوراة أن بعد طرد آدم وحواء من الجنة تكاثرا بالنسل فقال لحواء : « أكثر تكثيراً أوجاع مخاضك فتنجبين بالآلام أولاداً » [التكوين ٣ : ١٦] .

ولكن سرعان ما ابتعد النسل عن عبادة الله واتباع وصاياه فكان الجزاء هو الفناء لكل عاص فقط : « ورأى الرب الإنسان قد كُثر فى الأرض ، وأن كل تصور فِكر قلبه يتسم دائما بالإثم [١] » «(٦) فملأ قلبه الأسف والحزن لأنه خلق الإنسان (٧) وقال الرب : أمحو الإنسان الذى خلقته عن وجه الأرض مع سائر الناس . . . . ، أما نوح فقط حظى برضى الرب » [التكوين ٦ : ٥ ـ ٧] .

فكان الطوفان ، ولم ينج سوى نوح ومن آمن به وعَبَدَ الله . والتوراة توضح لنا جزاء الطاعة ومما جاء بها : « (١) والآن أصغوا يا بنى إسرائيل إلى الشرائع والأحكام التى أعلمها لكم لتعملوا بها ، فتحيوا وتدخلوا لامتلاك الأرض التى يورثها لكم الرب يورثها لكم إلهكم [٢] (٢) لا تضيفوا على ما أوصيتكم به ، ولا تنقصوا منه » [التثنية ٤ : ١ ـ ٢] .

---

(١) هذه الآن حقيقة مؤكدة لا لبس فيها ، فقد عاد الإنسان إلى معصية الله الشاملة .

(٢) التوراة ترى دائمًا أن جزاء صلاح اليهود هو النصر على الأعداء وامتلاك أرض الموعد «الميعاد» فلسطين حاليا ، ولكن ليس هناك جزاء أخروى واضح حتى أن الكثير من الطوائف اليهودية تنكر عذاب الآخرة .

وأما جزاء المعصية : « وإن رفضتم فرائضى وكرهت أنفسكم أحكامى ، فما عملتم كل وصاياى بل نكثتم ميثاقى (١٦) فإنى أعمل هذه بكم : أسلط عليكم رعبا وسلاً وحمى تفنى العينين وتتلف النفس ، وتزرعون باطلا زرعكم فيأكله أعداؤكم (١٧) وأجعل وجهى ضدكم فتنهزمون أمام أعدائكم ، ويتسلط عليكم مبغضوكم «الكارهون لكم » وتهربون وليس من يطردكم » [اللاويين ٢٦ : ١٥ ـ ١٧] .

والمسيحية آمنت بما جاء فى التوراة ، فطاعة الرب واجبة . أما فى الإسلام ، فالغاية من الخلق واضحة يقول الحق جلا وعلا : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات : ٥٦ ـ ٥٨]

وأوضح الله أن سبب تكاثر البشر هو عبادته وطاعته فقال الخالق البارئ المصور : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣] .

أما جزاء الطاعة فهو الصلاح فى الدنيا والفلاح فى الآخرة ، يقول تعالى اسمه : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف : ٩٦] ، كما يقول : ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴾ [الجن:١٦] كما يقول تبارك اسمه : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء : ٦٩] .

ويقول عند هلاك قوم نوح فى أول الخلق لعصيانهم ﴿ فَاسْتَجَبْنَا (١) لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦) وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧٦ ـ ٧٧] وكذلك مصير قوم لوط لتفشى اللواط «شذوذ الجنس » وقوم عاد وثمود .

---

(١) سبق أن دعا نوح على قوه لعصيانهم فقال : ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح : ٢٦ ـ ٢٧] .

وجزاء المعصية بصفة عامة أوضحه الحق جل شأنه فقال : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ [طه : ١٢٤-١٢٦] .

فالعودة إلى تعاليم الأديان هى العودة إلى التمسك بأحكام الله المنظمة لشؤون البشر ، وهى عودة إلى الصفاء النفسى والدينى « الروحانيات » وهو ما يفتقده العالم العلمانى المتحضر الذى زادت نسبة الانتحار فيه مع زيادة نسبة الرفاهية فيه .

وقد آمن مفكرو الغرب المعتدلين بذلك ، وكذلك آمن بهذا سائر الناس حتى الذين لا يعرفون عن الدين سوى اسمه فقط وعن ذلك تقول د. نوال السعداوى مستنكرة ذلك : « حين كنت أستاذة زائرة فى جامعة ديوك خلال الأعوام الأربعة الأخيرة . . . وعدد من الجامعات الأمريكية . . . لاحظت أن هناك اتجاها بين النساء وبعض الرجال نحو ما يمكن أن يسمى « العودة إلى الروحانيات » .

وكنت أسألهم دائمًا ماذا تعنون بكلمة الروحانيات أو الروحانية« spirituality » ، لم تكن إجاباتهم واضحة ، وإنما كلمات غامضة من نوع الروحانية هى أن نرفض هذه الحضارة المادية التى لا تهتم إلا بالماديات والشهوات الجسدية وتنسى الروحانيات» (١) .

وتستكمل د. نوال مناقشة الأمر موضحة أن العودة للأديان هى ضد تحرر المرأة الذى تنادى به هى وغيرها فتقول : « وفى رأيى أن عبارة « العودة إلى الروحانيات» لا تختلف كثيرا عن عبارة « العودة إلى الأديان » التى تطلقها الحركات الدينية السياسية المسيحية والإسلامية واليهودية والبوذية والهندوكية . . . إلخ إنهم يستخدمون العبارات ذاتها ويقولون أيضا إن الحضارة الغربية هى حضارة مادية ، ولهذا أدت إلى تعاسة الإنسان ، لكن العودة إلى الله أو الدين « العودة إلى الإنجيل التوراة ، القرآن . . . هى التى سوف تنقذ الإنسان وتملأ قلبه بالإيمان والسلام والسعادة» .

يتكلمون دائمًا عن الإيمان والسلام والسعادة ، وهى كلمات بلا معنى إذا كانت عامة مطلقة غير خاضعة لمكان معين وزمان معين » (٢) .

---

(١) توأم السلطة والجنس ص٩١ .

(٢) المرجع السابق ص٩٢ .

والفقرات السابقة توضح إيمان البشرية كلها مع اختلاف الأديان والثقافات بضرورة العودة إلى أحكام الله المنظمة لشؤون الإنسان ومنها ما يختص بالمرأة والشرف والعفة وغير ذلك .

ومع ذلك تعتبر الكاتبة أن هذا بلا معنى لأن ذلك لم يعد يناسب المكان « العالم اليوم » والزمان « العصر الحالى » ، وكأن دين الله وشرائعه اختصت بمكان دون آخر وبزمان وبشر دون غيرهم .

إن الكاتبة التى هى ابنة عالم أزهرى ـ كما تقول ـ لم تعد ترى فى العودة إلى الله ضرورة ، وذلك لأن العودة إلى منهج الله سيحرم دعاة التحرر من مطالب كثيرة مستقبلية وسيمنع حقوقا كثيرة نالتها المرأة سابقا ، هى سر انحلال المجتمعات الآن .

وللأسف ما وصل إليه حال الناس من تخبط وعدم معرفة آداب وأحكام الإسلام هو الذى جعلهم لا يفهمون معنى العودة إلى الأديان وتوضح ذلك الكاتبة فتقول : «كنت أتحاور كثيرا مع هؤلاء النساء الروحانيات المتحررات ، وأندهش لهذا التناقض الكبير الذى يعشن فيه ، والروحانية مثلا تعنى أن المرأة تفصل بين جسدها وروحها وأنها تهتم أكثر بروحها ، إلا أن معظم هؤلاء النساء يوجهن اهتمامهن لجسدهن وشكلهن الخارجى ، أكثر من أى شىء آخر ، مما يتناقض مع فلسفة تحرير المرأة [leminisn] ، إن هذه الفلسفة تنقد فكرة فصل الجسد عن الروح ، ذلك أن عبودية المرأة فى التاريخ نشأت عن هذا الفصل التعسفى بين الروح والجسد ، أصبح الله هو الروح ، والجسد هو الشيطان ، أصبح الرجل يرمز إلى الروح والإله ، والمرأة ترمز إلى الجسد والشيطان .

كيف إذن تكون المرأة متحررة « أى leminist » ثم تؤمن بانفصال الروحانيات عن الماديات ؟! » (١) .

ونحن نقول موضحين ما يلى :

التناقض الكبير لأفكار من يردن العودة للدين « الروحانيات» إنما مرجعه أنهم

(١) توأم السلطة والجنس ص٩٢ .

جهلاء بأحكام الدين « كل حسب عقيدته » ومع ذلك فالإيمان الفطرى الطبيعى قد غلبهم وغلبهن على جهلهم وجهلهن .

إن الله لم يكن الروح ولا يمكن تشبية الخالق بجزء من مخلوق فالله ليس كمثله شىء ، وقد أوضحت التوراة ذلك كما جاء بها : أنا هو الرب ، هذا هو اسمى ومجدى لا أعطيه لآخر « ومجده هنا هو أسماؤه وصفاته » ، وجاء بالقرآن الكريم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١] .

أما الادعاء بأن الرجل يرمز إلى الروح والإله ، والمرأة ترمز إلى الجسد ، فهو ادعاء باطل وهو ليس فى كتب الله السماوية الثلاث بالرغم من تحريف « التوراة والإنجيل » ولكن ارتفاع قيمة المرأة وعلو مكانتها يكون بمحافظتها على جسدها من كل خطيئة ، فجسدها ملك لخالقها وهو الله ويجب أن ننزهه عن كل دنية وخطيئة وإثم وفجور . فإن فعلت ذلك كانت طاهرة مؤمنة أو قل إن شئت « مقدسة عن الخطايا» .

فالتوراة تصف المرأة الشريفة العفيفة الطاهرة المحافظة لعفتها والصائنة لفرجها فتقول: « امرأة فاضلة من يجدها ؟ (١٠) لأن ثمنها يفوق اللآلئ . . . (٣٠) الحسن غش والجمال باطل ، أما المرأة المتقية الرب فهى تمدح » [الأمثال ٣١ : ١٠ ، ٣٠].

وتقول عن المفرطة فى عرضها المستبيحة لجسدها : « (٨) ابعد طريقك عنها «المرأة الزانية » ولا تقترب من باب بيتها . . . (٣) لأن شفتى المرأة العاهرة تقطران شهدا ، وحديثها أكثر نعومة من الزيت (٤) لكن عاقبتها مُرَّة كالعلقم ، حادة كسيف ذى حدين» [الأمثال ٥ : ٨ ، ٣ ، ٤] .

« لأنه بسبب المرأة العاهرة يفتقر الإنسان إلى رغيف خبز والزانية المتزوجة تقتنص بأشواكها النفس الكريهة (٢٧) أيمكن للمرء أن يضع نارًا فى حضنه ولا تحترق ثيابه ؟» [الأمثال ٦ : ٢٦ ، ٢٧]

وعن أمر الرجال بالمحافظة على شرفه وتكريم جسده عن الزنى جاء بالتوراة : «ليكن ينبوع عنقك مباركًا ، واغتبط افرح بامرأة شبابك » [الأمثال ٥ : ١٨] فهنا أوجبت التوراة عفة الرجل بصيانة ينبوعه عضوه الذكرى الذى لا يجب أن يستمتع إلا بزوجته فقط .

كما اعتبرت غواية المرأة للرجل جريمة يجب عليه مقاومتها ودحرها : « يرعاك العقل ويحرسك الفهم (١٢) إنقاذا لك من طريق الشر . . . (١٦) وإنقاذا لك من المرأة الغريبة المختالة التى تتملقك بلسانها (١٧) التى نبذت شريك صباها وتناست عهد إلهها . . . (١٩) كل من يدخل إليها لا يرجع ولا يبلغ سُبُل الحياة » [الأمثال : ٢] .

وقد أهانت التوراة الرجل الذى يترك نفسه لشهواتها فقالت : « الرجل المفتقر لضبط النفس مثل مدينة متهدمة لا سور لها » [الأمثال ٢٥ : ٢٨] .

إذن فالتوراة لم تعتبر الرجل رمزًا للإله والروح والمرأة رمزًا للجسد وساوت بينهما فى ضرورة العفة والمحافظة على الجسد والعرض وعدم الزنا .

كذلك فى المسيحية لم يختلف الأمر ، فقد ساوت بين الرجل والمرأة فى التمسك بالعفة والمحافظة عى النفس فجاء بالإنجيل « (١٤) الجسد ليس للزنا ، بل للرب ، والرب للجسد . . . (١٥) ألستم تعلمون أن أجسادكم هى أعضاء المسيح ؟ أفآخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية ؟ حاشا (١٦) أم لستم تعلمون أن من التصق بزانية هو جسد واحد . . . (١٧) أما من التصق بالرب فهو روح واحد (١٨) اهربوا من الزنى، الذى يزنى يخطئ إلى جسده » [١ كورنثوس ٦] .

وهذه الفقرات أوضحت أن الاساءة للجسد لكل من الذكر والأنثى هى إساءة مباشرة لله « المسيح حسب الاعتقاد المسيحى » ، وتعبير « الجسد للرب والرب للجسد» يوضح أن جسد الإنسان ملك لخالقه وليس له حرية الزنا تحت أى مسمى ، وأنه لا وصول لطاعة الله « الروحانيات » إلا بحماية الجسد من الخطيئة فليس هناك فصل بين الجسد والروح .

أما فى الإسلام ، فلم يفرق الله بين الرجل والمرأة فى الأمر بالمحافظة على النفس وسمى ذلك « إحصانًا » وجعل من شروط تقوى الله والحصول على رضاه فى الأرض والسماء هو حفظ النفس من الزنى فقال تعالى : ﴿ **إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ**

وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾
[الأحزاب: ٣٥]

كما أوضح أن من شروط الإيمان محافظة الرجل على جسده : **﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾**
[المؤمنون: ٥ ، ٦]

والإسلام لا يؤمن بالصداقة والعشق والحب الماجن قبل الزواج : **﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾** [النور: ٣٣]

ومعلوم أن الله أفنى قوم لوط لقيام رجالهم بمزاولة الشذوذ الجنسي.

إذن كل الأديان السماوية لم تنظر للرجل على أنه إله يزنى كما شاء ويستمتع بالنساء كما يحلو له ، كما أنها لم تنظر للمرأة على أنها شهوة وجسد فقط.

ويجب ألا ننسى أن الأديان ساوت بين الرجل والمرأة فى جزاء الزنى والمعصية بالحد « الجلد » أو الرجم .

ولا أشك أن أغلب دعاة التحرر يعلمون ما ذكرته ، ولكنهم يدركون تمام الإدراك أن اتحاد الجسد بالفضيلة وتمسكه بها هو السبيل للاتحاد بالروح أى أن التقوى كما فى الإسلام والخلاص كما فى المسيحية وطاعة الرب كما فى اليهودية لا تتم إلا بالاتحاد الإيمانى بين الجسد والروح « النفسى » ، ولكن ذلك يعنى محاربة الأسس التى تقوم عليها دعوة تحرر المرأة وهى فصل الجسد عن الروح أى منح الجسد الحرية فى الزنا واللواط والسحاق باعتبار ذلك من حريته ، وليس من شروط تقوى الله .

وقد أوضح القرآن الكريم حقيقة العلاقة بين « النفس » والجسد أى الروح « كما يطلق على النفس » فقال تعالى : **﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾** [الشمس : ٧ ـ ١٠] .

وجاء فى تفسير القرطبى لمعنى الآيات :

« أى عرفها طريق الفجور والتقوى ... عرفها الطاعة والمعصية ... عرفها

---

(١) تفسير القرطبى « دراسة بالكومبيوتر » .

طريق الخير وطريق الشر ، وروى عن أبى هريرة قال : قرأ رسول الله ﷺ « ﴿ **فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا** ﴾ قال : « اللهم آت نفسى تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها . . . قد أفلح من زكاها » أى من زكى نفسه بطاعة الله ، « وقد خاب من دساها » أى خابت نفسى إن دسها الله عز وجل بالمعصية » إذن للوصول إلى التمسك بالأديان وهو ما يسمونه « الروحانيات لابد له من اتحاد النفس « الروح » مع الجسد فى طاعة الله ، وإن أضر ذلك بالدعوة للتحرر فطاعة الله هى الأولى وصدق تعالى حيث قال : ﴿ **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [النور: ٥١].

المبحث الثانى

العودة إلى الأديان وهجر ما يناهضها من قوانين وفكر

توطئة :

العودة إلى الدين تعنى العودة الصحيحة لعبادة الله الخالق ، والعبادة ليست صلاة وصيامًا وقيام ليل وزكاة وقبل ذلك كله إيمان بوحدانية الله وقدرته وعظمته وجلاله ، ولكنها أيضا اتباع لمنهج الله المنظم لكل شؤون خلقه ، الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فالإيمان بوجود إلهه هو من الأمور الفطرية التى لا تنكرها أى نفس سليمة ، ولا يحجبها أى فكر مستنير ، ويقول تعالى عن ذلك : ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ** ﴾ [لقمان : ٢٥] .

ولكن اتباع منهج الله وشريعته ليست إلا للصفوة التى أطلق عليهم « المؤمنون» و« المتقون » و « الصالحين » و« عباد الرحمن » و « عباد الله » وفى المسيحية «القديسين » وفى اليهودية « أبناء الله » و « شعبه المختار » .

وحيث إن اتباع منهج الله يحتاج إلى علم بشريعته التى تشمل أوامره ونواهيه «افعل ولا تفعل » وهذه تحتاج إلى تعليم وتوجيه . . . ولأن عهد النبوة قد انتهى بآخر نبى ورسول وهو « محمد بن عبد الله » رسول الله ﷺ . فأصبح من واجب علماء الدين فى الإسلام ورجال الدين فى اليهودية والمسيحية القيام بتعليم وتوجيه باقى المؤمنين بأحكام الأديان من عبادة وأخلاق ومعاملات .

وهذا يتم بطرق عدة ، منها التعليم فى دور العلم : حضانة ـ مدارس بمستوياتها المتنوعة ـ جامعات ، كذلك المساجد والكنائس والمعبد ، ووسائل الاتصال الأخرى من مقروءة ومكتوبة ومسموعة .

والواقع أن كل المؤسسات قد أهملت القيادة الدينية والروحية » وذلك لاتباع منهج جديد شيطانى سمى باسم براق جميل ولا صلة له به وهو « العلمانية » فلا

أساس للفظ من العلم ولا علاقة له به [1] .

وحيث إن العالم العربى والإسلامى أصبح - شاء أو لم يشأ - تابعًا وخادمًا أمينًا للغرب لا لله ، فقد تم إلغاء التعليم الدينى - تقريبا - من المدارس فأصبح لا أهمية له فى نجاح أو رسوب أو تقدير درجات .

وفى هذا المبحث سنعرض لما يلى :

أولاً : رفض العلمانية ونبذ فكرها الغير اسلامى .

ثانيا : عدم اتباع القوانين الدولية وتآمرات الأمم المتحدة المناهضة للأديان .

ثالثًا : تعديل القوانين فى البلاد الإسلامية من وضعية إلى إسلامية .

رابعًا : ضرورة السيطرة على الإعلام وتوظيفه لخدمة الدين .

---

(١) العلمانية بكسر العين : ترجمة غير دقيقة ، بل غير صحيحة لكلمة « Secularism » بالإنجليزية أو « secularit » أو « lAique » بالفرنسية ولا علاقة لها بالعلم ومشتقاته : التطرف العلمانى فى مواجهة الإسلام أ . د يوسف القرضاوى ص١٣ .

أولاً : رفض العلمانية ونبذ فكرها الغير إسلامى

مفهوم العلمانية ومعناها : « هى ترجمة غير دقيقة ، وغير صحيحة لكلمة «secularism فى الإنجليزية أو « secularit » أو « laique » بالفرنسية ، وهى كلمة لا صلة لها بالعلم ومشتقاته على الإطلاق والترجمة الصحيحة للكلمة هى «اللادينية » أو « الدنيوية » تقول دائرة المعارف البريطانية مادة « secularism » هى حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس ، وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بالدنيا وحدها » (١) .

وسبب نشوء هذا الفكر هو التناقض الذى أثبته العلم الحديث بين المسيحية واليهودية ممثلين بالإنجيل والتوراة وبين العلم الحديث ، حيث أثبت العلم تناقض الكثير من الحقائق العلمية مع الكتاب المقدس ، وهذا لم يحدث للقرآن الكريم حيث يؤكد العلم صدق القرآن الكريم ، وصدق تعالى حيث قال ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ [فاطر :٢٨] .

وحيث أن الشريعة الإسلامية ، هى التى تنقل الإسلام من عالم النظريات والمثاليات إلى دنيا الواقع والتنفيذ ، مما يهيئ للمجتمع سياجًا قويا من الإحكام الشرعية الإسلامية القائمة على قانون السماء لا على اجتهادات البشر ، فإن الإسلام أو الدين بصفة عامة هو العدو الأول للعلمانية ، ومن ثم كان هدف نشر الفكر العلمانى فى الأقطار الإسلامية ليس نشر العلم كما يتوهم البعض ولكن نزع العلم الدينى ونشر القوانين الوضعية العلمانية ،إذن العلمانية هى : « عزل الدين عن حياة الإنسان بحيث لا يكون للدين سلطان فى توجيهه أو تثقيفه أو تربيته أو التشريع له ، وإنما ينطلق فى مسيرة الحياة بوحى عقله وغرائزه أو دوافعه النفسية فحسب ، فالعلمانية : عزل الله تعالى عن حكم خلقه ، فليس له عليهم سلطان ، كأنما هم آلهة أنفسهم ، فهم يفعلون

---

(١) أ .د . يوسف القرضاوى : التطرف العلمانى فى مواجهة الإسلام ، أندلسية للنشر والتوزيع - الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٠م .

ما يشاؤون، ويحكمون ما يريدون ، ولا يسألون عما يفعلون » .

العلمانية : تطرد التشريع « القانون » الإسلامى من كل مجال ، حتى فى الأحوال الشخصية لهذا حرمت الطلاق ، وتعدد الزوجات ، وسوت بين الأبناء والبنات فى الميراث مخالفة بذلك قطعيات الشريعة وما علم من الدين بالضرورة»(١) .

والعلمانية ليست من الدين لقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ ﴾ [الجاثية : ١٨] ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠] .

﴿ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

بداية تسلل القوانين العلمانية الغربية إلينا :

يقول المستشار طارق البشرى : « عملية النقل فقط عن الغرب جاءت . . . مع الاحتلال البريطانى ، فقد أدى الضغط الاستعمارى عن طريق المحاكم المختلطة ؛ التى كانت القاعدة التشريعية الأساسية التى صدرت لنا القوانين الغربية ، عن طريق إنشاء المحاكم المختلطة عام ١٨٧٥م ، . . . كان قنصل أى بلد هو المنوط به أن يحكم على القضايا المرفوعة على رعايا بلده ، سواء فى القضايا المدنية أو الجنائية . . . ولم يكن القضاة أقل ظلمًا من القناصل ولكن ما حدث كان تنظيما لإجراءات التقاضى».

وقد قال حافظ إبراهيم فى ذلك : « كان الظلم فينا فوضى فهذبت نواصيه حتى صارت ظلمًا منظمًا ، فكان ذلك بمثابة تنظيم للظلم » (٢) .

إن اختلال الشريعة بدأ من هذه الفترة ، فترة الاستعانة بالقانون الفرنسى رأسًا وتجاهل كل الأحكام المستقاة من الشريعة التى سبقته ، وقد ظلت أجيال القضاة والمحامين تعتمد على « السيكلوبيديا دانلوز » الفرنسية كمرجع أساسى للأحكام وكانت إجادة الفرنسية شرطًا أساسيًا لمتتبع تلك القوانين » .

---

(١) المرجع السابق ص١٦ ، ٤٧ .

(٢) إقبال بركة : حوار حول قضايا إسلامية ص١٤٤، ١٤٥ .

ويوضح ضرورة العودة إلى الشريعة الإسلامية فيقول : « هناك انفصام بين القواعد التى تحكم سلوكياتنا وأخلاقياتنا وهى مستقاة من الدين ، وبين القواعد التى تحكم معاملاتنا وتنظيماتنا وهى مستقاة من القوانين الوضعية ، والمطلوب أن تظلنا مظلة شرعية واحدة ، ممكن نختلف ولكن داخل إطارها » (١) .

إذن يجب علينا حتى نفلح فى العودة إلى ديننا أن ننسلخ من ذلك الزى البغيض المسمى بالعلمانية والقوانين الغربية ، ومنهجنا هو القرآن والسنة حيث يقول تبارك اسمه : ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا** ﴾ [النساء : ١٠٥] ، إن النداء فى الآية يوضح بجلاء أن واجب الأمة الإسلامية هى هداية الناس لدينها ودعوتهم لأتباع شريعة الإسلام ، وليس أن يتبع المسلمون غيرهم . علينا أن نعود لديننا ونتذكر هديه وهداه : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ** ﴾ [الأعراف : ٢٠١].

(١) المرجع السابق : ص١٤٦، ١٤٧ ونحن نرجح أن المقصود « تظللنا مظلة شرعية واحدة » هى الشريعة الإسلامية ، وليس القوانين الغربية .

ثانيًا : عدم اتباع القوانين الدولية وتآمرات الأمم المتحدة المناهضة للأديان

لقد توسع مفهوم العلمانية وبعد أن غطت القوانين الأجنبية كل مناحى حياة المسلمين ، طاردة أحكام الشريعة الإسلامية ، أكدت العلمانية قوتها وثبتت أقدامها عن طريق ، إصدار القوانين الدولية الى تلغى نهائيا أحكام الأديان كلها السماوية وغير السماوية « إن صح التعبير » ، وقد شاركت الأمم المتحدة بمؤتمراتها « تآمراتها » المتعددة فى إلغاء الأخلاقيات الجنسية من القوانين ثم محاولة إلغائها من عقول البشر ، والنداء بالمساواة بين الفضيلة والرذيلة ، تحت مسمى المساواة بين الرجال والنساء وتقول فريدة النقاش موضحة تخلى دعاة التحرر عن الدين والاستعانة بالغرب وبلاياه :

« ولم تكن مصادفة أن الغالبية العظمى من المنظمات النسائية الجديدة فى الوطن العربى قد اختارت أن تؤسس مرجعيتها الفكرية على المواثيق الدولية وخاصة اتفاقية الغاء كل أشكال التمييز ضد المرأة » (١) .

وتبرز هذا الاتجاه على لسان إحدى الباحثات المناديات بتحرر المرأة وهى « هبة رؤوف التى تقول : « ما الذى يضمن خصوصية تطور حركات تحرير»(٢) المرأة العربية مادامت تعانى من قطعية معرفية مع الدين ، وتستند لمواثيق حقوق الإنسان بأكثر مما تستند للأصول الإسلامية » (٣) .

والعبارة السابقة على إيجازها توضح أن تحرر المرأة أمر خاص وكأن المجتمع لا علاقة له به ، وحيث إن المطالب الخاصة بالتحرر ليست من الدين ، ومخالفة له ، فإن مرجعية هذه الحركات هى مواثيق حقوق الإنسان ، والتى نرى أنها لن تستطيع أن تسمو فوق حقوق الإنسان فى الإسلام مهما علت ونادت وادعت الرقى. هذا ولم تكتف تلك الدعاوى الفاسدة بنبذ تعاليم الإسلام بل لجأت إلى سبه بطريقة غير مباشرة ، عن

---

(١) فريدة النقاش : حدائق النساء فى نقد الأصولية ص ١٧ .

(٢) نحن نرى أن ما يطالبون به ولا يوافق الشريعة الإسلامية « تحرر » وليس تحرير لأنه يؤدى وأدى إلى فجور المرأة وتحررها من القيم الدينية والأخلاقية .

(٣) المرجع السابق ص ٢٥ .

طريق إهانة الحركات الإسلامية الرشيدة الهادفة إلى العودة إلى الدين ، فتقول فريدة النقاش :

« فإن وصف الحركة الإسلامية بأنها قوة رجعية معادية للمرأة وتدمر منجزاتها ليس « شتيمة » لكنه وصف علمى واقعى ، إذ أن هذه الحركة تهدر مبدأ المساواة وتضع المرأة فى مرتبة أدنى بسبب جسدها » (١) .

وسوف نعرض فى عجالة لبعض بنود المادة السادسة عشرة من الاتفاقية الدولية لإلغاء كل أشكال التمييز ضد المرأة ، ففى ، مجال الأحوال الشخصية :

. . . تعمل على تساوى الرجل والمرأة فى :

أ ـ نفس الحق فى عقد الزواج :

ويقصد بذلك حق زواج المرأة بدون ولى أو بدون علم الآباء والإخوة وأوليائها، وكذلك حقها فى نشوء حق تطليق نفسها بنفسها وهو ما عبرت عنه الاتفاقية فى البند «ج » .

جـ ـ نفس الحقوق والمسؤوليات أثناء الزواج وعند فسخه . وهذا يعنى إلغاء حق القوامة للرجل بكل أشكاله كما أمر الإسلام فلا حق للزوج فى الإذن لسفر زوجته أو فى طاعتها له أو فى الموافقة على خروجها من البيت للعمل أو الضرورة أو لغير ضرورة ، كما ينشأ لها حق منع نفسها عن زوجها إذا أراد جماعها . . . إلخ .

ز ـ نفس الحقوق الشخصية للزوج والزوجة بما فى ذلك الحق فى اختيار اسم الأسرة والمهنة والوظيفة .

ويقصد بالحق فى اختيار اسم الأسرة هو حق المرأة فى أن تسمى مولودها باسمها أى تنسبه إليها فيقال مثلاً الاسم : محمد فريال إبراهيم أو إبراهيم سوسن حسين ، أى لا يلحق اسم الوالد وعائلته باسم المولود !!!

---

(١) أوضحنا فى هذه الموسوعة أن الإسلام لم يضع المرأة فى مرتبة أدنى من الرجل بسبب أنوثتها أو جسدها ، ولكنه وضعها فى المرتبة المناسبة لها والمتناسبة مع مناسبتها لوظيفتها فى الحياة كزوجة وأم أولا ثم كعاملة فعالة فى المجتمع عند الضرورة .

ويدخل فى المعنى ضرورة المساواة فى الإرث ، وتشرح ذلك فريدة فتقول :«وفى مجال الإرث :

وتجمع المذاهب الفقهية المختلفة على التفسير الحرفى لآية الإرث وللذكر مثل حظ الأنثيين ومع ذلك كات المتدينون العاديون أبعد نظرا وأكثر حنكة من غالبية المفسرين ، حين أقدم الذين لم يلدوا إلا البنات على التوصية بكل ثرواتهم أو نقلها وهم أحياء إلى بناتهم ، وحتى بعض الذين أنجبوا أولادا وبنات وزعوا ثرواتهم بالتساوى فى حياتهم وساووا بين البنت والولد فى الإرث معتمدين تأويلات مستنيرة وعصرية على اعتبار أن التخلى عن الحلال ليس حراما فى الشريعة» [1] .

وهنا ترى الكاتبة أن من لم يتبع تعاليم الإسلام فى الإرث « أبعد نظرًا وأكثر حنكة من غالبية المفسرين » أو ليس هذا أمرًا عجيبًا ؟! من يخرج عن شرع الله أكثر حكمة من المفسرين ، لقد تناسى هؤلاء أو جهلوا أو لم يؤمنوا بأن آيات المواريث ليست من الأحكام المتشابهة التى تختلف فيها الآراء فهى قطعية الثبوت قطعية الدلالة جاءت واضحة بينة فى القرآن والسنة . أوضح الله فى قرآنة الكريم الحكمة من تشريعها فقال : ﴿ **يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ** ﴾ [النساء : ١١] وفى نهاية الآية أوضح الحكمة من ذلك فقال الحكيم الخبير: ﴿ **آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا** ﴾ [النساء : ١١]وقد صدق الله تبارك وتعالى فكم من رجل أو امرأة أوصى لأولاده ، بثروته حال حياته ولم ينتظر حتى ينفذ شرع الله فى الإرث، فخانه أولاده وأهملوه فمات ذليلاً بعد عز .

ونحن نسأل هؤلاء : هل من يكتب ثروته لبناته حال حياته ويترك أمه أو أخته أو زوجته ألا يكون قد ظلم نساء أخريات وتعدى على حق المرأة ؟!!

كيف تدعى الكاتبة : « أن التخلى عن الحلال ليس حرامًا فى الشريعة والله يقول فى آية المواريث بعد ذكر الأحكام : ﴿ **وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ** ﴾ [النساء :١٢] ثم يقول فى الآية التالية : ﴿ **تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن**

(١) المرجع السابق ص٤٥ .

تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء : ١٣] ، ثم يحذر من معصية أحكامه فيقول فى الآية التالية أيضا : ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [النساء : ١٤] إنهم يتحايلون على شريعة الله تحت مظلة ألفاظ واهية مجملة مستترة المعنى والمفهوم محاولين الإيحاء أنها من شرع الله .

أما عن مرجعية الأمم المتحدة ومنظماتها ومؤتمراتها « تآمراتها » الداعية لتحرر المرأة، فهذا وصمة عار فى تاريخ تلك المنظمة الدولية ، التى أنشئت فى الأصل لسلام العالم وقد تبين أنها أنشئت لقيادة الدول العظمى للدول الصغرى وحربها وإبادتها ، وأيضا المساعدة فى نشر الفواحش تحت مسمى حرية المرأة ، والمساواة ، وحرية الجسد وغير ذلك . إن ما تتخذه هذه التآمرات الدولية « لا المؤتمرات » من أساليب لغوية وفكرية لتزيين الباطل لإخفاء قباحته ، ولتقبيح الحق لحجب رونقه وحُسنه وجماله ، ليفوق أساليب الشيطان الرجيم فى إغواء البشر وإغرائهم للتخلى عن الفضائل والتمسك بالرذائل ، فشياطين الإنس تفوقوا بجدارة علي شياطين الجن ، وقال الله تعالى عنهم : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً﴾ [الأنعام : ١١٢] ومن هذه الأساليب :

* التلاعب بالألفاظ وتحريف الكلم عن مواضعه ، وخلق مصطلحات إباحية جديدة : « وقد بلغت الجرأة بواضعى برنامج عمل مؤتمر بكين ، أنهم لم يكتفوا بترديد قضاياهم الخاسرة ، بل تمادوا فى غيهم ، وزادوا من لجاجتهم ، موغلين فى اللعب بالألفاظ ، وفى تحريف الكلم عن معناه إلى المعنى الذى يتطلعون إليه ، مفهوم الصحة الإنجابية « Reproductive and sexual Health » حمل فى دلالته الإباحية والفسق Licen/ tiouaness ، استخدام كلمة مضاجعة المثيل بدلاً من كلمتى اللواط sodomy والسحاق Lesbianism [1] .

واستخدام كلمة : ممارسة المتزوجين للجنس مع غير أزواجهم : Extramari-

(١) مجلة الأزهر عدد شهر ربيع الثانى ١٤١٦ هـ « بيان مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف» .

tal sex بدلا من زنا المحصن Adultery كاستخدامهم كلمة نوع GENDER عشرات المرات بمعان محرفة ترمى إلى إلغاء الفوارق بين الذكورة والأنوثة ، وتحويل الإنسان إلى مسخ ، لا هو بالذكر ولا هو بالأنثى ، وذلك مع الإيهام ببراءة القصد وسلامة الهدف » .

* كما خلقت مصطلحًا جديدًا هو « الأسرة وحيدة الوالد » أى التى لا يوجد بها سوى الأم ، لعدم معرفة من هو الأب ، فالأب لكثرة العشاق غير معروف وقد طالبت هذه التآمرات بالاعتراف بها ، وعدم النظر للمرأة كعاهرة أو زانية ، وبالتالى الاعتراف بالحمل والولادة من سفاح من زنا ، وتحليل الاتصال الجنسى الغير شرعى بين المرأة وأكثر من رجل فى وقت واحد أى التعدد للمرأة فى حرام وهم يهاجمون الإسلام للتعدد بالزواج الشرعى ، وأطلقوا على ذلك «Sengle - parent - family» وعلى ذلك إذا أردنا العودة إلى مقاييس العفة والشرف التى أوضحها لنا الدين ، فلابد من التخلص من القوانين الدولية والتآمرات التى تتم ضد الأديان كلها لا الدين الإسلامى فقط ، وندعوه تبارك وتعالى كما قال فى قرآنه الكريم : ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** ﴾ [البقرة: ٢٨٥] .

ولو أنصفت الأمم المتحدة ومنظماتها لاتبعت تعاليم الإسلام المنظمة شتى مناحى الحياة واتبعت رسول الله ﷺ الذى قال له ربه : ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا** ﴾ [النساء : ١٠٥] .

ثالثا : تعديل القوانين فى بلاد الإسلام من وضعية إلى إسلامية

قد يعجب البعض ويفقد الثقة فى كل شىء يظن فيه المثالية والقدوة لو علم أن القوانين الوضعية فى أغلب الدول العربية ما عدا ما يعد على جزء من أصابع اليد الواحدة ، قوانين تدعو للفسق والفجور ومع ذلك يتغنى بها دعاة تحرر المرأة ، ويدعون أنها قوانين متحضرة وأكثر إنسانية من القوانين الإلهية فها هى فريدة النقاش تقول عن قوانين الأحوال الشخصية فى تونس :

« باستثناء القانون التونسى فإن كل قوانين الأحوال الشخصية فى الوطن العربى تقوم على التمييز » [1] .

ولنا أن نتساءل عن القانون فى تونس ومدى ارتباطه بالإسلام يقول أ.د. يوسف القرضاوى .

« ففى حين خول « بورقيبة » بقاء صفة الإسلام القائمة فى الدستور للدولة ، جعل ولايته على الإسلام وعلى مساجده ومدارسه ومعاهده وأئمته، حتى استطاع أن يغلق جامع الزيتونة العريق ، ويؤمم الوقف والمساجد ، ويغلق الكتاتيب ، ويدعى الاجتهاد فى الدين ، ويزعم أنه أمير المؤمنين » [2] .

فقد حرم القانون التونسى ما أحل الله من تعدد الزوجات فجاء بالقانون : تعدد الزوجات ممنوع كل من تزوج وهو فى حالة الزوجية ، وقبل فك عصمة الزواج السابق يعاقب بالسجن لمدة عام وبخطة « أى غرامة مالية قدرها ٢٤,٠٠٠ فرنك » [3] .

والعجيب أنه فى نفس الوقت أباح الزنى ، فقد ضبط رجل متزوج من امرأة سرًا عندها ، فلما قبضت عليه الشرطة ، أنكر الزواج وقال أنه عشيقها ، أى خليلها وليس حليلها . . فأطلقت الشرطة سراحه، باعتباره لم يخالف القانون » [4] .

---

(١) حدائق النساء فى نقد الأصولية ص٣٧ .

(٢ ـ ٣) أ.د. يوسف القرضاوى : التطرف العلمانى فى مواجهة الإسلام ص١٣٨، ١٤٠ .

(٤) المرجع السابق ص١٤١ والقصه مختصرة عن رواية للإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود سمعها منه أ . د . القرضاوى .

والأعجب بل الأدهى والأمر « أن هناك دعوى فى تونس لتحريم صيام شهر رمضان لأنه يقلل الإنتاج ، ويعوق تقدم تونس ونهضتها هذا وقد حرم القانون فى تونس الزى الشرعى للمسلمات بمقتضى المنشور ١٠٨ بدعوى أنه لبس طائفى يرمز إلى مذهب متطرف هدام ، ومما جاء فى هذا المنشور : « إن من واجبات العون « المساعدة » سواء بالإدارة أو بالمؤسسات العمومية ومن الجنسين دوام التحلى بالمظهر اللائق الذى يحفظ له احترامه ، وللإدارة هيبتها سيما وأنه يحمل أمانة تمثيل الدولة . . . . يجدر التنبيه إلى ظاهرة أخرى تتمثل فى الخروج عن تقاليدنا الهندامية المتعارفة لدى العموم!!! وفى البروز بلحاف يكاد يكتسى صبغة الزى الطائفى !! المنافى لروح العصر!! وسنة التطور السليم !! والتعبير من خلال ذلك عن سلوك شاذ !! » (١) .

انظر أخى المسلم الزى الشرعى « الحجاب » أصبح سلوكًا شاذًا ،لأنه يمثل صبغة طائفية « أى شكل طائفى » ، وهل القبعة الغربية لا تمثل صبغة طائفية ، والسارى الهندى ، والبدله الغربية ؟!! لقد وصل التخلى عن الإسلام وتعاليمه فى تونس مرحلة لا يقبلها عقل وأى عقل ؟!

المنشور ٢٩ : يقضى بإلغاء جميع المصليات والمساجد بالدوائر الخاصة والعمومية بما فى ذلك مساجد الجامعات والمعاهد والسجون والمستشفيات والموانئ والمصانع والإدارات . . . الفصل ٥ من قانون المساجد : يحظر القيام بالدروس والإملاءات القرآنية فى المساجد ، وتوقيع عقوبات مشددة على المخالفين » (٢) .

ومع حرب هذه القوانين للإسلام يتغنى بها دعاة التحرر !!! وقد تحرقنا الدهشة فى سكون إذا علمنا أن فى مصر أيضا قوانين وضعية يمكن وصفها « بالوضعية » تشجع على الفجور والزنى « م ٣٧٢ من قانون العقوبات : لا يجوز محاكمة الزانية إلا بناء على دعوى زوجها . . .

م ٢٧٤ : « المرأة المتزوجة التى ثبت زناها يحكم عليها بالحبس مدة لا تزيد عن

---

(١) المرجع السابق ص١٤٨ ـ ١٥٠ باختصار .

(٢) المرجع السابق ص١٥٢ باختصار .

سنتين ، لكن لزوجها أن يوقف تنفيذ هذا الحكم برضائه معاشرتها . . .

وبدراسة هاتين المادتين يتضح أنهما لا تتفقان مع أحكام الإسلام المحاربة للزنا ، والتى توجب الرجم للثيب المتزوجة ، والجلد لغير المتزوجة ، باعتبار أن هذا حق للمجتمع وليس للأفراد وبالتالى فليس للزوج حق رفع الحد عنها .

هذا وقد جاء عن م ٩ ق ١٠ بشأن مكافحة الدعارة :« يعاقب بالسجن مدة لا تقل عن ثلاثة أشهر ولا تزيد عن ثلاث سنوات ، وبغرامة لا تقل عن خمسة وعشرين جنيها ولا تزيد عن ثلاثمائة جنيه أو بإحدى هاتين العقوبتين كل من اعتاد ممارسة الفجور والدعارة » .

ومعنى المادة يوضح أن التحريم « قائم على شرط اعتياد الدعارة أى القيام بالزنى أكثر من مرة ، ومع أكثر من رجل ، كما أن العقوبة ليست من شرع الإسلام »[1] .

وكل هذه القوانين وغيرها أباحت الزنى بالتراضى ولم توجب التحريم والعقوبة إلا على الزنا بالإكراه « الاغتصاب » ، ومن استعراض ما سبق وهو قليل من كثير تفشت عدواه أكثر الدول الإسلامية ، نقول هل يمكن العودة إلى الدين وأحكام الدين مع بقاء تلك القوانين اللادينية ؟! بالقطع لا ومليار لا . . . ولا نتمنى أن يتحقق فينا ما تحقق فى الغرب الذين نسوا الله وشريعته : ﴿**وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [الحشر : ١٩] .

---

(١) انظر كتابنا : تحرير المرأة بين الأديان السماوية ودعاة التحرر .

رابعًا : ضرورة السيطرة على الإعلام وتوظيفه لخدمة الدين

الإعلام ووسائله : هو أخطر وسيلة لغسل مُخ البشر ثم زرع ما يُراد فيه من آفكار مسمومة أو مبادئ صحيحة ، وتأثير ذلك تعدى الأفراد والجماعات إلى الدول والحضارات ، فالإعلام يمكنه قلب الحقائق وتحويل الباطل حقا والعكس .

والحقيقة أن الإعلام اليوم فاق فى تأثيره عمل الأنبياء ـ وليسامحنى الله فى التعبير فقد غير مفاهيم البشر بالمليارات ، وللأسف فالإعلام تخصص منذ تطوره الكبير فى هدم الأخلاقيات السامية والمبادئ الرفيعة وبناء صرح واه من الأخلاقيات المنحطة ، والمبادئ الوضعية ، ومن السُبل المحققة لذلك الإساءة إلى الأديان ومحاولة نزعها من القلوب والقضاء على أحكامها من العقول .

« وأصل لفظ الإعلام من ماده عَ لَ مَ وهى تأتى بمعنى الظهور والوضوح ومنها «علم » أى جبل ، وعَ لِ مَ الشىء بالكسر يعلمه علمًا أى عَرَفَهُ ، ورجلُ « علامة» أى « عالم » جدا والهاء للمبالغة و « استَعْلَمَهُ » الخبر « فأعلمه » إياه . . ويقال أيضا «تَعَلم بمعنى « أعْلم » ، قال ابن السكيت : تعلمت أن فلانا خارج أى علمت» (١) .

إذن أصل الإعلام هو التعَلم والإيضاح والإخبار بالشىء ، إيصال المعلومات للغير.

والملاحظ أن الإعلام الآن لم يقتصر دوره على إيصال العلم أو المعلومات ، ولكن تعدت أنشطته ذلك إلى نشر السفور والفجور ، تحت مسميات عدة منها ، الموضة من ملابس عادية ، وزينة فاجرة متنوعة الأشكال والأنواع من القدم حتى شعر الرأس ، وأيضا الفن من موسيقى وتمثيل وغناء ورقص وغير ذلك مما تعدى المعقول والمقبول إلى الشاذ المنبوذ ، ونظرًا لأن ذلك كله وغيره يتعارض مع تعاليم الأديان فكان لابد من الإساءة إلى الأديان ونبذها إعلاميا ، وتسخير كل وسائل الإعلام المتاحة لتحقيق هذا الغرض .

---

(١) مختار الصحاح ـ طبعة دار المعارف مادة عَلَمَ ، ص٤٥١ .

والواقع أن هذه الجرائم ليست من قبيل الصدفة ، ولكنها تخطيط صهيونى طويل المدى بدأ ببداية ظهور وسائل الاتصال السريعة فى القرن الماضى ومستمرة حتى الآن، فقد كان من أهداف بروتوكولات حكماء صهيون .

١ ـ الدعوة لنبذ الأديان السماوية والعقائد (١) :

« حيث يؤمن اليهود أنهم شعب الله المختار ، وأن الله هو إلههم فقط وليس لغيرهم ، ولذلك كان دعاة نبذ الأديان والإلحاد والعلمانية هم اليهود ، فماركس هو القائل : « الدين أفيونة الشعوب ، ومبادئه الاقتصادية الاشتراكية التى تقوم على الغاء الدين من الحياة بأكملها ، وغيره كثيرون وهم يبررون ذلك » لو أن الحرية كانت مؤسسة على العقيدة وخشية الله ، وعلى الأخوة الإنسانية ، نقية من أفكار المساواة التى هى مناقضة مباشرة لقوانين الخلق ، والتى فرضت التسليم ، وأن الناس محكومون بمثل هذا الإيمان سيكونون موضوعين تحت حماية كنائسهم « هيئاتهم الدينية»، وسيعيشون فى هدوء واطمئنان وثقة تحت إرشاد أئمتهم الروحيين ، وسيخضعون لمشيئة الله على الأرض ، وهذا هو السبب الذى يحتم علينا أن ننزع فكرة الله ذاتها من عقول المسيحيين، وأن نضع مكانها عمليات حسابية وضرورات مادية » .

ومن أساليب تحقيق هذا الهدف قولهم فى البروتوكولات :

« لقد بذرنا الخلاف بين كل واحد وغيره فى جميع أغراض الأمميين الشخصية والقومية ، بنشر التعصبات الدينية والقبلية خلال عشرين قرنًا ثم الحط من شأن الدين ورجاله والاستهزاء بهما » .

« وقد عنينا عناية عظيمة بالحط من رجال الدين من الأمميين فى أعين الناس وبذلك نجحنا فى الإضرار برسالتهم التى يمكن أن تكون عقبة فى طريقنا ، وأن نفوذ رجال الدين على الناس يتضاءل يوما بعد يوم ، اليوم تسود حرية العقيدة فى كل مكان ولن يطول الوقت إلا سنوات قليلة حتى تنهار المسيحية بددا ، انهيارًا تاما وسيبقى ما

---

(١) زكى على السيد أبو غضة : الإرهاب فى اليهودية والمسيحية والإسلام والسياسات المعاصرة، ص٨٥ وما يليها ، مكتبة الوفاء بالمنصورة ـ طبعة ٢٠٠٢م .

هو أيسر علينا التعرف مع الديانات الأخرى ، سنقصر رجال الدين وتعاليمهم على جانب صغير من الحياة ، وسيكون تأثيرهم وبيلاً مسيئا على الناس حتى أن تعاليمهم سيكون لها مناقض للأثر الذى جرت العادة بأن يكون لهم » .

ثم يأتى بعد ذلك دور الإساءة للأديان وعلمائها والدعاية لذلك « سنوجه عناية خاصة إلى الأخطاء التاريخية للحكومات الأممية التى عذبت الإنسانية خلال قرون كثيرة النقص فى فهمها أى شيء يوافق السعادة الحقة للحياة الإنسانية ، وببحثها عن الخطط المبهرجة للسعادة الاجتماعية » (١) .

وسيفضح فلاسفتنا كل مساوئ الأديان الأممية ، ولكن لن يحكم أبدًا على دياناتنا من وجهه نظرها الحقة ، أو لن يستطاع لأحد أن يعرفها معرفة شاملة ، إلا شعبنا الخاص الذى لا يخاطر بكشف أسرارها » (٢) .

وقد استغلت الآداب فى تحقيق هذه الغاية : « وقد نشرنا فى كل الدول الكبرى ذوات الزعامة أدبا مريضا قذرا يغشى النفوس ، وسنستمر فترة قصيرة بعد الاعتراف بحكمنا على تشجيع سيطرة مثل هذا الأدب » (٣) .

والنتيجة النهائية المرجوة هى حكم العالم :

« حينما نمكن لأنفسنا فنكون سادة الأرض ـ لن نبيح قيام أى دين غير ديننا ، أى الدين المعترف بوحدانية الله . الذى ارتبط باختياره إيانا كما ارتبط به مصير العالم ، ولهذا يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان ، وتكون النتيجة المؤقتة لهذا هى إثمار ملحدين ، فلن يدخل هنا فى موضوعنا ، ولكنه سيضرب مثلا للأجيال القادمة التى ستصغى إلى تعاليمنا على دين موسى الذى وكل إلينا واجب إخضاع الأمم تحت أقدامنا وهم يتوهمون أنه قد مضى الزمن الذى كانت الديانة فيه هى الحاكمة .

٢ ـ تملك وسائل الإعلام والتحكم فيها كما وكيفا :

يؤمن اليهود والصهيونية بأن الصحافة والإعلام من الفنون الرئيسية التى تؤدى إلى اختلال الأمم والتأثير على سلوك الأفراد والجماعات والحكومات إذا خطط لذلك

(١ ، ٣) البروتوكول الرابع عشر .

بعناية وأيضا لكسب المال .

الصحافة التى فى أيدى الحكومة القائمة هى القوة العظيمة التى بها يحصل على توجيه الناس غير أن الحكومات لم تعرف كيف تستعمل هذه القوة بالطريقة الصحيحة فالصحافة تبين المطالب الحيوية للناس ، وتعلن شكاوى الشاكين ، وتولد الضجر أحيانا بين الغوغاء [١] .

« فالأدب والصحافة هما أعظم قوتين خطيرتين ، ولهذا السبب ستشترى حكومتنا العدد الأكبر من الدوريات « وسائل النشر المختلفة » « الدور الذى تلعبه الصحافة فى الوقت الحاضر ؟ إنها تقوم بتهييج العواطف الجياشة فى الناس ، وأحيانا بإثارة المجادلات الحزبية الأنانية التى ربما تكون فارغة ، ظالمة زائفة ومعظم الناس لا يدركون أغراضها الدقيقة أقل إدراك ، إننا سنسرحها وسنقودها بُلجُم حازمة ، وسيكون علينا أيضا أن نظفر بإدارة شركات النشر الأخرى ، فلن ينفعنا أن نهيمن على الصحافة الدورية بينما لا تزال عرضة لهجمات النشرات والكتب ، وسنحول إنتاج النشر الغالى فى الوقت الحاضر موردا من موارد الثروة والربح لحكومتنا » [٢] .

والتحكم فى الصحافة ودور النشر ورجالهم سيمكن اليهود من التحكم فيما ينشر من عدمه ، من أخبار ووقائع، وثقافات ، ثم تؤول وتفسر وفق مشيئتهم ومصالحهم .

« ولن يصل طرف من خبر إلى المجتمع من غير أن يمر على إدارتنا . فالأخبار تتسلمها وكالات قليلة . . ولن ننشر إلا ما نختار نحن التصريح به من أخبار . . . والقنوات التى يجد فيها التفكير الإنسانى ترجمانا له ستكون خالصة فى أيدى حكومتنا التى ستتخذها هى نفسها وسيلة تربوية . . نحن أنفسنا سننشر كتبا رخيصة الثمن كى نعلم العامة ونوجه عقولها فى الاتجاهات التى ترغب فيها » [٣] .

---

(١) البروتوكول الثانى .

(٢) البروتوكول الثانى عشر .

(٣) بروتوكولات حكماء صهيون ، ص٢١٧ ـ ٢١٩ البروتوكول الثانى عشر ، ويلاحظ تيقن ذلك حرفيا فكل وكالات الأنباء العالمية ومحطات التليفزيون ودور النشر العالمية وكبار الكتاب ملك لليهود ، وأيضا أقمار الاتصالات الصناعية ومراكز إنتاج الأفلام والمخرجين والأبطال العالميين كلهم يهود ويعملون تحت إمرتهم .

٣ ـ السيطرة المالية والاقتصادية على العالم بأسره :

فهم أصحاب أغلب البنوك وبيوت المال فى العالم ، وأصحاب الشركات العالمية فى كل مجال بداية بشركات العطور ومواد التجميل ، إلى تجارة السلاح مرورا بتجارة الأدوية ، والمخصبات الزراعية وتجارة الجنس ، الملاهى الليلية ، علم وتجارة القمار ، تجارة المخدرات ، تجارة الذهب والماس والأحجار الكريمة ، وهم ملاك المناجم وأصحاب السيطرة عليها ، أصحاب الموضة وبيوت الأزياء ، صناعة وتجارة السيارات والطائرات وغيرها .

٤ ـ السيطرة الثقافية والإعلامية :

فهم أصحاب وتجار صناعة السينما ، ودور النشر العالمية ، ووكالات الأنباء العالمية، والمحطات الفضائية الكبرى ، والنظريات الثقافية المبتكرة وشركات الإعلام والإعلان.

٥ ـ السيطرة السياسية والعسكرية والتأثير على متخذى القرار الكبار :

فاللوبى اليهودى فى أمريكا هو المحدد الأول للسياسة الأمريكية وأيضا فى روسيا وفرنسا وألمانيا وجميع دول العالم .

ويوضح « بول فندى » تأثير الساسة الإسرائيليين على اتخاذ القرار فى أمريكا فيقول : « إن تأثير رئيس الوزراء الإسرائيلى على السياسة الخارجية الأمريكية فى الشرق الأوسط يفوق بكثير تأثيره فى بلاده ذاتها » .

وفى صحيفة واشنطن بوست ١٠/٦/١٩٨١ م جاء فى مقال عن تأثير اليهود فى اختيار الرئيس الأمريكى :

« وفى عام ١٩٧٦ م حصل كارتر على أصوات ٦٨ ٪ من اليهود ولكنه لم يحصل فى عام ١٩٨٠ م إلا على ٤٥٪ منها لأنه قام خلال هذه الفترة ببيع شحنة طائرات طراز « إف ١٥ » لمصر ، وشحنة طراز « OX » للسعودية ، ورغم تأكيده على أن هذه الطائرات لن تستخدم أبدا ضدا إسرائيل وأن الجيش الأمريكى يراقب ويدير نظم تشغيلها من الأرض ، وقد تفوق ريجان فى المعركة الانتخابية عام ١٩٨٠م . . .

وأعطى إسرائيل ٦٠٠ مليون دولار مساعدات خلال سنتين » (١) .

ومن الجدير بالذكر أن هذه القوة ليست وليدة اليوم ولكنها سياسة دائمة وثابتة منذ عهد بعيد ، ويقول « هرتزل » فى رسالته إلى « سيسيل روديس » (٢) : « لدينا منظمات بكل لغات الحضارات ووجودنا ضرورى وحتمى ولا تستطيع أى حكومة أن تقف ضدنا ، حتى الحكومة الروسية ، وفى إنجلترا لدينا الكثير من الأصدقاء المسيحيين، وفى الكنيسة وفى الصحافة ، وفى مجلس العموم وعد ٣٧ عضوا بمساندة الصهيونية » (٣) .

فلا عجب أن تنساق السياسة العالمية لرغبات وأهواء وصالح اليهود ، فهم وراء كل حرب ودمار ، هم أساس كل مبدأ هدام ، وهم مغتصبو خيرات الشعوب ، ومحتقروا الأديان والعقائد السماوية وغيرها وأساس التفرقة العنصرية وهضم حقوق الإنسان ، وأصل كل كذب ورياء فالظاهر مضىء والباطن مظلم حقير وباختصار كل فجور ورذيلة أمامه وخلفه وحوله وأسفله يهودى .

وعلى ذلك لو أراد العالم مقاومة أفكار ومبادئ دعاة التحرر الهدامة والتى هى مرآة للفكر اليهودى العنصرى الصهيونى وليس الفكر الدينى المعتدل ، فلابد من إعادة التحكم فى وسائل الإعلام والإعلان والفنون .

وقد أوضح الله عز وجل أهمية إبلاغ رسالاته والإعلان والإعلام بها لجميع أنبيائه فقال فى التوراة لموسى ـ عليه السلام ـ آمرًا إياه تبليغ رسالته « (١٤) فقال الله لموسى « أهيه الذى أهيه ، وقال : هكذا تقول لبنى اسرائيل : أهيه « الله » أرسلنى إليكم ، (١٥) » وقال الله أيضا لموسى : « هكذا تقول لبنى إسرائيل يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب أرسلنى إليكم » [الخروج : ٣ : ١٤ ـ ١٥] وقال عن مضمون الرسالة الإعلامية الإلهية :

---

(١) روجيه جارودى: الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ص٩٢ دار الشروق بالقاهرة .

(٢) تاجر استعمارى استطاع إنشاء شركة امتيازات خاصة وسميت دولة إفريقية فى الجنوب باسمه « روديسيا » وطبعا يهودى الأصل .

(٣) محاكمة جاروري : دار الشرق بالقاهرة ص٢٨ .

« ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلا [1] : « انا الرب إلهك الذى أخرجك من ارض مصر (٣) لا يكن لك آلهة أخرى امامى (٤) لا تضع لك تمثالاً منحوتًا » [الخروج : ١ ـ ٤] .

وقد أبلغ موسى ـ عليه السلام ـ الرسالة لقومه : « والآن أصغوا يا بنى إسرائيل إلى الشرائع والأحكام التى أعلمها لكم لتعملوا بها فتحيوا . . . (٦) فاحفظوها واعملوا بها» [التثنية ٤ : ١ ، ٦] .

هذا وقد أعطى له موسى التوراة الأصلية المكتوبة : « ثم أعطى الله موسى . . . لوحى الشهادة ، لوحى حجر مكتوبين بإصبع الله » [2] [خروج ٣١ : ١٨]

إذن أعلم الله موسى وكلمه وأوصله رسالته مسموعة أولاً ، ثم مكتوبة لتقرأ وتحفظ ، وهى رسالة بر وتقوى وليست فجور ومعصية ـ كرسالات دعاة التحرر ـ ثم أبلغها موسى ـ عليه السلام ـ لقومه وأمرهم بحفظها والعمل بها . وجاء عنه بالقرآن الكريم : ﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف : ١٤٤ ، ١٤٥] .

وهكذا كانت رسالات كل الرسل وإن لم تكن لهم كتب [3] :

فها هو نوح يبعث رسالة إعلامية لقومه فيقول :

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٦١) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف : ٦٢] وهذا هود ـ عليه السلام ـ يقول لقومه : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٦١) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٦٧ ، ٦٨] .

---

(١) محاكمة جارودى ، دار الشرو بالقاهرة ، ص٢٨ .

(٢) هذه أطلق عليها الله فى القرآن الكريم « الألواح » وهى التوراه الأصلية حسب المفهوم الإسلامى.

(٣) الكتب السماوية ـ حسب المفهوم الإسلامى ـ التوراة ـ الإنجيل ـ القرآن الكريم إضافة إلى : صحف إبراهيم وموسى « التوراة » ، الزبور .

هذا وقد كانت أغرب وسيلة إعلامية منذ آلاف السنين تعدت الموطن إلى موطن آخر وحضارة أخرى « نظام العولمة » تلك التى قام بها هدهد سليمان عليه السلام ، لدعوة بلقيس بأمر من نبى الله الذى أمره قائلا : ﴿ **اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ** ﴾ [النمل : ٢٧] .

هذا وقد أمر الله جل وعلا رسوله الكريم ﷺ : « بالدعوة إليه فقال تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا** ﴾ [الأحزاب : ٤٥ ، ٤٦]

كما أمره بضرورة إبلاغ الرسالة أى إيصالها دون تقصير فقال العلى القدير : ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ﴾ [المائدة : ٦٧] .

ورسالة الرسول ﷺ هى رسالة إصلاح وطهارة وليست رسالة إفساد ونجاسة ، كرسالات دعاة التحرر الغير دينى ، وهى رسالة إلهية منحة وهدية ومنَة : ﴿ **لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ** ﴾ [آل عمران : ١٦٤] .

وهى رسالة للناس كلهم فى مشارق الأرض ومغاربها : ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا** ﴾ [الأعراف : ١٥٨] وقد أمر المؤمنين بسائر الأديان باتباع شريعة الإسلام : ﴿ **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ** ﴾ [الأعراف : ١٥٧].

إذن مهمتنا كمسلمين هى السيطرة على وسائل الإعلام والإعلان والدعوة إلى دين الله وهو الإسلام﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ** ﴾ [آل عمران : ١٩] فهو الدين الحق الذى يأمر بمكارم الأخلاق ، وإعزاز وإكرام المرأة وحفظ عرضها وصيانه شرفها وأيضا إعزاز الرجل وحفظ شرفه لأنه دين الحق وما دونه الباطل : ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ** ﴾ [لقمان : ٣٠] .

ولو أطعنا الدعوات الفاجرة لعم الفساد وزاد : ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِن ﴾ [المؤمنون : ٧١] .

وهم يدعون بلا علم ولا تبصر ولا بصيرة ، ولكن التفكير الأعمى : ﴿وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ [النجم : ٢٨] .

والأمر مفروض لله ورسوله وللمسلمين : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [الجاثية : ١٨] اللهم اهدنا واهد بنا واجعلنا الوارثين الممكنين فى الأرض حتى ندعوا إليك : ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ [الحج : ٤١] .

المبحث الثالث

إعادة آداب الحجاب كما جاءت بالأديان

توطئة :

بعد استعراضنا لآداب الحجاب فى الأديان السماوية مفصلة ، وما وصل إليه العالم أجمع شرقًا وغربًا شمالاً وجنوبًا ، من بلايا وأمراض شملت كل مناحى الحياة، من اقتصادية واجتماعية وأخلاقية وصحية ودينية ، فلابد أن يتعاون رجال الدين ، كل دين ، ورجال الاجتماع ، ورجال القانون ، والمفكرون فى البلاد الغير دينية ، وذلك الأخطبوط المخيف العنيف الذى يسمى بالإعلام ، كل أولئك يجب أن يتعاونوا معا ، لإعادة تنظيم الحياة الاجتماعية للمرأة ، باعتبارها هى أساس المجتمع ، بما يتوافق مع أحكام الأديان كلٌ حسب إيمانه ومعتقده ، ويجب أن يشمل ذلك الآداب الآتية :

أولاً : آداب الملبس « الزى » وإبداء الزينة .

ثانيًا : آداب عمل المرأة .

ثالثا : آداب الاختلاط .

مع مراعاة أن كل أدب أو حكم شرعى يرتبط بالآخر ارتباط السوار بالمعصم ، فإن اعتصمنا بأوامر الله ، فسيعود العالم بأسره لحلم كبير وعظيم وسامٍ وهو عودة السكن والمودة والرحمة للبيوت ، والقضاء على البطالة - إلى حد ما للذكور - وعودة الأخلاقيات الرفيعة من بعد سُبات للوجود .

أولاً : آداب الملبس « الزى » وإبداء الزينة

يستمر دعاة التحرر بالمبالغة فى إظهار العورات وإبداء الزينة الطاغية للنساء ، ويرون فى ذلك حرية شخصية للمرأة ، لا يجب المساس بها أو الإشارة إليها باعتبارها من الحقوق الإنسانية ، فالمرأة حرة فى جسدها تظهر منه ما تشاء وتخفى منه ما ترغب، والواقع أن جسد المرأة ليس ملكا لها ولكنه ملك لخالقها ، ودليل ذلك أنه يستطيع سلب هذا الجسد منها متى شاء فيدفن فى التراب ويرجع لأصله وهو التراب .

ومن الحقائق أن إبداء الزينة ومنها الملبس قد تضمنتها الكتب السماوية الثلاث ومع ذلك فقد ابتعد الجميع عنها باسم حرية المرأة وتحت شعار الموضة وفى ظل مفهوم التحضر، تخرج المرأة حاليا مسفرة الوجه ، ملونة كل جزء فيه وكأنه لوحة زيتية ، فالعيون لها لون والجفون لها آخر ، والخدود لها ألوان ، والشفاه متنوعة الأشكال مختلفة الأصباغ حتى أنها غطيت باللون البنى والأسود !! وقد تعدى سُعار الزينة التزين بالأصباغ ، فأصبح بإجراء الجراحات التجميلية التى تغير شكل العيون والأجفان وتملء الخدود بالمواد الصناعية لتبرز استدارتها . وقد نهى الله عز وجل عن ذلك فقال: **﴿إِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا (١١٧) لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (١١٨) وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾** [النساء : ١١٧-١١٩] .

أما عن الشعر ، فسادت الباروكات والوصلات واخترع المزيد من الألوان ، وقد نهى الرسول ﷺ عن ذلك فقال : « لعن الله الواصلة والموصولة » الحديث متفق عليه .

والأغرب والأعجب والأحط القيام بجراحات لا لزيادة حجم واستدارة النهود ، ولكن إجراء جراحات لإزالة اللحم من بين الأفخاذ لإظهار العورات وتجسيمها وتجسيدها . وكأن المرأة تقول انظروا يا رجال لما خفى منى ، قد أظهرته لكم لتعلموا مواهبى وتعلموا إباحيتى . وكذا بالنسبة للمقعدة وأجزاء الجسد الخلفية .

أما بالنسبة للزى والملبس ، فلم تعد النساء تراعى فيه أحكام أى دين أو حتى خلق قويم عفيف ، فساد العرى كافة الأجزاء ، ولم تستح الكثير من النساء وأقول الغالبية العظمى من إظهار الذراع وتحت الإبط بما فيه من شعر والرقبة والأكتاف والظهر حتى الصدر « النهدين » بكاملهما تقريبا « والموضه الآن اظهار منطقة الوسط بما فيها السُرة ناهبك عن قصر الملابس حتى ظهرت الملابس الداخلية التى تغطى ينبوع الحياة والحياء إلى العيان . فلم يعد الحياء خُلقا وستر الجسد فضيلة .

أما من ادعى الحشمة والوقار فقد ارتدى البدل من بنطلون وجاكت والتى كانت تستر أجساد النساء ، فالجيب الطويل والبنطلون الواسع يستر العورات ويحمى أجساد النساء من تهافت العيون ، وما لبث أن قصر الجيب أو الجاكت وضاق البنطلون حتى أظهر ما فُرض ستره ، وتم اختراع موضات لتفاصيل ملابس تظهر عورة المرأة كأنها مجسدة تنادى كل راغب وتدعو كل طالب للاشتهاء بالنظر أو الزنى بالتراضى أو الاغتصاب .

كل ذلك وغيره أدى إلى فساد الشباب من الجنسين وزيادة حالات الزنا بأنواعه والاغتصاب ومشاكله وآثامه والواقع أن المسؤولية على المرأة لا تنكر ، فالسفور والفجور والتبرج وإبداء الزينة والمغالاة فيها تقليداً للراقصات والممثلات الذين أطلق عليهن لقب النجوم ومعظمهن عاهرات ، وللمذيعات فى وسائل الإعلام المرئية بالذات واللاتى أصبحن ـ إلا القليل ـ كالراقصات،أدى إلى هياج الشباب وعدم ضبط النفس.

« يقول الأديب الكبير مصطفى الرافعى : « إذا كنت أعاقب من يغازل البنات مرة، فأنا أعاقب الفتاة مرتين لأنها كشفت اللحم للقط » ثم ما ذنب ذلك الذى تزوج بامرأة ليست على قدر من الجمال أن يرى أمامه امرأة متكشفة باستمرار أكثر من تكشف زوجته أمامه ترى ألا يؤثر ذلك على معاملته لزوجته فيزهد بها ويفترحبه لها وينعكس هذا الشعور على علاقته بها ، ما ذنب تلك الإنسانة أن يُحرض زوجها عليها عن غير قصد فينغص عليها معيشتها ، ثم ما ذنب أولئك المقلدات اللواتى يتطلعن لتقليد من يعجبن بمظهرهن فينزلقن من أول الطريق وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة » إذن فالنتيجة

العلمية للقاء الجنسين الشد والجذب نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء والنظرة سهم من سهام إبليس وسهام إبليس صائبة حذرنا منها الله ورسوله قال تعالى: ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا** ﴾ [النور : ٣٠ ـ ٣٥] ، فإذا تهاون النساء فى الحجاب والاحتشام قل حياؤهن وازداد استهتارهن وزاد الطامعون بهن والمطاردون لهن غلظة ووقاحة وسفاهة. ولقد ساعدت برامج التلفزيون على إتقان صناعة الغزل ومعاكسة الفتيات فساهمت فى انتشار الفساد وشيوع الفاحشة وإنا لله وإنا إليه راجعون » (١) .

هذا وقد أوضح العميد حسن العادلى مدير مكافحة الجرائم بالجيزة: « إن السبب فى انتشار المعاكسات هو التيارات الفكرية الواردة من الخارج وانتشار أفلام الفيديو ونوادى الديسكو والرقص وعرض الأفلام الخليعة والحالة الاقتصادية التى تسبب إحجام الشباب عن الزواج ونقص الوازع الدينى وضعف العلاقة بين الآباء والأبناء.

وتشترك الفتيات فى المسؤولية بسبب مبالغتهن فى الماكياج وعدم الالتزام بالزى والسلوك المحتشم وتشجيع الشباب بالنظرات والكلمات الجريئة » (٢) .

هذا وقد آمن الغرب بضرورة التحجب .

قال مدير مركز البحوث بجامعة هارفرد تحت عنوان الثورة الجنسية : « إن أمريكا سائرة إلى كارثة فى الفوضوية الجنسية وإنها تتجه إلى نفس الاتجاه الذى أدى إلى سقوط الحضارتين الإغريقية والرومانية فى الزمن القديم .

وفى عام ١٩٦٢م صرح الزعيم الشيوعى خروتشوف مع أنه لا يؤمن بالفضيلة ولا بحجاب المرأة قائلاً : إن الشباب قد انحرف وأخذه الترف وهدد بأن معسكرات جديدة قد تفتح فى سيبيريا للتخلص من الشباب المنحرف لأنه خطر على مستقبل روسيا .

---

(١) محمد سعيد المبيض : إلى غير المحجبات أولاً ص ٤٢ ـ دار الثقافة بالدوحة ـ الطبعة الأولى ١٩٨٨م .

(٢) المرجع السابق ص٤٣ .

ورد فى جريدة الشرق الأوسط العدد ٢٠٨٦ـ ١٤/ ٧/ ١٩٨٤ ، إن أكثر من ثلث مواليد عام ١٩٨٣ فى نيويورك والبالغ عددهم ١١٢٣٥٣ ، أطفال غير شرعيين وإن أكثرهم ولدوا من بنات لم يتجاوزن التاسعة عشرة .

وفى السويد خرجت النساء السويديات فى مظاهرة ضمت مائة ألف امرأة احتجاجًا على إطلاق الحريات الجنسية بعد أن شاهدت الحالة المتردية التى وصلت إليها المرأة المتحررة ترى ما الباعث إلى هذا الإغراق فى التكشف والإفراط فى التجمل والتأنق غير حرص المرأة على أن تبدو جميلة فى أعين الرجال لتنتزع منهم كلمات الاستحسان ونظرات الإعجاب ورحم الله الشاعر إذ يقول :

خدعوها بقولهم حسناء   والغوانى يغرهن الثناء

قد يقول قائل بل لتظهرأمام النساء بمظهر حسن إذًا فأقول : إن كان كذلك فلتستتر من الرجال فى الشارع والمعمل والمنتزهات وتظهر زينتها لقريناتها فى البيوت وما دامت تظهر جمالها ومفاتنها للرجال فهى مهتمة بإثارتهم وكسب إعجابهم ، وهذا لا يتأتى من امرأة تحترم نفسها وترعى حقوق زوجها وإلا فما معنى هذا الإغراق فى التأنق والزينة.

فلو التزمت المرأة المسلمة بلباس المسلمات ، لما احتاجت لأن تظهر مفاتنها المثيرة وقدها الأهيف وخصرها النحيل ولما شجعت الرجال على التحدث إليها والتصنع معها والخلوة بها .

فحذار يا أختى المسلمة من التهاون بأمر الحجاب فالانحراف يبدأ صغيرًا ثم يكبر ومعظم النار من مستصغر الشرر لأنك إن سرت بهذا الطريق جررت غيرك إليه ، وشجعت الطائشات لسلوكه فإذا ثبت إلى رشدك قد تعودين وحدك ولكنه يصعب عليك أن تعيدى مجتمعًا بأسره وقد انحدر إلى الرذيلة وتاه فى دروب الفساد وبات خطره عليك وعلى التقيات منكن عظيمًا وإن شئت أن تسمعى إلى ما وصل إليه مجتمع التفلت والاستهتار والتكشف والحرية الجنسية فى الغرب ، فاسمعى إلى أقوال المصلحين والعلماء من أبناء ذلك المجتمع » [1] .

إن الاستقامة مطلوبة للصلاح فى الدنيا والفلاح فى الآخرة : **﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾** [الجن:١٦]

---

(١) المرجع السابق ص ٤٣ ـ ٤٥ .

ثانيا : آداب عمل المرأة خارج بيتها « للضرورة»

تؤمن الأديان السماوية الثلاث وكذلك العقائد والقوانين الغير سماوية بأن المرأة خلقت بوظيفة أساسية هى الزوجة والأم ، وقد اختصها الخالق بأجهزة جسمية تناسلية لتحقيق هذا الغرض ، كما منحها خواص خاصة تنفرد بها عن الرجال وتسموا بها عنهم، ألا وهى الصبر والبر والرحمة والحنان وغير ذلك مما يلزم لرعاية النشء وإعمار الأرض.

ونتيجة للدعوات الشاذة المسعورة لتحرير المرأة ، وتحت مفهوم المساواة التامة بين الرجل والمرأة ، ومن خلال شبح مخيف أطلق عليه « إزالة كل أشكال التمييز ضد المرأة» تم توظيف النساء فى أعمال ليست لهن ولا تناسب أنوثتهن وإن نجحن فيها ولكن على حساب الفشل فى الوظيفة الأساسية وهى الزوجة والأم ، كما يتم توظيف النساء بدلاً من الرجال ، فى أعمال ووظائف ؛ الرجل أحق بالعمل بها من المرأة ، لأن الأصل فى كل الأديان والأعراف أن تشارك المرأة فى التنمية عند الضرورة كعمل إضافى بشرط ألا يشغلها عن وظيفتها التى خلقت لها .

وقد أوضحت التوراة أن مهمة المرأة الأولى هى العمل داخل بيتها ، فجاء بها»(١).

* المرأة معينة للرجل أى مساعدة عند الضرورة « سأصنع « أى الله » له « الآدم » معينا مشابها له » [التكوين ٢ : ١٨] .

* المرأة مهمتها : الزوجة والأم : « .... أكثر تكثيرا أوجاع مخاضك فتنجبين بالآلام أولادًا ، وإلى زوجك يكون اشتياقك ، وهو يتسلط عليك» أى له حق الأمر » [التكوين ٣ : ١٦] .

* مهمة الرجل هى الكد والسعى والشقاء والعمل « بعرق جبينك تكسب عيشك حتى تعود إلى الأرض ، فمن تراب أخذت وإلى تراب تعود » [التكوين ٢ : ١٩] .

---

(١) انظر كتابنا : المرأة فى اليهودية والمسيحية والإسلام دار الوفاء بالمنصورة .

فالفقرة السابقة توضح بجلاء أن مهمة الرجل هى العمل طوال حياته هذا وقد أوضحت التوراة عمل النساء فيما يناسبهن من أعمال لإعانة الرجال عند الضرورة وليس لاغتصاب فرص العمل منهن فجاء بها .

* عملت راحيل أم يوسف ـ عليه السلام ـ راعية للغنم « وفيما هو يكلمهم « يعقوب» أقبلت راحيل مع غنم أبيها ، لأنها كانت راعية غنم » [التكوين ٢٩ : ٩] .

* عملت راعوث « اسم امرأة » فى جمع المحاصيل « . . . امكثى هنا لتلتقطى السنابل ولا تذهبى لحقل آخر ، ولازمى فتياتى العاملات فيه » [راعوث ٢ : ٨].

* عملت المرأة كنبية [١] وقاضية « وكانت دبورة . . امرأة نبية وقاضية لإسرائيل » [القضاة ٤ : ٤]

* المرأة عملت كمساعدة للأنبياء ، فقد كان النبى « اليشع » يتردد على نزل امرأة غنية فى بلدة تسمى « شوغ » ولكن المرأة اقترحت على زوجها « فلنبن له عُلية « دورًا ثانيًا » صغيرة على سطح البيت . . . فيبيت كلما مر بنا » [٢ ملوك ٤ : ٩] .

* عملت المرأة كملكة « ولكنها فشلت ، علمت « عثليا » اسم امرأة ، أم أخزيا الملك بقتل ولدها ، فأبادت منافسيه واستولت على العرش « وكانت عثليا فى أثنائها ـ ست سنوات ـ متربعة على عرش يهوذا » [٢] [٢ ملوك ١١ : ٣] .

والأمر لم يختلف فى المسيحية حيث آمنت بما جاء فى التوراة كما أوضحت بجلاء أن وظيفة المرأة الأولى هى الزوجة والأم فجاءت فى وصية بولس وصيته للأرامل ومنها « معلمات لما هو صالح (٤) لكى يدربن الشابات على أن يكن محبات لأزواجهن ولأولادهن (٥) متعقلات عفيفات مهتمات بشؤون بيوتهن صالحات خاضعات لأزواجهن » [تيطس ٢ : ٣ ـ ٥] .

* المرأة كخادمة للكنيسة « الدعوة إلى الله » : « وأوصيكم بفيبى أختنا الخادمة فى كنيسة تنخريا » [رومية ١٦ : ١] .

---

(١) يقصد بنبية : صاحبة تنبؤ أى تعلم الغيب من عند الله ليست صاحبة رسالة سماوية .

(٢) انقسم اليهود إلى مملكتين هما : يهوذا ، وأورشليم .

* المسيحية لم تجز تعليم أو رئاسة النساء للرجال نهائيا « لست أسمح للمرأة أن تعلم ولا تتسلط على الرجل » [١ تيموثاوس ٢ : ١٢] .

أما فى الإسلام فلا هناك خلاف عن اليهودية والمسيحية فى اعتبار المهمة الأولى للمرأة هى الزوجة والأم أى العمل بالبيت ، ويجوز العمل خارجه وفقا لضوابط معينة وبشروط خاصة .

إذن لقد اتفقت الأديان السماوية الثلاثة على أن أصل عمل ووظيفة المرأة هو البيت أولا ، ولا استثناء إلا لضرورة ، وإذا لم يصلح عمل المرأة بالبيت لفسدت الأمم، فالمرأة الصالحة فى منزلها هى معيار ومرآة تقدم الأمم ، يقول تعالى : ﴿ **لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا** ﴾ [الطلاق] (١) .

وقد نسب الله تبارك وتعالى البيوت للنساء ، فقال ﴿ **بُيُوتِهِن** ﴾ ليوضح أن المرأة هى البيت والسكن وأنه لا فلاح لبيت بلا امرأة صالحة فيه ، ويؤكد ذلك قوله تعالى : ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ**﴾ [الأحزاب : ٣٣] كما قال تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا** ﴾ [النحل : ٨٠] وقد فضل رسول الله ﷺ عمل المرأة فى المنزل عن الجهاد فى سبيل الله ؛ أتت أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية ـ خطيبة النساء ـ النبى ﷺ وهو فى أصحابه فقالت : بأبى أنت وأمى يا رسول الله . أنا وافدة النساء إليك ، إن الله عز وجل بعثك إلى الرجال والنساء كافة فآمنا بك وبإلاهك ، وإنا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم ، ومقضى شهواتكم ، وحاملات أولادكم ، وإنكم معشر الرجال فضلتم علينا فى : الجمع ، والجماعات ، وعيادة المرضى ، وشهود الجنائز والحج بعد الحج ، وأفضل من ذلك الجهاد فى سبيل الله عز وجل ، وإن الرجل منكم إذا خرج حاجًا أو مجاهدًا حفظنا لكم أموالكم ، وغزلنا أثوابكم ، وربينا لكم أولادكم ، أفلا نشارككم فى هذا الأجر ؟ فالتفت النبى ﷺ إلى أصحابه

---

(١) الآية وردت عن عدم إخراج النساء إذا طلقن طلاقًا رجعيا ، فمن الأولى الاستشهاد بها فى حالة الوفاق .

بوجهه كله ثم قال : « هل سمعتم بمقالة امرأة قط أحسن من مسائلها فى أمر دينها من هذه ؟ » فقالوا : يا رسول الله ما ظننا أن امرأة تهتدى إلى مثل هذا فالتفت النبى ﷺ إليها فقال : « افهمى أيتها المرأة وأعلمى من خلفك من النساء إن حسن تبعل المرأة لزوجها ، وطلبها مرضاته ، واتباعها موافقته يعدل ذلك كله »فانصرفت وهى تهلل(١).

ولا شك أن عمل المرأة فى بيتها أهم من الجهاد ، فالجهاد له دواعيه ورجاله وهو ليس فى كل وقت ، أما وظيفة المرأة فى منزلها فهى فى كل لحيظة « تصغير لحظة» وهى المهمة التى أعدها لها ومنحها من المزايا الجسدية والنفسية مالم يؤته الرجل .

يقول الأستاذ عباس محمود العقاد ـ رحمه الله : ومن الطبيعى أن يكون للمرأة تكوين عاطفى خاص لا يشبه تكوين الرجل ، لأن ملازمة الطفل الوليد لا تنتهى بمناولة الثدى وإرضاعه ، بل لابد معها من تعهد دائم ومجاوبة شعورية تستدعى شيئا كثيرا من التناسب بين مزاجها ومزاجه ، وبين فهمها وفهمه ومدارج حسه وعطفه ، وهذه حالة من حالات الأنوثة شوهدت كثيرا فى أطوار حياتها ، من صباها الباكر إلى شيخوختها العالية ، فلا تخلو من مشابهة للطفل فى الرضا والغضب ، وفى التدليل والمجافاة ، وفى حب الولاية والحدب ممن يعاملها ، ولو كان فى مثل سنها أو سن أبنائها ، وليس هذا الخلق مما تصطنعه المرأة أو تتركه باختيارها ، إذ كانت حضانة الأطفال تتمة للرضاع تقترن فيها أدواته النفسية بأدواته الجسدية .

ولا شك أن الخلائق الضرورية للحضانة وتعهد الأطفال أصل من أصول اللين الأنثوى الذى جعل المرأة سريعة الانقياد للحس والاستجابة للعاطفة ، ويصعب عليها ما يسهل على الرجل من تحكيم العقل وتقليب الرأى وصلابة العزيمة (١) .

مهام المرأة فى بيتها وطبيعة عملها :

١ ـ أن تكون زوجة صالحة :

أوجز القرآن الكريم مزايا الزوجة الصالحة فى آيات كثيرة ، نذكر منها آية واحدة

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور للبيهقى ٢/ ١٥٣ ، وذكره ابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق الكبير ٧/ ٤٤ .

(٢) الشيخ محمد الغزالى : قضايا المرأة ص ١١٧ .

فيها أسمى غاية من غايات الزواج : **﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾** [الروم : ٢١] .

إن الله جعل العلاقة الزوجية الحميمة ، الكاملة بما فيها من سكن ومودة ورحمة « معجزة » ؛ ليوضح أن تحقيق ذلك صعب المنال إلا بالتربية السليمة **﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾** [آل عمران: ٣٧] .

٢ ـ أن تكون مستعدة للإنجاب وإرضاء زوجها :

إن المرأة هى أساس الذرية فى الأرض ، فالرجل واضع البذرة والمرأة التربة الصالحة التى تتقبلها وتحتضنها وتنميها وتخرجها للوجود : **﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾** [البقرة : ٢٢٣] ، والآية توضح أيضا الحق الكامل المتبادل فى الاستمتاع الجنسى والمعاشرة .

٣ ـ رعاية الأطفال من رضاعة وحماية وغيره :

إن هذه المهمة المحببة إلى قلوب النساء وهى غاية مناهم منذ الصغر ، فالبنت الصغيرة تلعب بعروستها وتمشطها وتحميها وتحتضنها كأنها بنتها فى الكبر ، وذلك من الفطرة وطبيعة المرأة ، ولو اجتمع العشرات من الرجال لما استطاعوا القيام بهذا الأمر كالمرأة ، يقول تعالى موضحا مشقة هذا العمل : **﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾** [لقمان : ١٤] . .

كما يقول جل شأنه : **﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾** [البقرة : ٢٣٣] ، كما يقول : **﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾** [الأحقاف : ١٥] والآيات توضح مدة الحمل والولادة والرضاعة الطويلة ، وما فيها من مشقة .

٤ ـ إدارة شؤون المنزل المختلفة :

يقول الرسول ﷺ : « والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده ، وهى مسؤولة عنهم » (١) .

---

(١) رواه البخارى .

ضمانات عمل المرأة فى بيتها :

ما دامت المرأة ملتزمة بيت زوجها وتشاركه السكن والمود والرحمة وتربية الذرية الصالحة ، فلابد لها من التفرغ لذلك ، وعلى هذا أوجب الإسلام لها حقوقًا على زوجها :

١ ـ **حق المهر** : وهو مبلغ مالى أو مادى يدفع للمرأة لتأمين حياتها وهو مقدم ومؤخر : **﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾** [النساء : ٢٤] .

٢ ـ **حق النفقة** : يقول تعالى : **﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾** [النساء : ٣٤] فوجوب النفقة على الرجال حتى إن كانت الزوجة فى سعة .

٣ ـ **حق المعاشـــرة بالمعـــروف** : يقـــول تـعالى : **﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾** [النساء :١٩] ، وكلمة المعروف ، تبين منتهى الأخلاق القويمة من بر وسماحة ، وكل ما يتعارف أصحاب المروءة على حسنه .

٤ ـ حق تعاون الرجل مع زوجته فى أعمال البيت :

رسول الله ﷺ هو القدوة الحسنة فى كل شىء ، فكان فى بيته يفلى ثوبه ويحلب شاته ، ويخدم نفسه ، فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة .

٥ ـ الإعفاء من بعض الفرائض فى ظروف خاصة :

نظرًا لما تعانيه المرأة من ضعف فى أحوالها الخاصة ، الحيض والنفاس والولادة والرضاعة ، مع التزامها بإدارة شؤون بيتها ، فقد أعفيت ، خلال هذه الظروف من عبادات منها : الصلاة والصيام .

ب ـ عمل المرأة خارج بيتها :

حيث إن البيت هو الأساس وهو مملكة المرأة الدائمة التى تزين عرشها ، فإن عمل المرأة خارج البيت لا يكون إلا لضرورة أو حاجة شديدة .

ونرى أن الضرورات تنقسم إلى قسمين : ضرورة شخصية ، وضرورة شرعية

لخدمة أمثالها من النساء .

الضرورة الشخصية :

قد تضطر المرأة للخروج للعمل خارج منزلها لعدم وجود من يعولها ، وربما هى العائلة : كشأن امرأة مات زوجها ولم يترك إرثًا وليس له أولياء يتكلفون بأسرته . كذلك لعدم وجود من يقوم بالعمل ، وأكبر مثال على ذلك قصة موسى عليه السلام عندما ذهب إلى مدين ووجد امرأتين تعملان لرعى وسقاية الأغنام فقال لهما : ما خطبكما ، والخطب هو المصيبة الكبيرة أى الكارثة ، فكان الرد مباشرًا وسريعًا وقاطعًا : ﴿ **لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ** ﴾ [القصص : ٢٣] ، فأوضحت الآية شروط الاضطرار للعمل وهى :

* الضرورة الملحة والشديدة ـ أغنام لابد من القيام برعيها والراعى الرجل لا يستطيع القيام بذلك لكبر سنه .

* عدم الاختلاط فى العمل بالرجال : ﴿ **لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ** ﴾ وبالتالى الحجاب خارج المنزل فى التصرف وفى الملبس الشرعى ، وفى عدم المزاحمة ، حتى لا يكون هناك مجال للفتنة ، ولا شك أنهما قد استأذنتا من والديهما فى الخروج للعمل، كما أن عملهما لا شبهة فيه من حرام أو كراهة .

الضرورة الشرعية :

ونقصد بها أن هناك أعمالاً من الأفضل قيام النساء بها لعلاقتها بمثلهن ، فمثلا وجود طبيبة أنثى للقيام بولادة أفضل من قيام رجل بذلك ، وتدريس العلم للبنات بواسطة نساء مثلهن أفضل خاصة فى مرحلة المراهقة وثورة العاطفة ، ويدخل فى ذلك عمل المرأة كمربية أطفال ، ويمكن أن تعمل حياكة لملابس النساء . . . إلخ، وفى جميع الأحوال يجب مناسبة العمل للمرأة وطبيعة المرأة ووقت المرأة ، وقد أجاز الإسلام العمل للمرأة فى شتى الأعمال ما عدا الإمامة الكبرى أى رئاسة الجمهورية أو الملك ، أما القضاء وتوليه ففيه خلاف فقهى .

ومن ذلك يتضح أن الإسلام أعز وأكرم المرأة فى بيتها ونظم عملها فى خارج

بيتها، بحيث تصان كرامتها ويحافظ على شرفها ، ولا تكون عرضة لذئاب البشر وما أكثرهم .

ومع اتفاق الأديان السماوية الثلاث وكافة الأعراف والقوانين الغير سماوية إلا أن دعاة التحرر لا يعترفون بأن وظيفة المرأة الأولى هى الزوجة والأم ، كما ينكرون ضرورة مناسبة العمل ـ عند الضرورة لطبيعة المرأة كأنثى ، فتقول فريده النقاش :

« وفى التوزيع التقليدى للأدوار الذى تؤكده المؤسسة التعليمية هناك طرف رئيسى هو الرجل ، وطرف ثانوى هى المرأة ، هناك طرف مسيطر بطبيعته وطرف خاضع للسيطرة أيضا بطبيعته ، ويختصر الخطاب المدرسى المرأة فى غالبية نصوصه فى أدوار الأم والزوجة .

أما إذا كانت عاملة فهى مسجونة غالبا فى إطار غرزة الأمومة والأعمال المرتبطة بها ، إما مدرسة أو ممرضة ، نادراً ما تكون طبيبة » (١) .

وتقول د. نوال السعداوى مؤيدة نفس الفكرة :

« والذين يقولون إن المرأة تجد سعادتها فى أن تكون عالة أو أنها تحقق ذاتها من خلال خدمة الآخرين ، أو أنها فاقدة للطموح الفكرى والخلق لأنها تلد وعملية الولادة إنما هى خلق البشر ، أو أن طبيعة المرأة من حيث الطموح العقلى أقل من طبيعة الرجل ، كل هذه الأقاويل لا تستند إلى منطق أو علم » (٢) والأفكار السابقة أثبت الواقع عدم صحتها ، ورحم الله الشيخ الغزالى عندما قال : « من الصعب أن تكون المرأة ربة بيت متقنة وصاحبة منصب منتجة » .

إن فريدة النقاش تحاول إيهامنا أن مرجع ضرورة عمل المرأة كزوجة وأم، أو فيما يناسبها من أعمال يرجع إلى التربية والتعليم وليس إلى أوامر الله الإلهية فى الأديان أو طبيعة المرأة كأنثى ، كما أن د. نوال السعداوى ، تدعى أن الزوجة عالة على زوجها وأسرتها ، كيف تكون عالة وهى أساس الأسرة السليم ، إن الاستهانة بوظيفة المرأة فى

---

(١) فريدة النقاش : حدائق النساء ص ٨٢ .

(٢) د . نوال السعداوى : توأم السلطة والجنس ص٨٦ .

بيتها هو عين الاستهانة بالحكمة من الخلق والحياة وإعمار الكون .

لقد أثبت الواقع أن عمل المرأة خارج بيتها واكتسابها الأموال أدى ، أن تكون عالة فعلية على المجتمع ، حيث أنها تحصل على أموال كان أحق بالحصول عليها أخ عاطل أو ابن أنهى دراسته الجامعية ويأس من الحصول على عمل ، فلازم البيت ولازمه الفراغ القاتل ، وتمكن منه اليأس من الزواج والاستقرار والحلم بمستقبل مشرق جميل ، فدفعه اليأس إلى الاغتصاب أو الشذوذ الجنسى أو الكبت والإصابة بالأمراض النفسية ، وكم سمعنا من حالات انتحار نتيجة لذلك ، وإذا تفشت البطالة ازدهر معها العنوسة ، فأصبح شباب المجتمع من ذكور وإناث لا أمل لهم فى زواج سعيد ، وربما لجؤوا إلى شذوذ تعيس [1] . . . إن الاستهانة بإعداد المرأة لتكون زوجة صالحة وأمًا ومربية فاضلة ، هو أول طريق هدم الأسر ومرض المجتمعات وموت الحضارات ، نحن جميعًا نتباكى على عصر الأمومة الحقة الذى لم يبق منه إلا خيالات من ماضٍ سعيد هانئ افتقدناه ونحلم به الآن . . . وهيهات هيهات أن يعود الماضى السعيد ، إلا إذا عادت المرأة لمملكتها الحقيقة وهى البيت ، وكانت الأسرة هى غاية طموحها .

ودعاة التحرر لا يقصدون من خروج المرأة للعمل مساعدة الأسرة والمجتمع كما كان ينادى فى القديم فى بدء الدعوة للتحرر ولكن هدفهم هو خلق اقتصاد خاص بالمرأة أى مصنع مالى يحقق لها حرية التحرر على الرجل والأسرة والسفور والفجور أنى شاءت ، فها هى نوال السعداوى تقول :

« إن خروج الفلاحات للعمل فى الحقول لم يحقق أبدًا للمرأة استقلالها الاقتصادى عن الرجل ، لأن الفلاحة تعمل فى الحقل بغير أجر ، فهى تعمل لحساب زوجها وأسرتها ، وهى تعتمد اقتصاديا على زوجها أو أى رجل آخر فى الأسرة ، كذلك فإن عمل المرأة داخل البيت من كنس ونظافة وخدمة أيضا هو عمل بغير أجر »[2].

(١) نقترح حلاً لمشكلة البطالة : الإحالة للمعاش من سن ٥٥ عامًا وليس ٦٠ عامًا وتكفل الدولة بتعيين من لم يعمل من أولاد المتقاعدين أو إخوتهم فى وظائف حكومية .

(٢) د. نوال السعداوى : توأم السلطة والجنس ص٨٦ .

والحقيقة أن هدف عمل المرأة واستقلالها المالى ، ليس خدمة المرأة أو الأسرة أو المجتمع ، ولكن هو تغيير كافة الأحكام الدينية والاجتماعية التى تحقق قوامة الرجل على المرأة وحق قيادته للأسرة ، وقد أوضحت ذلك د. نوال السعداوى فقالت : «لقد استطاعت سلطة الدولة أن تأخذ من الأب البدائى كثيرا من سلطته التى كان يمارسها على النساء داخل أسرته ، لهذا تغيرت قوانين الزواج والطلاق فى كثير من المجتمعات فى العالم، ساعد فى ذلك أيضًا تزايد القوى السياسية والاقتصادية للنساء العاملات . . لقد تم تحريم تعدد الزوجات فى أكثر بلاد العالم شرقا وغربا بما فى ذلك بعض البلاد الإسلامية ، كما تساوت النساء مع الرجال فى حق الطلاق والحضانة والنسب والإرث فى كثير من البلاد ، بعد أن أصبح الإنفاق مسؤولية المرأة والرجل معًا ، وكان الرجل يرث أكثر من المرأة لأنه كان المسؤول وحده على الإنفاق » (١) .

انظر أخى المسلم وتعجب وصفت الكاتبة الزوج : « بالأب البدائى » أى اعتبرت أن حق القوامة وسائر الأحكام الشرعية المنظمة للعلاقة بين الرجل والمرأة ، تخلف وبدائية .

إن الهدف الرئيسى من عمل المرأة هو هدم الأديان وإلغاء أحكامها ، وانحلال الأسر وعدم بنائها ، ومرض المجتمعات وعدم شفائها وموت الحضارات وعدم رقيها وتقدمها .

لقد أثبتت التجارب فى الغرب ما انتهينا إليه .

« نشرت الكاتبة الإنجليزية الشهيرة أنارود مقالة فى الاسترن ميل قائلة : لأن تشتغل بناتنا فى البيوت خوادم أو كالخوادم خير وأخف بلاءً من اشتغالهن فى المعامل حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها إلى الأبد . ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفاف والطهر رداء . الخادمة والرقيق يتنعمان بأرغد عيش ويعاملان كما يعامل أولاد البيت ولا تُمس الأعراض بسوء . نعم إنه لعار على بلاد الإنجليز أن تجعل بناتها مثلاً للرذائل بكثرة مخالطة الرجال فما بالنا لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل بما يوافق الطبيعة من القيام بالبيت وترك أعمال الرجال للرجال

(٢) توأم السلطة والجنس ص١٦ ، ١٧ .

سلامة لشرفها » [1] .

« قيل لنابليون : أى حصون فرنسا أمنع ؟ فقال : الأمهات الصالحات .

نشرت مجلة الهلال عدد مارس ١٩٦٥م رأى برنارد شو فى عمل المرأة ومفاده:

أما العمل الذي تنهض به النساء والعمل الذى لا يمكن الاستغناء عنه فهو حمل الأجنة وولادتهم وإرضاعهم وتدبير البيوت من أجلهم ولكنهن لا يؤجرن عليه بأموال نقدية وهذا ما جعل الكثير من الحمقى ينسون أنه عمل على الإطلاق فإذا تحدثوا عن العمل جاء ذكر الرجل على لسانهم وأنه هو الكادح وراء الرزق .

إلا أن المرأة تعمل فى البيت وكان عملها فى البيت منذ الأزل عملاً ضروريًا وحيويًا لبقاء المجتمع ووجوده بينما يشغل ملايين الرجال أنفسهم ويبددون أعمالهم فى كثير من الأعمال التافهة » [2] .

« كتب الأديب المصرى الأستاذ أنيس منصور فى جريدة الأخبار تحت عنوان «مواقف» ما يلى : ونحن ننظر عادة إلى التفرغ للحياة الزوجية على أنه ليس عملاً ومع أنه فى الحقيقة عمل اجتماعى واقتصادى وتربوى ونفسى وبعض الدول الأوربية تدفع أجرًا للزوجة لأنها تمكث فى البيت كأستراليا مثلاً.ولن يمضى وقت طويل حتى تجد المرأة نفسها أمام هذا الاختيار إما العمل وإما الطفل ولن تتردد أبدًا أن تختار الطفل[3] .

« يقول الفيلسوف برنارد رسل : إن الأسرة انحلت بسبب استخدام المرأة فى الأعمال العامة وأظهر الاختبار إن المرأة تتمرد على تقاليد الأخلاق المألوفة وتأبى أن تظل أمينة لرجل واحد إذا تحررت اقتصاديًا . فهل يسرك يا أختى المسلمة أن تصل المرأة العربية المسلمة إلى المستوى التى انحدرت إليه المرأة الأوربية [4] .

---

(١) محمد سعيد مبيض : إلى غير المحجبات ص٧٤ .

(٢) المرجع السابق ص٥٤ .

(٣) المرجع السابق ص٥٥ .

(٤) المرجع السابق ص٧٠ .

« هناك من يدعى أن من الأفضل للمرأة أن تشتغل من أن تكون عالة على من يعولها . هذا منطق مادى وعرف غير إسلامى يسود المجتمعات الرأسمالية والشيوعية فمن لا تعمل لا تأكل ، أما المرأة المسلمة فلا ترى غضاضة على نفسها أن تعيش فى كنف والدها أو أن ينفق عليها أخوها أو يغنيها زوجها مؤونة العمل لأن الرجل مكلف بالإنفاق عليها شرعًا يقول رسول الله ﷺ : « كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت » إنه مجبر بالإنفاق عليها بحكم الشرع فقد منحه الشارع ضعف نصيبها فى الإرث لينفق عليها حين الحاجة أما إذا كان الولى فقيرًا فالدولة المسلمة ملزمة بإعالتها وقد أقامت الحكومات المعاصرة وزارة خاصة أسمتها الشؤون الاجتماعية والعمل تسهر على رعاية العاطلين والعاملين والفقراء المحتاجين يقول رسول الله ﷺ :« ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به فى الدنيا والآخرة اقرؤوا إن شئتم ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الأحزاب : ٦] فأيما مؤمن ترك مالاً فلورثته وإن ترك دينًا أو ضياعًا ـ يعنى عاجزًا عن الكسب . فليأتنى فأنا مولاه » رواه البخارى . ذلك باعتباره رئيس الدولة المسلمة . ومع ذلك فنحن لا ننكر على المرأة المسلمة أن تعمل فيما يوافق طبيعتها كالتعليم والطب والخياطة وما شاكلها شريطة أن تلتزم بحجاب المسلمات . وأن لا تظهر زينتها لأحد العاملين الأجانب وأن تمتنع عن الاختلاط والخلوة بغير المحارم »(٢) .

ويمكننا القول : لو أردنا العفة والعذرية والشرف للمرأة ، أن تعود المرأة لبيتها ، ولكن واسفاه تبكى العيون الدم بدلاً من الدموع ، فتحت شعار ومسمى جديد خادع وهم واهٍ هو « إزالة كل أشكال التمييز ضد المرأة سنبدأ فى كافة البلاد الإسلامية فى إلغاء أحكام الأديان وستمنح المرأة فرص عمل بقدر ما منح الرجال ، وستزيد العنوسة وتتفاقم مشاكلها بزيادة عمل النساء وبطالة الرجال ، وسيلغى نظام الإرث فى الإسلام تحت نفس المفهوم والشعار .

ولا أقول إلا رحماك رحماك يا ربنا ، وقد اقتربت الساعة والعلم عند الله، وليس لنا إلا الدعاء ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ [الأعراف : ٨٩]، ﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [الكهف : ١٠] .

(١ ، ٢) التعريف للمؤلف .

ثالثا : آداب الاختلاط

يقصد بآداب الاختلاط ، الأسس والمبادئ التى يجب مراعاتها فى العلاقات الاجتماعية وسبل الاتصال بين الذكر والأنثى ، والتى لا تجعل هذه العلاقات وتلك الاتصالات سببا فى ضياع العفة والعذرية والشرف لكل منهما (١) .

إذن الأديان كلها لا تحجب الاختلاط أو لا تؤمن بضرورته ، فالأسر والقبائل والمجتمعات لابد لأفرادها من الاتصال وإنشاء علاقات إنسانية واقتصادية واجتماعية ودينية سواء ذكور أو إناث .

ولكن كل علاقة ـ وأى علاقة ـ لابد لها من ضوابط حتى تحقق الغرض منها والهدف المنشود من مزاولتها .

ـ فاليهودية أجازت الاختلاط لضرورة ، والخروج من البيت لأسباب العمل أو الاحتفال الدينى أو الزيارة ، ولكن مع صحبة من النساء ، فها هى رفقة : « اسم فتاة ابنة أخى إبراهيم ـ عليه السلام ـ تخرج لملء الجرار من البئر مع صديقاتها « . . وبنات أهل المدينة خارجات ليستقين الماء » [التكوين ٢٤ : ١٣] ، فقابلها رجل وقال لها «اسقينى قليل ماء من جرَتِك (١٨) فقالت له اشرب يا سيدى» [تكوين٢٤ :١٧ ـ ١٨] وهذا يوضح عمل المرأة فيما يناسبها ومع نساء مثلها والاختلاط مع الرجال لضرورة وفى حدود الأدب القويم والخلق الرفيع ،وللمدة المناسبة لتحقيق الهدف من الاختلاط.

وها هى ابنة الملك يفتاح تخرج مع صويحباتها للقائه احتفالاً بنصره على الأعداء « فخرجت ابنته الوحيدة ، إذ لم يكن له ابن أو ابنة سواها للقائه بدفوف ورقص » [القضاة ١١ : ٣٤] وكان الملك نذر أن يقدم محرقة « أى يضحى » بأول من يلقاه من أهل بيته ، فكان حظه التعس وحظها الأليم أن تكون أول من قابلته ، ومع ذلك قرر الوفاء بنذره ، فقالت له : « أمهلنى شهرين أتجول فيها فى الجبال وأندب عذراويتى مع صاحباتى » [القضاة ١١ : ٣٧] .

---

(١) التعريف للمؤلف .

ومن القصة يتبين أن خروج ابنة الملك للاحتفال بنصر ، وخروجها للبكاء والعويل على سوء حظها مع بنات مثلها .

والتوراة توضح لنا أن « دينا » اسم فتاة ابنة يعقوب ـ عليه السلام ـ خرجت لزيارة بعض صديقاتها ولأنها ظنت أن قوة وجاه وسلطان أبيها لن يعرضها للأذى « فتعرض لها سكيم بن حمور الحوى، فأخذها واغتصبها ولوث شرفها » [تكوين٣٤:٢].

وهنا يتضح أنه لابد للنساء إذا خرجن وحيدات من رفيقة أو حماية فـ « دينا ابن نبى وصاحب غنى وسلطة ومع ذلك اغتصبت منذ عدة آلاف من السنين » حسب زعم التوراة .

هذا وقد أوضحت التوراة خروج المرأة للعمل دون اختلاط بالرجال فى أكثر من موضع منها ، خروج « راعوث » اسم امرأة للعمل بالحق عندما ضاق بها الحال من بعد عز ، لتنفق على نفسها وعلى حماتها » [راعوث ٣] .

والمسيحية أيضا آمنت بعدم الاختلاط إلا بشروط تؤدى إلى العفة واحترام المرأة لذاتها ، فها هو بولس الرسول يأمر النساء باحترام أنفسهن وعدم الكلام فى الكنيسة «ولكن إن كن يردن أن يتعلمن شيئا فليسألن رجالهن فى البيت ، لأنه قبيح بالنساء أن يتكلمن فى الكنيسة » [١ كورنثوس ١٤ : ٣٥] ، وقد استنكر الإنجيل عمل النساء بتعليم الرجال حتى لا يؤدى إلى اختلاط فقال بولس : « لست أسمح للمرأة أن تعلم ولا تتسلط على الرجل » [١ تيموثاوس ٢ : ١٢] .

وكذلك رفض الإنجيل ذهاب الرجال « القسس » لتعليم النساء فى البيوت الأمور الدينية ، وجعلت ذلك للنساء مثلهن والإسلام كباقى الأديان نظم هذه العلاقة.

وقد يظن البعض أن الإسلام لا يبيح الاختلاط بين الذكور والإناث ، والواقع أنه يبيحة وينظمه وقد وضع المنهج القويم لذلك ، حتى لا يؤدى الاختلاط إلى الخلوة وتغلب ضعف النفوس وشهوتها المستعرة ، إضافة إلى وسوسة الشيطان، فى وقوع الفواحش الظاهرة والمستترة .

هذا وقد أباح الإسلام للمرأة المشاركة فى الأمور العامة وخروجها لإبداء الرأى

فيما يهم المجتمع من أمور فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الممتحنة : ١٢] فالآية أعطت المرأة حق الانتخاب وإبداء الرأى ، ولقد كانت النساء يؤدين الصلاة فى المسجد مع جماعة المسلمين فى عهد الرسول ﷺ وبعده ، ولكن يخرجن لصلاة العيدين ، والحج.

كما ثبت فى البخارى أن أم الدرداء عادت « زارت » رجلاً مريضا من الأنصار فى المسجد ، كما أن الزيارات المنزلية لتوثيق العلاقات الاجتماعية لم يحرمها الإسلام ، فها هو سلمان الفارسى يزور أخاه أبا الدرداء فى بيته فيجد امرأته « مبتذلة » أى مرتدية ملابس عمل المنزل لا ملابس مقابلة الزوج » فقال لها : « ما شأنك ؟ قالت أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة فى الدنيا » الحديث ورد بالبخارى ـ كتاب الأدب » . ولكن الإسلام وضع ضوابط لهذه الزيارات فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [النور : ٢٧، ٢٨].

والآية توضح الآداب التالية :

١ ـ لابد من الاستئذان وإلقاء السلام .

٢ ـ لابد من وجود رجال فى البيت حتى لا تتحقق الخلوة الكاملة .

٣ ـ إذا لم يوجد رجال واعتذر النساء أو الموجودون فى البيت عن دخول الضيف فليرجع ، ذلك أفضل للجميع ولا يجب اعتبار ذلك مهانة له .

أما عن آداب الخلوة داخل البيوت فقال تعالى : ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ

أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور : ٣١] والآية أوضحت من يدخلون البيت ويمكن أن يروا النساء فى أى وقت إذن الأديان كلها لم تمنع الاختلاط ولكن بضوابط حتى لا يتحول إلى انحلال خلقى وجنسى واجتماعى ودينى .

ومع ذلك فإن دعاة التحرر ينادون ملء الأفواه للاختلاط دون ضوابط سواء فى الصغر أو الكبر وفى كل مكان وكل مجال بالرغم مما تبين من ضرر الاختلاط .

فها هو قاسم أمين ينادى بالاختلاط منكرا مضاره فيقول : « والفقهاء من قومنا الذين أطالوا الكلام فى شرح المضار التى تنتج عن إطلاق الحرية للنساء ! فكثيراً ما سمعنا منهم أن اختلاط الرجال بالنساء يؤدى إلى اختلاط الأنساب ، وأنه متى اختلطت الأنساب وقعت الأمة فى هلاك » (١) .

وعن الدعوة لاختلاط الصبية من بنات وأولاد فى الصغر تقول هدى شعراوى «ومن كثره اختلاطى بالصبيان ولعبى معهم ، تطبعت بطباعهم وشببت عليها ، وهنا أقرر أن اختلاط الجنسين منذ الصغر إن لم يكن له تأثير حسن فى تربية الأطفال ، فليس من ورائه الضرر الذى يحدث من الاختلاط فى أدوار المراهقة وما بعدها ، لأن اختلاط الأطفال يجعلهم يشبون على عدم الفوارق وتربطهم الصداقة البريئة ومن كثرة تعودهم بعضهم على بعض يصبحون كأنهم أخوة . . . الاختلاط منذ الصغر وبين أولاد من طبقه متساوية تربوا على أساس من الحشمة والاحترام ، فهو قليل الشوائب والأخطار»(٢) .

ونحن نشاركها الرأى فيما ذهبت إليه ، ولكن بشرط تفرغ الأمهات أو من يراقبون هذا الاختلاط ويصححون المفاهيم أولاً بأول لهؤلاء الأطفال والذى أوضحته هى نفسها فقالت عما لدى أسرتها من خدم وعبيد يرعون الأطفال ويراقبوهم « كانوا مدربين على

---

(١) قاسم أمين : تحرير المرأة .

(٢) هدى شعراوى : مذكرات رائدة المرأة العربية الحديثة ـ ص٦٤ كتاب الهلال ـ العدد ٣٦٩ سبتمبر ١٩٨١ .

العمل ، مخلصين فى آداء واجباتهم ، شاعرين بالمسؤولية على عواتقهم ، محترمين مخدوميهم .. محبين لصغار مخدوميهم الذين ولدوا على أيديهم . . . »[1].

وتقول عن تربية « سعيد أغا » مملوك لديهم ـ لها ولأخيها ولبنات معهن ومراقبته لهن« ثم كنا نخرج مع « سعيد أغا » . . . ثم يسرد علينا ما وصله من الشكاوى ضدنا، وبعد ذلك يتلو الحكم على المذنب منا ثم يضربنا على كفوفنا حسب درجة الذنب ويتركنا نبكى ، وبعد ذلك يخرج مناديلنا من جيوبنا ويمسح لنا دموعنا ، ويقول: الآن وقد نال كل فيكم جزاءه ، حذار أن يعود لمثل ما فعل » [2] .

إذن الاختلاط فى الصغر له مزاياه التى لا ننكرها بشرط تفرغ الآباء والأمهات بصفة خاصة لمراقبة تصرفات الأولاد وتوجيههم أولاً بأول أو على الأقل خدم مخلصين.

واليوم لم يعد هناك تفرغ كامل من الأم ـ إلا ما ندر ـ لتربية الأولاد ، ولم يعد الأولاد يتلقون فى المدارس من تعاليم الدين ما يسمو بخلقهم ، ولم تعد مهمة الخدم تربية الأولاد على أسس أخلاقية سليمة ، بل أصبحوا أهم أدوات لإفساد الأولاد ، كما أن انتشار التليفزيون والدش والإنترنت أدى إلى تسلل مفاهيم جنسية خاطئة ولم يأت أوانها للأطفال ، حتى إننا نرى ونسمع اليوم عن اغتصاب أطفال لأطفال وكبار لأطفال ؟!!

وبالرغم مما يعانيه المجتمع من الاختلاط فى سن المراهقة فإن دعاة التحرر يدعون إليه ، لأنه يحقق أمانيهم فى إشاعة الانحلال فتقول فريدة النقاش منتقده ، منع الاختلاط والتمسك بآداب الدين : « وبدلاً من أن تصبح الجامعة كما كانت فى بدء نشأتها مصدر إشعاع لتنوير المجتمع كله وتكوين أجيال جديدة. . أصبحت ميدان حرب من أجل فرض التدين الشكلى وتغطية وجوه النساء ، وفصل الطالبات عن الطلاب ، وإرغام الجميع على الصلاة ، ووقف المحاضرات ساعة الآذان ، وبدلاً أن تتحول الجامعة على مر الزمن إلى مؤسسة لبناء العلاقات الجديدة القائمة على المساواة

---

(١) المرجع السابق ص٥٦ ، ٥٧ .

(٢) المرجع السابق ص٥٠ ، ٥١ .

والتكامل والمودة والحب والفهم المتبادل بين الجنسين ، حلت فيها ثقافة الصمت فيما يخص العلاقة بين الجنسين التى وقعت فى أسر الحرام والحلال وتراجعت فيها روح الزمالة والمباراة الصحية بين البنات والأولاد » (١) .

وتسير على الدرب إقبال بركة فتقول : « إن ما يحدث اليوم فى بعض الكليات الجامعية دليل على النظرة المتدنية للمرأة ، وإلغاء لكل ما وهبها الله من ملكات العقل والروح والضمير ، واقتصار النظر إلى جسدها فقط ، وبالتالى فرض المظاهر والشكليات دون اهتمام بالجوهر » (٢) .

لقد تجاوز الاختلاط مداه وزاد عن حده فى الجامعات كلها وليس بعض الكليات، وحيث إن الجامعات أصبحت بيوت أزياء لعرض جديد من موضات إباحية فاجرة ، وسفور مصحوب بزينة شيطانية سافلة ، وتفننت الطالبات فى عرض الجمال وإظهار عُرى الأجساد ، والمبالغة فى التزين وإظهار الجمال فقد أصبحن بارزات للعيون ، فطمع فيهن كل راغب ، وطمعوا هن أيضا فى التعبير عن كل شهوة والمباراة لا فى العلم ولكن فى الفوز بقلوب الشباب ثم بقضاء حاجتهن الجنسية معهم ، فالأنثى دائما للرجل داعية وإن أنكرت « يتمنعن وهن راغبات » ، والرجال دائمًا للنساء متبعون وإن ظنوا أنهم الذئاب وكانت النتيجة : الزنا السرى المسمى خطأ بالزواج العرفى ولذى شمل حوالى ٢٠٪ من الطلاب وسيزيد بواسطة مشرط الطبيب ، وكأمر واقع سيألفه المجتمع ، ففى الغرب ألفوا نظام الصداقة بين النساء والرجال ولم يستنكروه « Boy friend » ونحن سنألف الزنا السرى ، وهو نفس نظام الصداقة والعشق فى الغرب، ولكن فى السر .

هذا بخلاف الزنا بالتراضى بين الطلاب ، والدعارة التى لا تنكر والمنتشرة بين القليل من طالبات الجامعات ، اللواتى يحلمن بالمال والغالى من الثياب . . . إلخ إن دعاة التحرر دائمًا يكذبون ثم يصدقون أكاذيبهم فهم يدعون أن الرجال هم الذين ينظرون للنساء بشهوة ، مع العلم أن النساء هن الذين يغرون ويغوون الرجال ،

---

(١) فريدة النقاش ، حدائق النساء ص٨٣ .

(٢) إقبال بركة : حوار حول قضايا إسلامية ص١٣٥ .

وصدق الرسول ﷺ حيث قال : « ما تركت بعدى فتنة أشد على الرجال من النساء وإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء »[1] .

إن لدعاة التحرر أهداف وضيعة يبغونها من الاختلاط فيها :

أ ـ الاستمتاع غير المشروع بالجنس :

وهو ما نعانى منه اليوم ومن ويلاته من المطالبة بالإجهاض والاعتراف بالأبناء المولودين من سفاح ، والمطالبة بإعطاء اسم الأم وعائلتها للمولود الذى لا أب معروف له ثم الدعوة لإطلاق حرية الجنس عن طريق الدعوة لنبذ وهجر مقاييس العفة والشرف وعذرية الفتاة .

وإذا لم يرحمنا الله أتنبأ خلال سنوات من ١٠ ـ ٢٠ سنة إن شاء الله بذهاب مقاييس العفة والشرف والعذرية إلى غير رجعة وصدق تعالى حيث قال عن هؤلاء : **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾** [النور : ١٩] .

ب ـ إماتة النخوة والحمية فى النفوس الشريفة :

إن الاعتياد على أى مرض اجتماعى لغالبية كبيرة من المجتمع وطول بقائه ، ينشىء الشعور بالإيمان بالواقع وبالتالى غض الطرف عن مقاومة هذا المرض ، ففى القديم عبث يهودى بحجاب مسلمة ،فتحركت النخوة فى قلوب المسلمين ، فكانت الحرب وإجلاء كل اليهود « بنو قينقاع » من المدينة المنورة ، وبعدها نادت امرأة وامعتصماه فينجدها بجيش جرار ويفتح عمورية .

واليوم يعتدى على شرف بناتنا باسم الزواج العرفى فى جامعاتنا ومدارسنا الثانوية والإعدادية ، فقد جاء بالمصور :

* رغم نفى جميع المسؤولين التنفيذيين والقضائيين والشعبيين أن الشائعات التى انطلقت فى أعقاب حادثة مقتل أحد تلاميذ مدرسة سمنود الثانوية الفنية ما زالت تملأ المدينة وتتحدث عن وجود حالات زواج عرفى بين طلاب وطالبات المدرسة وحالات

---

(١) الحديث رواه البخارى ومسلم .

حمل [1] .

كما يعتدى على المسلمات فى كل بقاع الدنيا فينتهك عرضهن ويغتصبن ويدفن فى مقابر جماعية ولا مدافع عنهن .

جـ ـ الاستهانة بالقيم الدينية والأخلاقية وضياع مفاهيم الأخلاق الكريمة :

نحن نتساءل : هل يطلب المجتمع من شاب وشابة استهترا بشرع الله فى الزواج الشرعى السليم وباعا أنفسهما إلى الشيطان فزاولا الجنس تحت شعار « الزواج السرى» وهم يعلمون أنه زنا صريح واضح ، أن يكونا أمناء فى عمل أو على مال أو على سر قومى أو فى حرب أو قتال ؟ أو حتى وظيفة ؟!! إن فاقد الشىء لا يعطيه .

د ـ انعدام الثقة بالنساء والعزوف عن الزواج :

النتيجة الطبيعية لتفشى الجنس بأمراضه الخلقية والاجتماعية والصحية ، هى عزوف الرجال عن الزواج لفقدهم الثقة بالنساء ، وهذا يعد من أسباب ارتفاع سن الزواج وتقليل نسبته عامًا بعد عام.

هـ ـ انتشار الفوضى الجنسية وأمراضها :

« ونتيجة لشيوع الإباحية الجنسية انتشرت الأمراض الجنسية فقد بلغت نسبة المصابين بالزهرى من شباب أمريكا ٩٠٪ والمصابين بالسيلان ٦٠ ٪ والمصابين بالبرود الجنسى ٤٠٪ حسبما ورد فى دائرة المعارف البريطانية . كما ظهرت أمراض لم نسمع بها من قبل كمرض الإيدز (فقدان المناعة) وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول : « لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا » رواه ابن ماجه » [2] .

وما ذكرناه قطره من غيث ، وقد آمن الغرب بمنع الاختلاط .

« صرح كينت بيكر وزير التعليم البريطانى أن بلاده بصدد اعادة النظر فى التعليم

(١) مجلة المصور العدد ٤٠١٢ فى ٣١/ ١٠/ ٢٠٠٣م .

(٢) إلى غير المحجبات ص ١٦ .

المختلط بعد أن ثبت فشله. وقال أحد أعضاء لجنة التعليم بالبرلمان الألمانى (البوند ستاج) أنه يجب العودة للأخذ بنظام التعليم المنفصل (الجنس الواحد) وهو النظام الذى تأخذ به الدول الإسلامية .

أكدت دراسة أجرتها النقابة القومية للمدرسين البريطانيين أن التعليم المختلط أدى إلى انتشار ظاهرة التلميذات الحوامل سفاحًا وعمرهن أقل من ١٦ سنة كما تبين أن استخدام الفتيات لحبوب منع الحمل فى المدارس تتزايد كمحاولة للحد من هذه الظاهرة دون علاجها واستئصالها من جذورها (١) .

وفى أمريكا بدأت مدرسة مارينا فى سان فرانسيسكو مع بدء العام الدراسى هذا العام بتطبيق تجربة رائدة للفصل بين الإناث والذكور أملاً فى تحسين مستوى التحصيل الدراسى . . .

وتندرج هذه التجربة فى إطار برنامج بدأ تطبيقه فى خمس مدارس حكومية فى كاليفورنيا ويؤكد المدافعون عنه أنه يتيح تحقيق نتائج دراسية جيدة (٢) .

فهل لنا أن نرجع إلى ديننا وآدابه حتى نحافظ على العذرية والشرف والعفة ، وحتى لا تضيع آداب العفة .

---

(١) إلى غير المحجبات ص ٧ .

(٢) مجلة منار الإسلام ـ مارس ١٩٩٨ .

الخاتمة

الحجاب طبقا لتعاليم الأديان وخاصة الإسلام والختان وخاصة ختان الإناث، وفقا لتعاليم الإسلام هما السبيل للإحصان من عفة وشرف وحفظ عذرية وهما الطريق المستقيم لكل خلق رفيع وآداب سامية وعلاقات أسرية واجتماعية راقية.

والداعون للتخلي عن ذلك، إنما يدعون لفناء الإنسانية جنسياً قبل فنائها نووياً.

وأدعوه عز وجل فأقول: ﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ⁽٨⁾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٨، ٩].

المصـــادر والمراجــع

القرآن الكريم

التوراة

الإنجيل

١ ـ آمال عبد الهادى ، سهام عبد السلام : موقف الأطباء من ختان الإناث .

٢ ـ إقبال بركة : الحجاب « رؤية عصرية » ، الكتاب الذهبى ، مؤسسة روز اليوسف، سنة ٢٠٠٢ م .

ـ المرأة الجديدة ، مكتبة الأسرة ، ٢٠٠٣ م .

ـ خواطر رمضانية ، دار قباء للطباعة ، ٢٠٠٠ م .

ـ حوار حول قضايا إسلامية ، مؤسسة روز اليوسف الطبعة الأولى ١٩٨٧م .

٣ ـ د . خالد منتصر : الختان والعنف ضد المرأة ، مكتبة الأسرة ، ٢٠٠٣م .

٤ ـ روجيه جارودى : الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، دار الشروق ، القاهرة.

ـ محاكمة جارودى ، دار الشرورق ، القاهرة .

٥ ـ زكى على السيد أبو غضة : المرأة فى اليهودية والمسيحية والإسلام ، دار الوفاء بالمنصورة ، ٢٠٠٣ م .

ـ الإرهــاب فى اليهودية والمسيحية والإسـلام والسياسات المعاصرة ، دار الوفاء،٢٠٠٢م.

٦ ـ زكية أحمد حجازى : المرأة والزواج وحقوق الشباب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٧ ـ د . سامية الساعاتى : علم اجتماع المرأة ، مكتبة الأسرة ، ٢٠٠٣ م .

٨ ـ سناء المصرى : خلف الحجاب ، سينا للنشر ، الطبعة الأولى ١٩٨٩م .

٩ ـ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير : قصص الأنبياء ، دار اليقين ، الطبعة الأولى ١٩٩٢م .

ـ تفسير القرآن العظيم ، دار الحديث ، القاهرة .

١٠ ـ الأنبا غريغوريوس : الختان فى المسيحية ، دار النشر للثقافة القبطية .

١١ ـ فريدة النقاش : حدائق النساء فى نقد الأصولية ، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان ، ٢٠٠٢ م .

٢ ـ قاسم أمين : تحرير المرأة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

١٣ ـ القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٦ م .

١٤ ـ الأب متى المسكين : المرأة حقوقها وواجباتها ، دير الأنبا مقار .

١٥ ـ محمد الغزالى : الإسلام والاستبداد السياسى ، دار الكتب الإسلامية ، الطبعة الثالثة ١٩٨٣م .

ـ قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة ، مكتبة الأسرة ، ١٩٩٩ م .

١٦ ـ محمد رشيد العويد : من أجل تحرير حقيقى للمرأة ، دار ابن حزم ـ دار حواء للطباعة ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٤ م .

١٧ ـ محمد رشيد رضا : حقوق النساء فى الإسلام ، هدية مجلة الأزهر ، جمادى الآخرة ، ١٤٢٤ هـ .

١٨ ـ محمد سعيد مبيض : إلى غير المحجبات ، دار الثقافة بالدوحة ، الطبعة الأولى، ١٩٨٨ م .

١٩ ـ د . محمد سليم العوا : الإسلاميون والمرأة ، دار الوفاء بالمنصورة .

٢٠ ـ محمد عطية خميس : الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار ، دار الأنصار .

٢١ ـ محمد بن على الشوكانى : نيل الأوطار ، دار الوفاء بالمنصورة .

٢٢ ـ د . محمد عمارة : شبهات وإجابات حول مكانة المرأة فى الإسلام ، وزارة الأوقاف بمصر ، العدد (٧٣) .

٢٣ ـ محمد بن صالح العثيمين : رسالة الحجاب ، مركز شؤون الدعوة ، العدد(٤٣).

٢٤ ـ محمد فريد وجدى : موسوعة القرن العشرين ، دار المعرفة .

٢٥ ـ محمد بن إسماعيل البخارى : صحيح البخارى ، بحاشية السندى .

٢٦ ـ محمود بن الشريف : الإسلام والحياة الجنسية .

٢٧ ـ نوال السعداوى : قضايا المرأة والفكر والسياسة ، مكتبة مدبولى ، القاهرة .

ـ توأم السلطة والجنس ، دار المستقبل العربى ، ١٩٩٩ م .

٢٨ ـ ابن هشام : السيرة النبوية ، مؤسسة علوم القرآن، دمشق .

٢٩ ـ هدى شعراوى : مذكرات رائدة المرأة العربية الحديثة ، كتاب الهلال ، العدد (٣٦٩) سبتمبر ١٩٨١م .

٣٠ ـ د . يوسف القرضاوى : النقاب للمرأة بين القول ببدعته والقول بوجوبه ، مكتبة وهبة ، الطبعج الثانية ١٩٩٩ م .

ـ التطرف العلمانى فى مواجهة الإسلام ، أندلسية للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ٢٠٠٠ م .

٣١ ـ بيان للناس من الأزهر الشريف ، مطابع وزارة الأوقاف بمصر .

٣٢ ـ مختار الصحاح ، دار المعارف ، ١٩٩٠ م .

٣٣ ـ المجلات والدوريات والجرائد :

مجلة الأزهر ، جريدة الوفد ، جريدة الأهرام ، جريدة الأخبار ، مجلة التوحيد ، مجلة منار الإسلام ، مجلة المصور .

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة

الباب الثاني

الختان بين الأديان السماوية

ودعاة التحرر

الباب الثالث

معنى ومفهوم العرض والشرف فى الأديان السماوية وعند دعاة التحرر

الحجاب والختان والعفة

- آداب سامية وأخلاق فاضلة، نظمت الأديان أحكامها، فأرست مبادئها، وأجلت أحكامها، وأمرت باتباعها، وعاقبت بشدة مخالفيها.
- فهى الدرع الواقى ضد شيطان النفس (الشهوة والإغراء والإغواء)، وضد شياطين الإنس - وما أكثرهم - وشياطين الجن - وما أعتاهم.
- وهى السبيل القويم لحماية الأعراض، وحفظ الأنساب، وصيانة المجتمع من أمراض الانحلال الأخلاقى وبلايا التحلل الجنسى - وما أكثرها الآن.
- وللأسف باسم الحرية الجنسية، وتحت شعار إزالة كافة أشكال التمييز تدعو بعض المنظمات الدولية وأعوانها من رجال ونساء إلى نبذ تعاليم الأديان وإشاعة السفور والفجور، واعتبار الشذوذ الجنسى دليلاً على التمدين والتحضر، وحقوق الإنسان.
- وقد قمنا - بعون الله - بعرض تعاليم الأديان المنظمة للحجاب والختان والعفة فى أمانة تامة وحَيدة كاملة، وأثبتنا أن كل الأديان دعت إليها، وأوجبت القصاص والردع لمخالفيها.
- كما قمنا بعرض آراء دعاة وداعيات السفور والفجور وبيان مدى انحراف دعواهم عن تعاليم الأديان، وعن العادات والأعراف الفطرية السليمة لغير أصحاب الأديان.

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل.